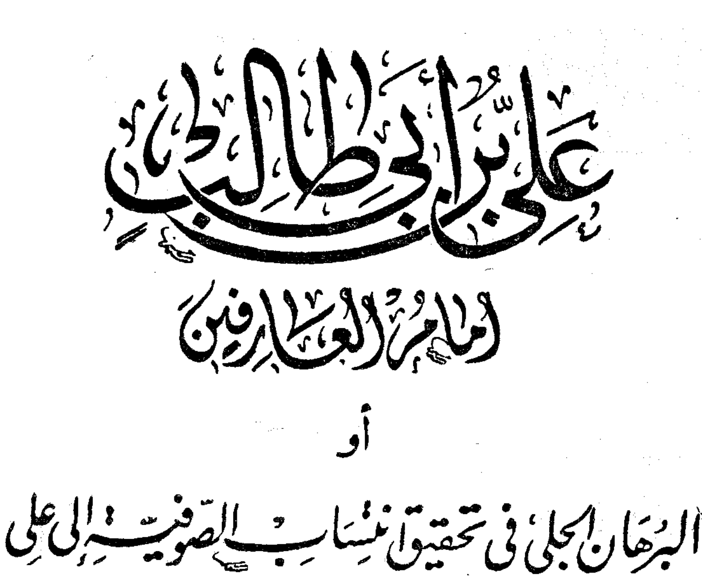


أو

البرهان الجلى فى تحقيق انتساب الصوفية الى على

ويليه كتاب

فتح الملك العلى ، بصحة حديث باب مدينة العلم على

تأليف

العالم المحدث الحجة

أحمد بن محمد بن الصديق الغمارى الحسنى

الطبعة الأولى
١٣٨٩هـ — ١٩٦٩م



الثمن ٦٠



أو

البرهان الجلي في تحقيق انتساب الصوفية إلى علي

ويليه كتاب

فتح الملك العلي ، بصحة حديث باب مدينة العلم علي

تأليف

العالم المحدث الحجة

أحمد بن محمد بن الصديق الغماري الحسني

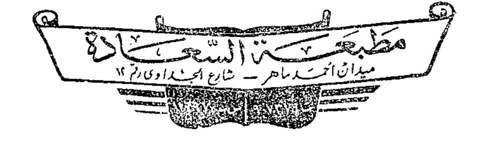
الطبعـــة الأولى

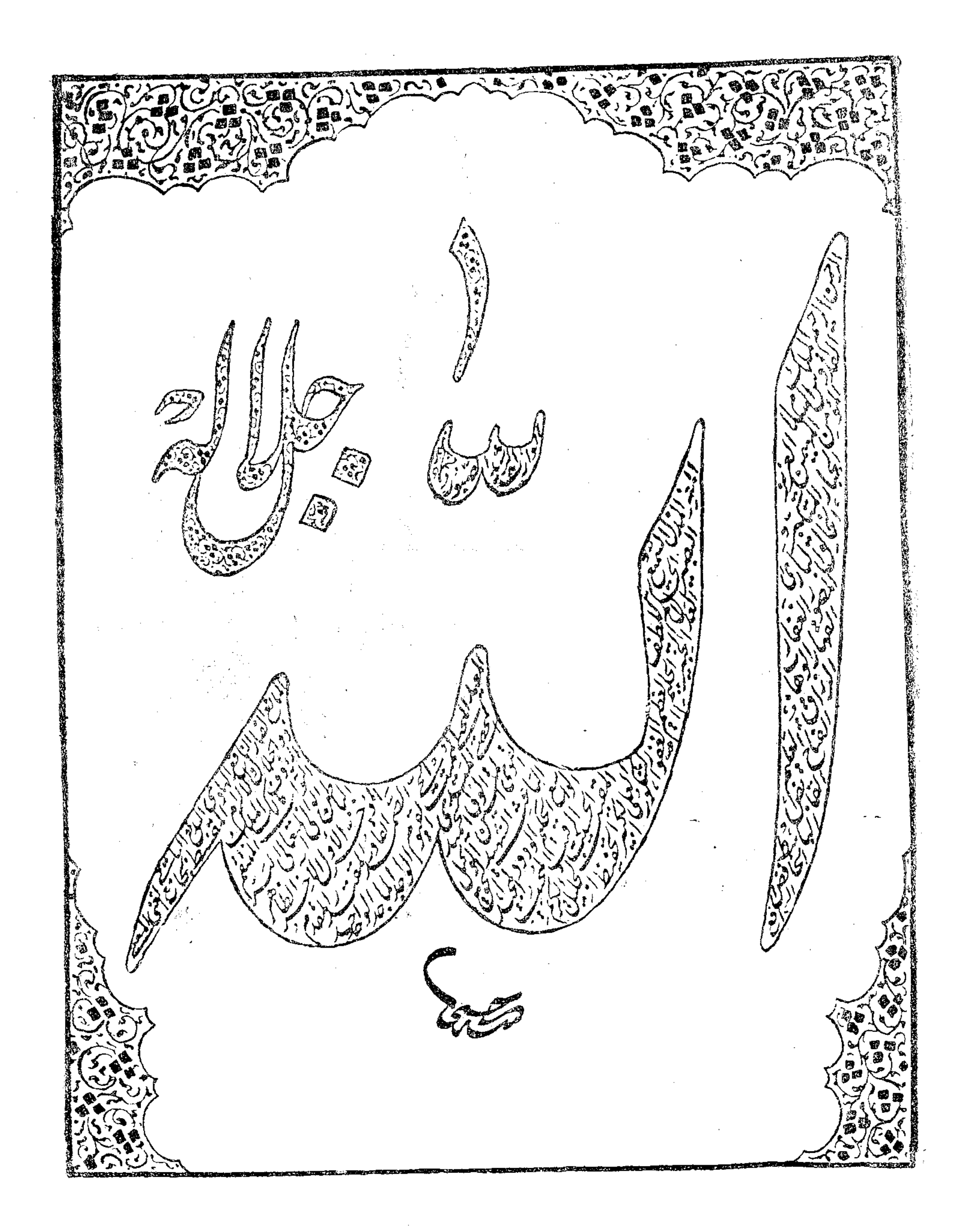
القاهرة ١٣٨٩هـ — ١٩٦٩م

تحقيق

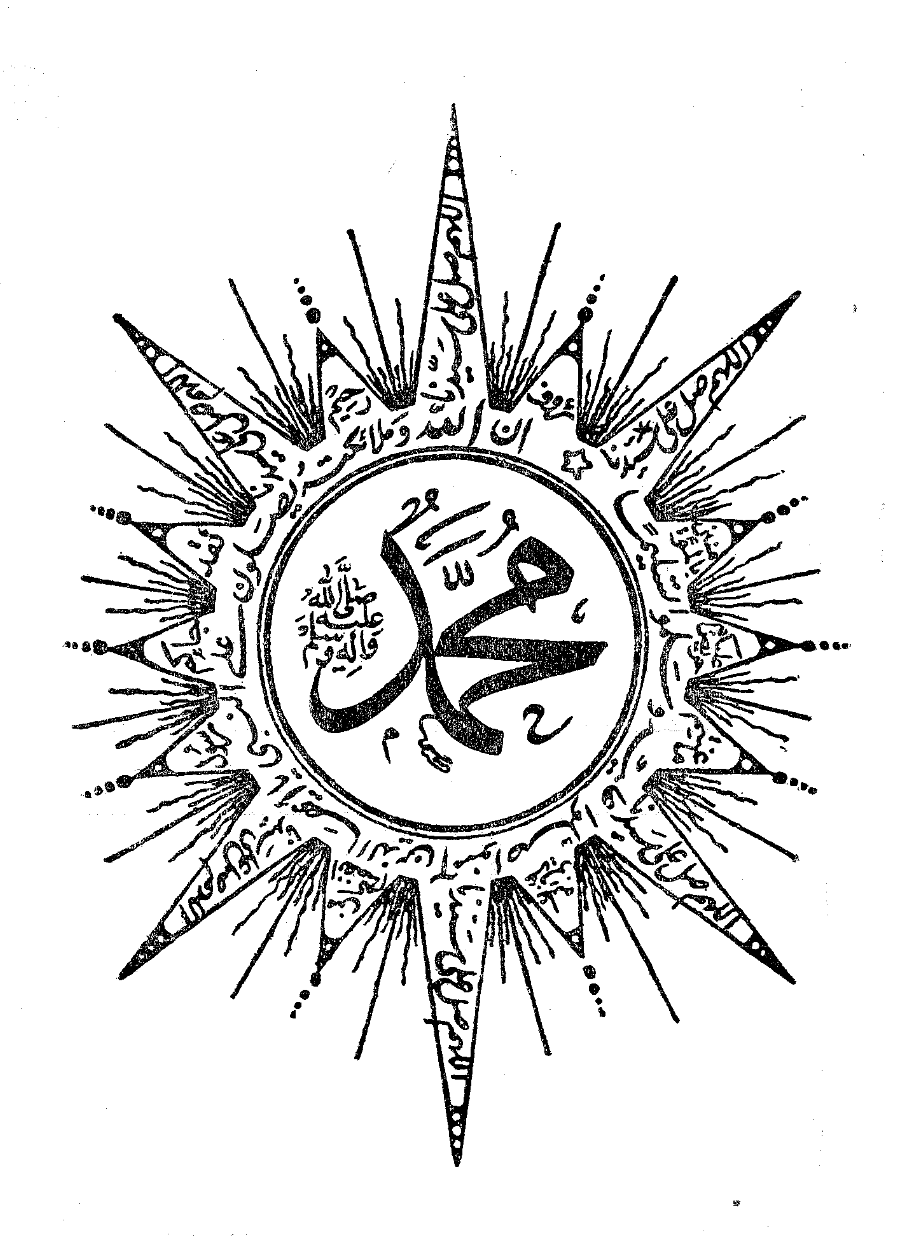


النقشبندى

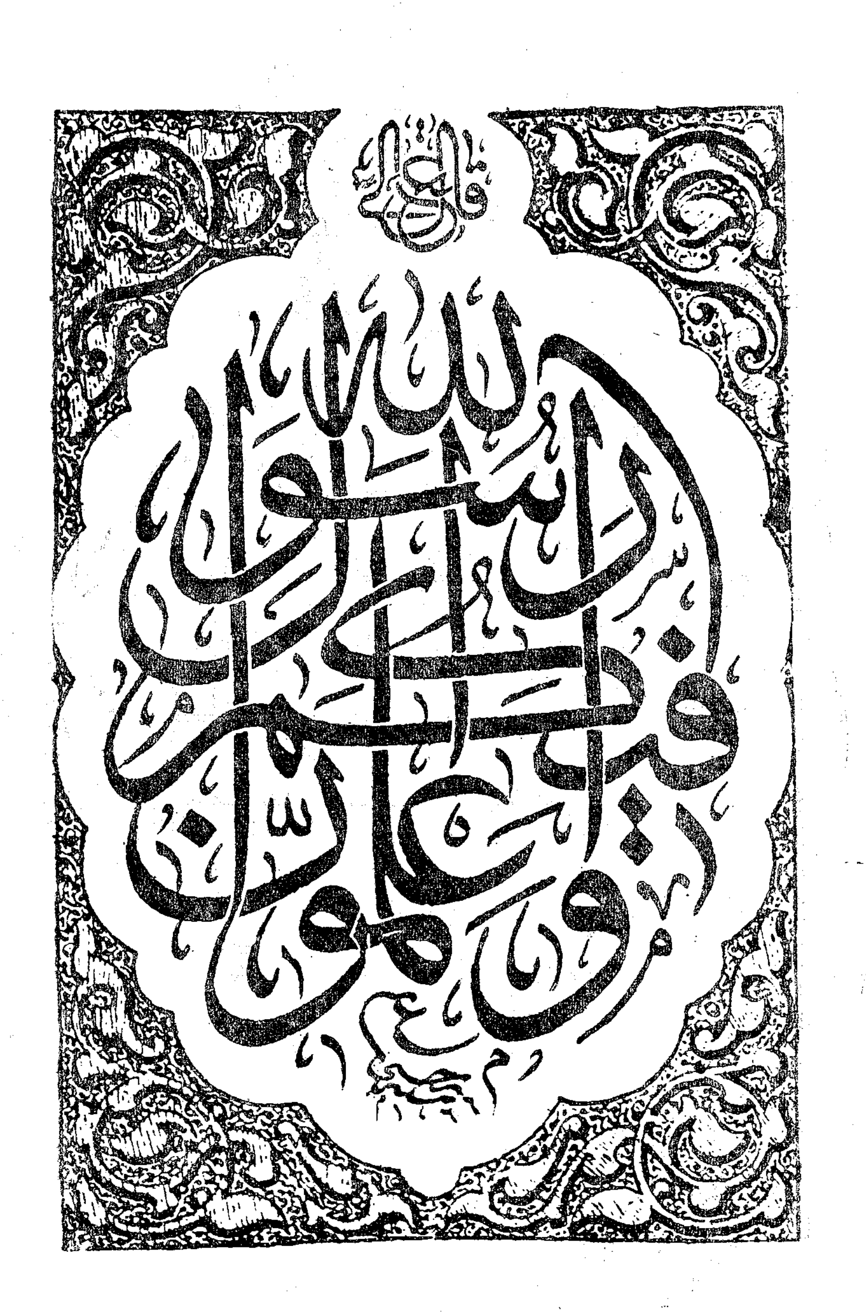




الله
جل جلاله



محمد
صلى الله عليه وآله وسلم





بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله الأمين سيدنا محمد النبي الصادق الكريم وآله وسلم تسليماً كثيراً .

يشرفني أن أقدم لأول مرة – أمانة لشيخي وعرفانا بفضل الله على دار الرسالة المؤتمن على بعض خزائنها العلمية والروحية – هذا المؤلف النفيس العزيز لكتاب – علي بن أبي طالب امام العارفين – سلام الله تعالى عليه ورضاه – والمعنون بكتاب البرهان الجلي على صحة انتساب الصوفية الى علي كرم الله وجهه – ومعه كتاب – فتح الملك العلي في صحة حديث باب مدينة العلم علي عليه السلام – لشيخي العارف بالله – العالم المحدث والقطب الروحاني ولي الله الذي يرى نور النبوة والسنة بين جنبيه – الشيخ أحمد بن محمد الصديق الحسني الادريسي رضوان الله تعالى عليه – شيخي الذي تشرفت بلقائه وصحبته والاقتداء به – ما وفقني ربي – والذي لايزال حيا بالنسبة لي – ومازلت بحمد الله والصلاة والسلام على سيدي

رسول الله وآله متشرفا بصحبته ـ ملتمسا المدد وامداده
الموصول بسيد الأنام صلوات الله تعالى وتسليمه عليه
وعلى آله وهو عين الوجود وفضل صحابته صلى الله عليه
وعلى آله وسلم تسليما تاما مباركا فيه .

أحمد الصديق بن محمد يا أطيب أنوار المدحة السنية
حجة العلماء وتاجهم بحضره وبيادته الأنا أنوارها المنية
والفضل فيما أرى للمنان ه أضاء بنور أحمد أركان البرية

ذلك الكتاب نفحة من علمه ورشفة من بحره الزاخر في العلوم
والحديث والسيرة والسنة المنيرة والتاريخ وبيان لحفظه
الغريب رضى الله تعالى عنه ومكانته الظاهرة والباطنة
وقدرته على اسناد العلوم والمعارف الى اصول خزائنها
وينابيعها ـ فانتساب الصوفية إلى سيدنا الامام على
كرم الله وجهه ـ أمر يعرفه أولو البصائر من السادة
الصوفية الغارقين في بحور معارفه ـ ويحققه هنا
بجلاء وصفاء ولى الله الوارث المحمدى أحمد بن الصديق
رضوان الله تعالى عليه ـ ليستيقن الذين أوتوا العلم
من قبل ويزداد الذين آمنوا إيمانا ويسعد المؤمنون به ـ
وليكون حجة على زائغى القلوب والأبصار أو ضعفائها

ممن لم يتذوقوا بعد من هذا المنهل الصافي ولم يتمكنوا من
معرفة التاريخ الصحيح - أو أولئك الذين ينكرونه
بلا علم أو دراية .

يا أسفي على نفس ما تذوقت ، بكأس الهوى مدامة قربتي

والله المستعان على كشف الغشاوة عن الأبصار لتستنير
القلوب بمرآة البصائر والأفئدة . والصلاة والسلام
على سيدنا ومولانا محمد رسول الله الفاتح لما أغلق .

وإن كان التصوف أصلا هو العمل بالعلم على وجه
الإخلاص - كما قال شيخي أحمد الصديق - والأخذ
بالعزائم دون الرخص فذلك - عمل أهل اليقين -
وهم أعلى مراتب الناجين العابدين - وأقربهم الى الله تعالى
إيمانا وتسليما وتشبيها وتنزيها - فقول سيدنا علي عليه
السلام - لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا - مدلول
ضخم على قدر ما تجلى في مرآته عليه السلام من علوم الدنيا
والآخرة ومعارفها وحقائقها ومسالكها وعلو منزلته باليقين
عند الله عز وجل - وما أودع في علمه وما اختصه الله
تعالى من أسرار ومعارف رأى بها ما لم يره بشر مثله
حتى كان يقول عليه السلام - سلوني ..

وفى حياة سيدنا الامام على كرم الله وجهه الوضوح الكافى على أنه عليه السلام قدوة أمتنا بعد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم - وقرابتنا إليه - عليه الصلاة والسلام وعلى آله - وَرِّث وأوتى علوم الأنبياء وحجتهم ويقين العارف بالله والعالم بالحق وبنوره - وجاهد جهاد أولى العزم من أصحاب الرسالات - وزهد زهد الراغبين عن كل شىء إلا وجه الله تعالى - أبو تراب - وكانت حياته الدنيوية على هامش معارفه الألهية وكانت دنياه - على عظم رسالته التى حملها واطلع بها منذ شبابه عليه السلام - وانجازاته وأعبائه فترة خلافته عليه السلام - كانت الدنيا بالنسبة له أياما تُقْضَى يؤدى فيها الأمانة وينقل بها الرسالة الى خلفاء أمتنا المحمدية متوارثين فى أقطارها وأبدالها يحملونها بنور الله الى يوم تُسَلَّمُ فيه الأمانات ويلقون فيه ربهم بالتحيات - رضى الله تعالى عنهم أجمعين .

هو الله نور جامع . تراه العين بنور بصيرتى

هو هو النور الحق . ما تجلى المؤمن بمرآة حقيقتى

هو النور لى يقينا • فعلى نوره صفت هدايتى

وهو نوره أنا يقينا إزاء • ما تخلت عنى شريعتى

هو نور على نوره • حال التجلى المطلق كرمتى

مولاى صلى وسلم دائما • أبدا على حبيبك خير البرية

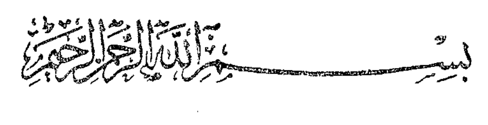
وطريق الصوفية واضح لا زيغ فيه ولا لبس — طريق مجاهدة النفس مع العبادة والذكر وصدق التوجه حتى تقوى البصيرة فتدرك بواطن الأمور وحقائق الأحوال والتجليات — وتتجلى إرادة الحق تعالى فى مرآة بصيرتهم فلا يرون فيها وبها سوى الأنوار الربانية — فتتجلى فى مرآة الذاكرين حقيقة تجليات الوجود اللدنية (المؤمن مرآة المؤمن) فينعمون بالأنوار الإلهية وهم لا يزالون فى خلقة الأشباح الدنيوية — سلوكا على معبر الروح — يرون بنور الله واليقين به ما لا يراه غيرهم — فهم خاصة عباد الله فى الأولى والآخرة — ويوم القيامة يتمم الله لهم نورهم بالتجلى الأعظم فيلتقى النور بالنور والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسول الله الأعظم وحبيبه الأكرم ونوره الأكمل — وهو النور الذى يعرفه الذاكرون فى دنيانا

قبل الآخرة – ألا بذكر الله تطمئن القلوب – إلى ربها في حياتها ومآلها – سبحانك اللهم صلى وسلم وبارك دائما أبدا على سيدنا محمد النبى الكريم وآله صلاة وتسليما تاما مباركا فيه – ما ذكره الذاكرون وما غفل عن ذكره الغافلون – اللهم وارزقنا حسن الأدب وصدق التوجه والتأدب في الذكر.

ذكر الله باسم الكمال ٭ من بنوره انشقت لورود
سناه يجلو كل ذرة ٭ شذاه أطيب ما في الوجود
ذكر الله الذى اجتبى ٭ قطب الزمان مشكاة لورود
وما من ذرة في الكون ٭ إلا بنوره قائمة في الوجود
مولاى صلى وسلم دائما ٭ أبدا على حبيبك عين الوجود

رضى الله سبحانه وتعالى عنك – يا سيد أحمد الصديق – وأرضاك ونفع بك عباد الله المخلصين والعلماء العاملين والصوفية على وجه اليقين والحمد لله رب العالمين.

حسن محمد التهامى



ترجمة المؤلف

هو الإمام المجتهد ، خاتمة الحفاظ ، فارس المعانى والألفاظ . محيي السنة ، والداعى إليها . ومميت البدعة ، والناعى عليها . أبو الفيض أحمد بن الشيخ الإمام المجتهد القدوة ، الحافظ الحجة . مربى المريدين ، وقطب الواصلين : أبى عبد الله شمس الدين محمد بن الولى الكبير ، والبدل الشهير : محمد الصديق بن القطب الغوث الجامع بين علمى الشريعة والحقيقة : أبى العباس أحمد بن محمد آل عبد المؤمن التُّجكانى المنصورى ، الشريف الحسنى الإدريسى . ينتهى نسبه إلى إدريس بن عبد الله المحض أبى الحسن المثنى بن الحسن بن على عليهم السلام .

نسب كأن عليه من شمس الضحا نوراً وفى فلق الصباح عمودا

ووالدته بنت العارف بالله ، الذاكر الله ، التالى لكتاب الله ، عبد الحفيظ ابن الولى الكبير ، العلامة الشهير : أحمد بن القطب الكبير ، لسان الصوفية ، المعبر عن أذواقهم ومواجيدهم ، بأفصح عبارة ، وأعذب إشارة : أحمد بن محمد الحجوجى الحسنى الإدريسى ، الشهير بابن عجيبة . صاحب التفسير وشرح الحكم وغيرهما .

فقد جمع المؤلف الشرف من الجهتين ، وضم أسباب المجد من الطرفين .

ولد سنة ١٣٢٠ هـ ، بقبيلة بنى سعيد ، فى بيت عمته ، حيث كان الشيخ الإمام والده فى زيارتها . وسماه باسم جده سيدى الحاج أحمد بن عبد المؤمن الذى كان إلى جانب حفظه للقراءات السبعة ، وإمامته فى الفقه وعلوم العربية ، يحفظ

صحيح البخارى فعادت عليه بركة تلك التسمية ، وسرى فيه سر صاحبها . فصار من كبار حفاظ الحديث ، بل أمير المؤمنين فيه .

نشأ فى بيت علم وتصوف ، ووالاه الشيخ الإمام والده بعنايته فى تربيته على الأخلاق الفاضلة ، وتعويده على الفتوة والرجولة الكاملة ، حفظ القرآن الكريم فى سن مبكرة ، وصلى تراويح رمضان بوالديه فى البيت ، بالختمة كلها . وعادة أهل المغرب فى صلاة التراويح ، قراءة الختمة كلها فى رمضان ، بواقع جزء من القرآن كل ليلة . وكان فى صغره يحضر دروس الشيخ الإمام والده فى صحيح البخارى ، فيسمع منه الحض على جهاد الكفار ، ووجوب الاستعداد لذلك ، فاتجه إلى تعلم الرماية ، ومهر فيها حتى صار يصيب من العشرة عشرة ، واقتنى أجود المسدسات والبندقيات ، استعداداً للجهاد الذى كان يتوق إليه . ويقتنى ـ إلى جانب ذلك ـ كتب التفسير والحديث والفقه والتصوف ، حتى جمع مكتبة عظيمة أنشأ لها غرفة خاصة فى الزاوية الصديقية . ولما أمر الشيخ الإمام والده الإخوان الصديقين المقيمين بالزاوية : أن يحفظوا القرآن ، كتب المؤلف لهذه المناسبة كتاب « رياض التنزيه فى فضل القرآن وفضل حامليه » وهو باكورة انتاجه العلمى ، وكان سنه حين كتبه أقل من التاسعة عشرة . وإذا رأيت ذلك الكتاب ، ورأيت ما فيه من فصول ممتعة ، وبحوث قيمة . ثم رأيت العارف الشيخ عبد الرحمن الأخضر يعتذر فى آخر منظومة السلم ، بصغر سنه حيث يقول :

ولبنى إحدى وعشرين سنَهْ معـــذرة مقبولة مستحسنَهْ

عرفت فضل الله على المؤلف ، وعظم ما وهب له . ولا عجب فى ذلك . فإن آل الصديق هيأهم الله للعلم ، وجعلهم أهلا له . كان الشيخ الإمام والد المؤلف رضى الله عنه يقول ـ متحدثاً بنعمة الله تعالى ـ : العلم مضمون لنا . وظهر مصداق كلامه ، فى مؤلفنا العظيم . ذلك أن جملة سنى حضوره ، سنتان . هما

سنة ٣٩ — ٤٠ هجرية . حصل فيهما من العلم ، ما لم يحصله غيره ، فى عشرات السنين . ومما ألفه فى شبابه ـ وهو دون العشرين ـ كتاب : « تنوير الحُلْبوب بمكفرات الذنوب » وهو ثانى تأليف له .

ولما وصل إلى الأزهر ، لحضور العلم . اشتغل أثناء ذلك بتخريج أحاديث الشهاب للقضاعى ، وكتاب الشهاب ، فيه مائتان وألف حديث . من غير ذكر صحابى ، ولا عزو إلى أى كتاب . وقد شرع فى تخريج أحاديثه العلامة المحدث السيد محمد بن جعفر الكتانى رحمه الله . لكنه لم يتمه ، لأنه وجد فيه أحاديث غريبة لم يجد لها مخرجاً . فجاء المؤلف وخرج تلك الأحاديث كلها حديثاً حديثاً ، مع بيان رتبتها ، وذكر شواهد لها . بل كتب تخريجين لها : أحدهما صغير ، فى مجلد ، سماه : « بغية الطلاب بتخريج أحاديث الشهاب » ، ثم سماه أيضاً « فتح الوهاب » والآخر . كبير فى مجلدين ، سماه « الإسهاب فى تخريج أحاديث الشهاب » يذكر فيه الحديث بإسناده منه إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم . على طريقة الحافظ ابن عساكر فى تاريخ الشام . وأضرابه من الحفاظ الذين يروون فى كتبهم ، الأحاديث بأسانيدهم ، وهى طريقة عزيزة لم يسلكها أحد بعد ابن عساكر (٥٧١ هـ) إلا المؤلف . وهى تدل على كثرة الحفظ ، وسعة الرواية . وله غير هذا مؤلفات كثيرة ، بلغت عشرين ومائة كتاب ، كلها ما بين حسن وأحسن ، وجيد وأجود . وكثير منها أنشأه جوابا لسؤال ، أو تسجيلا لمناقشة ، أوردا على منكر بغير حجة .

سئل عن حديث : « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا » فألف رسالة سماها : « إياك من الاغترار بحديث أعمل لدنياك » .

وفى إحدى زياراته لفاس ، حصلت مناقشة بينه وبين بعض العلماء هناك فى رفع اليدين فى الدعاء عقب الصلاة . وادعى ذلك العالم أنه بدعة ، فألف رسالة

سماها : «المنح المطلوبة فى استحباب رفع اليدين فى الدعاء بعد الصلوات المكتوبة» طبعت بفاس .

وبلغه أن شيخاً يسمى الرمانى من أهل الغريبة ـ قبيلة بجوار مدينة أصيلا بالمغرب ـ ينكر حديث : « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق » بانياً إنكاره على أن الطائفة غير ظاهرة اليوم ، ولا موجودة : فكتب رسالة سماها « الأجوبة الصارفة عن أشكال حديث الطائفة » أثبت فيها تواتر الحديث ، وبين معناه بما أزال عنه كل إشكال : وكتب المحدث السيد عبد الحى الكتانى رسالة ذكر فيها أن حديث « ومن لغافلا جمعة له» غير موجود فى كتب الحديث وأنه بحث عنه فى عدة كتب حديثية فلم يجده : فرد عليه المؤلف برسالة بين فيها أن الحديث موجود فى تاريخ واسط للحافظ أسلم بن سهل الواسطى أحد شيوخ الطبرانى : ونقل الحديث بإسناده من الكتاب المذكور ، وهو كتاب نادر . وصحف الكتانى حديث « من فارق الدنيا على الإخلاص » فكتبه « من رزق الدنيا » وبنى عليه أن الحديث يحض على اقتناء الدنيا ، فرد عليه المؤلف برسالة سماها «وسائل الخلاص من التحريف فى حديث من فارق الدنيا على الإخلاص».

وأمره الشيخ الإمام والده بالرد على ابن خلدون فى الفصل الذى عقده فى مقدمة تاريخه ، للكلام على المهدى ، حيث ضعف أحاديثه ، وجرح رجال أسانيدها . فألف كتاب « إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون » أثبت فيه تواتر أحاديث المهدى . وأبدى براعة فى الكلام على الرجال فى التوثيق والتضعيف . وناقش فى ذلك مناقشة دلت على بلوغه درجة الاجتهاد فى علم الرجال . وقد طبع فى دمشق ، ونقل عنه علامة حلب ومؤرخها المرحوم الشيخ محمد راغب الطباخ ، فى المقدمة التى كتبها لمعالم السنن . وإذا قابلت هذا الكتاب بما كتبه المرحوم الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطى ، فى المهدى وعيسى عليهما السلام . وهى رسالة

مطبوعة بمصر ، وجدت فرقاً واسعاً بينهما ، وتأكدت أن ما كتبه الشنقيطى إنما يصدر عن طالب مبتدىء ، لم يعرف شيئاً من قواعد العلم .

ومما ألفه ولم يسبق إليه كتاب : « حصول التفريج بأصول العزو والتخريج » تكلم فيه على بدء تخريج الأحاديث متى كان ؟ وبيّن شروطه وقواعده . والمؤلف يعتبر منشىء هذا الفن ومخترعه ، كما كان الإمام الشافعى منشىء علم الأصول . ولم يتكلم أحد من الذين اشتغلوا بالتخريج ، فى هذا الفن ، ولا حاموا حوله . كالبيهقى والزركشى وابن الملقن والزيلعى والعراقى وابن حجر والسيوطى وغيرهم .

ومن مؤلفاته التى لم يسبق إليها أيضاً كتاب سماه «ليس كذلك» وموضوعه التعقيب على الحفاظ فى بعض إطلاقاتهم ، كأن يقول :الإمام أحمد أو ابن معين فى حديث ليس له إلا طريق واحد ، فيقول المؤلف : ليس كذلك ، بل له طريق آخر ، ويذكره . أو يقول : ليس له طريق صحيح ، فيقول المؤلف : ليس كذلك ، بل له طريق صحيح ، ويبينه . أو : الراوى فلان ، ليس له متابع ، فيقول المؤلف ليس كذلك ، بل تابعه فلان ، ويذكر متابعته .

وهو يدل على سعة حفظه ، وشدة اطلاعه . إذ لا يقدر على إثبات ما نفاه الحفاظ الكبار ، كأحمد وابن معين والذهبى والعراقى وابن حجر ، إلا من كان واسع الحفظ ، شديد الاطلاع .

ومن غرائب مؤلفاته رضى الله عنه التى لم يسبق إليها : كتاب مسند الجن ، وهو كتاب غريب ، ذكر فيه الأحاديث التى رواها الجن عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم . ومنهم زوبعة الجنى الصحابى وهو مذكور فى الإصابة .

وكتب حاشية على شرح المناوى للجامع الصغير ، المسمى بالتفسير . وسماها : المداوى لعلل المناوى » ناقش فيها أغلاط المناوى فى التصحيح والتضعيف ، وفى الكلام على الرجال ، وهى فى أربعة مجلدات كبار .

وخرّج أحاديث بداية المجتهد ، لابن رشد ، وسمى تخريجه « هداية الرشد بتخريج أحاديث بداية ابن رشد » وهو فى مجلدين . لا يستغنى عنه علماء الشريعة ، والباحثون فى الخلاف العالى . بل من أراد الاجتهاد ، فهذا الكتاب يكفيه .

وشرح رسالة ابن أبى زيد القيروانى المالكى بالدليل ، وسماه مسالك الدلالة . وعلى كثرة شروحها التى بلغت مائة شرح أو أكثر ، لم يشرحها أحد بالدليل قبل المؤلف . يذكر المتن ، ويعقبه بذكر دليله : إما آية أو حديث أو قياس أو إجماع ، أو دليل من الأدلة التى يعتمدها المالكية ، كعمل أهل المدينة أو قول الصحابى والاستصلاح .

ومن هذا الشرح كتب أصغر أشقائه شرحاً على العشماوية بالدليل أيضاً .

ولما ألف الشيخ محمد الخضر الشنقيطى ، رسالة « إبرام النقض لما قيل من أرجحية القبض » رد عليه المؤلف بكتاب كبير سماه « المثنونى والبتار فى نحر العنيد المعثار الطاعن فيما صح من السنن والآثار » اطلع الشيخ الخضر على ملازم من مقدمته فأفحم وأخذه العى والحصر .

نشأ منذ صغره ميالا لمعرفة الدليل ، لا يقبل قولا بغير دليله ، وذلك لما كان يسمع من الشيخ الإمام والده ، فى دروس صحيح البخارى ، من تقرير الأدلة ، والترجيح بين المذاهب ، حسب موافقتها للدليل . وكان يسمعه وهو يحض على العمل بالسنة ؛ فنشأ محباً لها ، ولذلك ترك مذهب المالكية ، لأنهم يذكرون الفقه أحكاماً مجردة عن الدليل ، إلا فى كتب ابن عبد البر والباجى وأضرابهما ، وتمسك بمذهب الشافعية ، لأن كتبهم تذكر لكل حكم دليله . ثم رأى وجوب الاجتهاد عليه ، فترك التقليد ، ودعا إلى العمل بالسنة ، ولاقى فى دعوته ، من متعصبة المقلدين ، وجهلة المتعالمين . إسفافاً فى القول ، ورمياً بالبهتان ، وعناداً

يؤدى إلى الضلال . فلم يثنه ذلك عن عزمه ، ولا فتّ فى عضده . بل صبر وصابر ، وقابل إسفافهم بالجد ، وبهتانهم بالصدق وعنادهم بالحجة الدامغة. فاستنارت بكلامه عقول ، وتفتحت له قلوب ، وأوجد مدرسة للعمل بالسنة ، لا ثانى لها فى شمال أفريقيا .

وكان يحب الإمام الشافعى رضى الله عنه محبة خاصة ، لأسباب ، منها : أنه كان يدعو إلى السنة والعمل بها ، ولقى من تعنت الحنفية بالعراق ، والمالكية بمصر . مثل ما لقى المؤلف من المقلدين اليوم ، ومنها : أن الشافعى كان يحب أهل البيت ، وكلامه يومىء بتفضيل الإمام علىّ على جميع الصحابة ، ومنها : أن الصوفية يعدون الإمام الشافعى منهم ، ويقولون : إنه نال رتبة البدلية ، وقد كان شقيقه العلامة الكبير المحدث الخطير السيد عبدالله الصديق ، رأى له رؤيا تدل على أنه يكون خليفة الإمام الشافعى ويسير على نهجه ، وقد حصلت هذه الرؤيا ، وهو لا يزال فى الكُتاب يحفظ القرآن . فتحققت — فيما بعد — باجتهاد المؤلف ، ونصرته للسنة ، ودعوته للعمل بها . كما اجتهد الشافعى بعد أن كان مالكياً ، ونصر السنة بالعراق ، بين متعصبة الحنفية ، وبمصر مقر المالكية ، فى ذلك الوقت .

أملى المؤلف مجالس حديثية ، فى طنجة بالزاوية الصديقية ، وفى مصر ، بجامع سيدنا الحسين عليه السلام ، ومسجد الكيخيا ، فأحيا سنة الإملاء ، بعد انقراضها بسنين عديدة .

وطريقة إملائه : أن يلقى الحديث بإسناده منه إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، ويشرع فى شرحه وذكر شواهده ، وما يتصل به من فوائد وآداب ، فى مدى ثلاث ساعات . فيدهش السامعين بقوة حفظه ، وفصاحة لسانه وحسن بيانه ، ومن الطرائف أنه أملى مرة بالزاوية الصديقة ، حديثاً فى سنن البيهقى ، وكان إسناده عجيباً ، يتسلسل برواية مرضى : حدثنا الأعمش عن الأعرج عن الأصم

عن الزمن . . إلخ ؛ فلما انتهى الإملاء . قال له بعض الظرفاء : أخبرنى فى أى مستقشفى رويت هذا الحديث ؟ وإن المؤرخ الشيخ عبد الرحمن الجبرتى الذى وصف إملاء السيد مرتضى الزبيدى ، وأثنى عليه ، لو شاهد إملاء المؤلف لاعترف بأنه أكبر وأوفى من إملاء صاحبه . ولقد رأيت مجالس إملاء ، لبعض كبار الحفاظ ، فوجدناها ضئيلة ، لا يبلغ مجموعها مجلساً واحداً من إملاء المؤلف .

وكان رضى الله عنه جميل الصورة ، بهى الطلعة ، إذا قابلته ، رأيت فى وجهه تلك البهجة التى دعا بها النبى صلى الله عليه وسلم لحفاظ حديثه ، حيث قال : « نضّر الله امرأ سمع مقالتى فوعاها فأداها كما سمعها » بشوش الوجه ، سخى اليد ، كريم النفس ، مرضى الخلق . شجاعاً جريئاً ، لايهاب الموت ، ولا يخشى السلطان ، وله وقائع مع السلطات الاستعمارية الفرنسية والأسبانية ، نشرتها الجرائد الأجنبية فى أوربا ، منوهة بجراءته ، وكان عالى الهمة ، لا يعطى الدنية ، ولا يرضى الضيم ، يتواضع مع الضعفاء والمساكين ، ويساعدهم بماله وبجاهه وكان يكره تقليد الأفرنج فى أكلهم ولبسهم وعاداتهم التى تنافى روح الإسلام ؛ دعاه المرحوم الشيخ الظواهرى شيخ الأزهر إلى حفلة غداء ، إحتفالا بالشيخ عبد الحى السكتانى عند عودته من الحج ، وكان من جملة الحاضرين المدعوين الشيخ محمد الخضر حسين والشيخ عبد المجيد اللبان والشيخ التفتازانى ، ودُعُوا إلى المائدة ، فإذا عليها شوك ، فأكل بيده ، ولم يستعمل الشوكة ، فقال الشيخ الظواهرى : وأنا آكل بيدى كما فعل الشيخ ابن الصديق ، وإن كان النبى صلى الله عليه وسلم قد أكل التمر ، بشوك النخل ، فسأله المؤلف : أين يوجد هذا الحديث ؟ قال : فى الجامع الكبير ، قال : لا يوجد فيه هذا الحديث . قال : هل أحطت بأحاديث الجامع الكبير ؟ قال : نعم ، وهذا الشيخ الكتانى بجانبك فاسأله ، فسأله فوافق المؤلف على أن الحديث غير موجود ، وهكذا كان فى التمسك بالحق ، لا يحابى فيه أحداً ،

ولا يجامله ، وله فى هذا الباب حوادث كثيرة مع علماء الأزهر ، يغلبهم بقوة حجته ، ويصكهم صك الجندل ، وبالجملة فهو مجتهد العصر وإمامه . قام بفريضة تجديد الدين ، وتحمل عبء الدعوة إلى السنة ونشرها ، جزاه الله خير ما يجزى به المجتهدين المجددين ، آمين .

هذا الكتاب

المؤلف رضى الله عنه ، صوفى بفطرته ، شاذلى المشرب منذ نشأته ، يحب الصوفية ويعتقدهم ، ويدافع عنهم بلسانه وقلمه ، ويعترف بما وهبهم الله من أذواق ومعارف وأسرار ، ويزور الأولياء أحياء وأمواتاً ، يلتمس بركتهم .

وكان لا يحب ابن تيمية ، لانحرافه عن أهل البيت ، وعن الصوفية ، ويرى أن الله عاقبه ، فجعل كتبه عمدة المبتدعة ، فلا تجد ناصبياً ولا وهابياً ولا غيرهما ، ألا وهو يستند إلى ابن تيمية ، ويحتج لابتداعه وضلاله بما فى مؤلفاته .

وكان – مع إعجابه بالحافظ ابن حجر – يكره منه انحرافه عن الصوفية ، وإن كان لم يجرد قلمه لشتمهم وتكفيرهم كما فعل ابن تيمية .

ولما رد على ابن خلدون فى الفصل الذى كتبه عن المهدى ، وجده تعرّض للصوفية ، واعترض عليهم فى أشياء ، منها : انتسابهم للإمام علىّ عليه السلام ، وأنكر سماع الحسن البصرى من علىّ ، كما أنكره كثير من الحفاظ ، فألّف هذا الكتاب للأغراض الآتية :

(١) بيان سماع الحسن البصرى من علىّ عليه السلام ، بالطرق المعروفة عند أهل الحديث .

(٢) مناقشة ابن تيمية وابن خلدون ، ورد كلامهما بالحجة والبرهان .

(٣) بيان سبب اختصاص الصوفية بعلىّ ، وانتسابهم إليه .

(٤) بيان كثير من الخرق الصوفية ، ومنها ما هو غير معروف اليوم .

(٥) بيان سند الشاذلية بطريقى الصحبة ، وبطريق الخرقة .

(٦) بيان أن سند الصوفية متصل بعلىّ عليه السلام ، ليس فى انقطاع ، ولا إرسال .

وإذا أردت أن تعرف فضل هذا الكتاب ، وما ضمه بين دفتيه من بحث وتحقيق ، فاقرأ رسالة « اتحاف الفرقة برفو الخرقة » للحافظ السيوطى ، فإنك حين تقرأها لا تملك إلا أن تعترف بأن المؤلف هبة ، ادخرها الله لهذا العصر ، ليبين لعباده أن فضله ممدود ، وأن عطاءه غير محدود . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ؟





المقدمة

علم التصوف من أشرف العلوم وضعاً ، وأكثرها نفعاً ، جليل المقدار ، عالى المنار . علم يزكى النفوس ، ويخلصها من أدوائها ، ويصفى مرآة القلوب ، فتشرق عليها أنوار بارئها . علم يرقى الأرواح ، فى مراقى الفلاح ، ويهذب الطباع الخبيثة الردية ، فتصير أخلاقاً حميدة رضية .

أهله خيرة الله من خليقته ، والصفوة الممتازة من بريته ، عبدوه بصدق الأخلاص وإخلاص الصدق ، فبدا لهم من لوامع تجلياته ، وطوالع نفحاته . ما أشهدهم سر الحق فى الخلق ، وعرفهم حكمته فى مقام الجمع والفرق .

أهل التصوف هم — كما يقول الغزالى — السابقون لطريق الله وخاصته . سيرتهم أحسن السير ، وطريقتهم أصوب الطرق ، وأخلاقهم أزكى الأخلاق ، بل لو جمع عقل العقلاء ، وحكمة الحكماء ، وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ، ليغيروا شيئاً من سيرهم وأخلاقهم ، ويبدلوه بما هو خير منه ، لم يجدوا إليه سبيلاً . فإن جميع حركاتهم وسكناتهم ، فى ظاهرهم وباطنهم ، مقتبسة من نور مشكاة النبوة ، وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به . وبالجملة فماذا يقول القائلون فى طريق ، طهارتها — وهى أول شروطها — تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى . ومفتاحها الجارى منها مجرى التحريم من الصلاة . استغراق القلب بالكلية ، بذكر الله . وآخرها : الفناء بالكلية فى الله .

ويقول أيضاً : حاصل عمل الصوفية قطع عقبات النفس ، والتنزه عن أخلاقها المذمومة ، وصفاتها الخبيثة ، حتى يتوصل بها إلى تخلية القلب عن غير الله تعالى ، وتحليته بذكر الله انتهى .

فبداية التصوف تخلية عن مذموم الأخلاق والعادات ، وتحلية بمحاسن الأفعال والصفات . ونهايته فناء فى مشاهدة الله ، وصرف النظر عما سواه ، وسالكه لا بدّ له من شيخ يعلمه كيفية السلوك ، ويجنبه آفات النفس ودخائلها .

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر الأنصارى فى شأن المريد :

يصحب شيخاً عارف المسالك يقيه فى طريقه المهالك
يذكره الله إذا رآه ويوصل العبد إلى مولاهُ

وهكذا يتلقى كل شيخ منهم عمن فوقه أخذاً وتلقيناً ، حتى تنتهى السلسلة إلى الحسن بن أبى الحسن البصرى ، الذى تربى فى بيت أم المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها ، حيث كانت أمه خيرة مولاة لها ، ولطالما ألقمته أم سلمة ثديها . ولما حنكته بشعرة من لحية النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، كانت تحتفظ بها ، بلعها الحسن ، وهو يتلمظ بها ، فرزق ببركة ذلك فصاحة فى العبارة ، وحكمة فى القول ، حتى كان الناس يقولون عنه إذا سمعوا وعظه : كلامه يشبه كلام الأنبياء ، وهو قد تلقن عن أكثر الصحابة علماً ، وأقدمهم سلماً : الإمام علىّ عليه السلام . فإليه تنتهى سلسلة الصوفية ، أو خرقتهم كما يقولون . وعنه تلقيتْ حقائق التصوف ودقائقه ورقائقه . وهذا وإن كان متفقاً عليه بين الصوفية رضى الله عنهم، لا يختلفون فيه ، فإن غيرهم من العلماء وقف إزاء هذه السلسلة مواقف مختلفة : منهم من أنكر اتصال السلسلة ، وزعم أنها منقطعة ، اعتماداً على تصريح كثير من الحفاظ بأن الحسن لم يلق علياً عليه السلام ، بل صرحوا بأنه لم يلق بدريا قط . وهذا موقف ابن تيمية من الحفاظ ، وابن خلدون من الفقهاء والمؤرخين .

زاد ابن تيمية ، فأنكر اختصاص عليّ عليه السلام بعلم لا يكون عند الشيخين رضي الله عنهما .

وهذا نتيجة حقد دفين في قلبه . ومنهم من اعترف بانقطاع السلسلة أيضاً ، لكنه لا ينكر على أصحابها تمسكهم بها ، بل نراه يتلقنها منهم ، تبركاً بهم ، والتماساً لفضلهم . وهذا موقف الحافظ ابن الصلاح ، والحافظ السخاوي وغيرهما . ومنهم من أيَّدَ الصوفية في كلامهم ، وبيّن اتصال السلسلة بلقي الحسن لعليّ عليه السلام . وهذا موقف الحافظ السيوطي الذي ألّف رسالة إتحاف الفرقة برفو الخرقة ، وذكر فيها عشرة أحاديث ، يرويها الحسن عن عليّ عليه السلام ، لكنها معنعنة لم يقع التصريح بالتحديث إلا في حديث واحد منها . والحسن مدلس كما هو معروف ، لا يقبل منه إلا ما صرح فيه بالتحديث تصريحاً لا يحتمل تأويلا ، وذلك الحديث الذي صرح فيه بالتحديث ، نسب الغلط فيه إلى راوٍ قبل الحسن . وعلى ذلك لم تقطع رسالة الإتحاف حجة المنكرين ، وبقيت الخرقة في حاجة إلى رفو متين . وكل من جاء بعد السيوطي ممن كتب عن الصوفية وخرقتهم ، لم يزد على ما في رسالة الإتحاف جملة ، ولا أتى بما يروي غلة ، ولا يشفي علة ، حتى جاء مؤلفنا الإمام بكتابه « البرهان الجلي » فرفا الخرقة فيه رفواً محكماً ، صارت به أصح وأمتن ، وأقوى وأمكن ، وبيّن فيه أن معظم الذين حكموا بانقطاعها - وفيهم الحافظ ابن حجر - بنوا حكمهم على تقليد واسترواح ، ولو استعملوا حفظهم في البحث عن مرويات الحسن وتمحيصها ، لعلموا أنه سمع عليًّا عليه السلام ولقيه . ثم ذكر أحاديث من مسند أبي يعلى ، وسنن البيهقي وغيرهما ، ويصرح فيها الحسن بالسماع من عليّ ، تصريحاً لا احتمال فيه ولا غلط .

ثم عطف على ابن تيمية وابن خلدون فبيّن لهما بأدلة كثيرة اختصاص عليّ

بالتصوف ، وبعلوم أخرى لم تكن عند الشيخين رضى الله عنهما . وبسط تلك الأدلة ، ووضحها توضيحاً لا يدع مجالاً للشك والتردد :

منها : أن علم علىّ عليه السلام ، تواتر مثل شجاعته ، حتى صار مضرب المثل بين الناس جميعاً .

ومنها : أن الصحابة ـ وفى مقدمتهم الشيخان ـ اعترفوا له بالتقدم فى العلم ، ورجعوا إليه فيما أشكل عليهم .

ومنها : أنه لم يسمّ أحد من الصحابة بالإمام غيره .

ومنها : قول النبى عليه الصلاة والسلام : « أنا مدينة العلم وعلىّ بابها » .

وهذا الحديث هو الأصل فى الباب ، وهو السر اللباب ، فهو يشيد إمامة علىّ عليه السلام وتقدمه فى العلوم . كما يفيد أنه فى الحقيقة باب النبى صلى الله عليه وسلم ، وليس السيد البدوى رضى الله عنه ، كما يشاع عند العامة بمصر .

وهذا الحديث اختلفت فيه أنظار علماء الحديث ، فالناصبية والمنخدعون بهم من أهل السنة جزموا بوضعه . واقتصر آخرون على تضعيفه . ومنهم من سلك سبيل التوسط ، كالحافظ ابن حجر فإنه قال : ليس بموضوع ولا ضعيف ، ولكنه حديث حسن ، ولم يصححه إلا قليل من الحفاظ ، رمى بعضهم بالتشيع من أجل تصحيحه له ، لكن مؤلفنا الإمام ألّف كتاب « فتح الملك العلى بصحة حديث باب مدينة العلم علىّ » أثبت فيه صحة الحديث بتسعة مسالك ، لو رآها الحافظ ابن حجر ، لجزم بأن الحديث بلغ أعلى درجات الصحيح .

ثم عطف على الذين قالوا بوضع الحديث أو ضعفه أو تحسينه ، فناقشهم مناقشة طبيب بعلل الحديث ، خبير بقواعد التعديل والتجريح ، ماهر فى تطبيقها

أحسن تطبيق ، ومكنه إطلاعه الواسع من أن يلزمهم بقواعد أصَّلوها ، ثم غفلوا أو تغافلوا عنها .

وسلك فيه أسلوباً مبتكراً ، لم يسبق إليه ، فقد ألّف الحفاظ قبله أجزاء مفردة فى تصحيح أحاديث أو تحسينها ، كالحافظ العلائى ألّف جزءاً فى تحسين حديث « طلب العلم فريضة على كل مسلم » .

وألّف الحافظ العراقى جزءاً فى صحة حديث التوسعة يوم عاشوراء .

وألّف الحافظ ابن حجر جزءاً فى صحة حديث عموم المغفرة للحجاج .

لكن أسلوبه يفوق أسلوبهم تنسيقاً وترتيباً ، وتفريعاً وتبويباً ، بل طريقة تخريجه الأحاديث فى كتبه ، تخالف طريقة من قبله على نحوٍ أمتع ، وبأسلوب أنفع ، لا نستثنى من ذلك ابن حجر شيخ الحفاظ بدون منازع ، ولا غيره .

ولقد قال بعض أفاضل العلماء المعاصرين : إنه لاحظ أن كلام مؤلفنا الإمام فى تخريج الأحاديث ، أوسع من كلام الحافظ فى التلخيص الحبير ، وهكذا تجد كل تخاريجه ممتعة نافعة ، وكلما قرأت مؤلفاً من مؤلفاته ، ازددت يقيناً ببلوغه درجة الاجتهاد بجدارة واستحقاق ، ولو ذهبنا نذكر مؤلفاته ، ونبين ما امتاز كل مؤلف منها فى موضوعه ، أو أسلوبه ، أو جمعه وترتيبه ، لم تكف هذه المقدمة لذلك .

فلنقصر حديثنا على كتاب « البرهان الجلى ، وفتح الملك العلى » فهما أوضح دليل على صحة ما نقول ، لأنك لا تجد لهما نظيراً فى كتب التصوف والحديث ، لا فى موضوعهما ، ولا فى أسلوبهما ، ولا فيما اشتملا عليه من قواعد وفوائد ، يعز وجودها فى شىء من الكتب ، لأنها نتيجة خبرة واسعة ، وملاحظة دقيقة فى تطبيق القواعد ، وذهن وقاد . ومواهب أفاضها الله على مؤلفنا الإمام العظيم ، وأهله بها لأن يكون حجة العصر وإمامه ، يجدد أمر الدين ويقيم أعلامه .

ثم إن كتاب « فتح الملك العلى » يعتبر أصلا لكتاب البرهان الجلى ، وأساساً له ، لأن صحة حديث « أنا مدينة العلم وعلىّ بابها » ينبنى عليها صحة انتساب الصوفية إليه ، وأنهم أخذوا علومهم وحقائقهم عن إمام شهد له المعصوم صلى الله عليه وآله وسلم .

بل أمر بالتلقى عنه ، حيث قال فى آخر الحديث السابق : « فمن أراد العلم فليأت الباب » ولذلك كان طبع الكتابين معاً ، غاية التوفيق ، وعين الصواب ، لأنهما كما قدّمنا بمثابة أصل وفرع ، أو دليل ومدلول ، أو علة ومعلول .

فالتلازم بين موضوعيهما واضح للعيان ، والتناسب بينهما لا يحتاج إلى بيان ، والله الموفق وعليه التكلان .

مصطفى المصطفى من الأنبياء	يا علىّ العالين فى الأسماء
يا علىّ العالين فى كل وصف	من صفات الكمال فى الأعلياء
فى الوغى سيفك العلىّ المعلى	فى النهى رأيك العلى الضياء
مفرد أنت فى السماحة والتقى	وفى الدين والحجا والذكاء
شهد الله أن شخصك قد كا	ن أنقى الأشخاص دون مراء
صلة الأرض بالسماء تجلت	بل تحلت فى ذاتك العصماء
مثلما كنت للخلافة أقضى	كل من حازها بلا استثناء
ليلة الهجرة المنيفة تبقى	لك ذكرى وآية للفداء
يا أخاً للنبى أنعم وأكرم	بإخاء أعظم به من إخاء
إنما الناس دائماً لم يكونوا	غير ما هم عليه من أهواء



فهرست البرهان الجلى

صفحة

صفحة

صفحة

* * *

تنبيه

وقعت أخطاء مطبعية لم نتمكن لظروف قاهرة من تصويبها نعتذر عنها اعتماداً على ذكاء القراء الألباء ، ولكن لا يسعنا أن نترك مثل هاتين العبارتين أولاهما فى صفحة ١٥٩ سطر ١١ صوابها : ولبس أبو الفتح من أبى إسحاق بن شهريار المرشد الخ .

وفى الصفحة نفسها سطر ١٤ وصوابها : وصحب أبو عمرو شيخه أبا تراب النخشبى ، وصحب أبو تراب شيخه شقيقا البلخى .

وفى صحيفة ٢٠٢ سطر ٧ نقص ، التصويب قال: صافحت جبريل عليه السلام ، قال : صافحت كفى سرادقات . . الخ .

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، ملك يوم الدين ، إياك نعبد وإياك نستعين ، وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الملك الحق المبين ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الصادق الوعد الأمين ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ، لهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ، فلما كانت خرقة التصوف وأسانيد طرق الصوفية رضى الله عنهم أكثرها يتصل بأمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه ورضى عنه من رواية الحسن البصرى عنه ، وكان الناس مختلفين فى سماعه منه على قولين : فأثبت سماعه منه قوم ، ونفاه آخرون ، تقليداً لمن قال ذلك من المحدثين بدون دليل ولا برهان ، واستند إلى نفيهم جماعة فطعنوا فى خرقة التصوف وأسانيد الصوفية بالانقطاع وعدم الاتصال . أحببت أن أبين خطأهم فى ذلك وأحقق سماع الحسن من على عليه السلام ، واتصال السند من جهته بما لا يبقى معه شك ولا ارتياب ، وأجعل الكلام فى ذلك مع ابن تيمية وابن خلدون اللذين طعنا فى خرقة التصوف المتصلة بعلىّ عليه السلام ، وأبين أغراضهما الفاسدة من ذلك ، وأبدأ أولا بالكلام على سند طريقتنا الشاذلية ، وأحقق اتصالها بأبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه ، وأبين ما وقع فيه من الاختلاف والاضطراب ، ثم اتصال أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم من الطريقين : طريق التحكيم والإرادة المتصل بعلى من جهة ابنه الحسن عليهما السلام ، وطريق الخرقة والتبرك المتصل بعلى عليه السلام من جهة الحسن البصرى رحمه الله تعالى .

وسميته « البرهان الجلى ، فى تحقيق انتساب الصوفية إلى على ، والاتصال بأبى الحسن الشاذلى » فأقول ، ومن الله تعالى أستمد العون والتوفيق :

مقدمة

قال والدى قدس سره فى بعض ما كتبه من الإجازات فى الطريق .

أما بعد : فلا يخفى على ذوى البصائر والعقول أن الفنون كلها لابد فيها من واسطة، ومن لا واسطة له فى فنه لا بركة له فيه ولو حصل فيه على الغاية القصوى ، فبركة الفن وسره وروحه وجود الواسطة فيه، فمن رزقها رزق الفن وبركته . ومن حرمها حرم الفن وبركته ، وهو أمر لا يحتاج إلى برهان إذ ليس الخبر كالعيان .

ولما كان التصوف أولاها بذلك وأحقها بما هنالك، وكان من لا شيخ له فيه لا يعبأ به ولا يلتفت إليه . بل هو عندهم لقيط لا أب له وسقيط لا طعم فيه . بل حتى لو فرض أن شيئاً من المعارف والأذواق حصل لأحد على سبيل خرق العادة بلا واسطة. فالمتعين عليه أن يستند إلى الواسطة أدباً مع الشريعة المطهرة، إذجاءت باعتبارها وأمرت بشكرها ، وأيضاً فإن الإستناد إليه فيه كمال ورفعة قدر وجلال لأن فيه خروجاً من رعونات النفس والأنانية إلى رفعة التواضع والعبودية. وناهيك بها عزاً وشرفاً ورفعة وفخراً. إذهى سبب للحرية. بل هى فى الحقيقة عينها، ولو صح لأحد شىء بلا واسطة لما كان لمولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جبريل عليه السلام واسطة مع أنه عليه الصلاة والسلام أجل منه وأفضل وأعلى وأعز وأكمل ففى تقديم المفضول على الفاضل رفعة لمقام الفاضل وتنويه بعبودية الكامل ، وانظر إلى أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم مع أنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون يفتح لك الباب وتفهم سر الخطاب . فما عظمت الحرية فى أحد إلا وكانت العبودية فيه أعظم . إذ ما تشرف من تشرف إلا بها ، وما طرد من طرد إلا بالدعوى والركون إلى الحرية والأنانية ، وما أفلح من أفلح إلا بصحبة من

أفلح . وقد قال الجنيد رضى الله تعالى عنه سبق فى علم الله القديم ألا يدخل أحد لحضرته إلا على يد عبد من عباده .

وقال القطب أبو العباس أحمد المرسى رضى الله عنه ما صارت الأبدال أبدالا إلا بمجالسة أمثالنا . لذلك وجب علينا أن نذكر سندنا ونبين نسبتنا فى هذه الطريق الدرقاوية التى هى لب الطرق الاتصالية الجامعة بين الجيلانية والشاذلية المؤسسة على الكتاب والسنة والمخصصة بالنفحات الربانية . إذ فى اتصال سببنا بسببهم ونسبتنا بنسبتهم استمطار للرحمات الإلاهية واستنزال للنفحات القدسية وتحريك للسلسلة النبوية. مع أن الإسناد من الدين فى كل وقت وحين طال الزمان أو قصر وقل عدد الوسائط أو كثر ثم ذكر سنده الآنى ثم قال وليكف الإنسان شرفاً ونخراً أن يعرف رجال هذه السلسلة النورانية المحمدية فإنها سلسلة الذهب الإبريز التى من تمسك بمحبة رجالها نال رضى الملك العزيز. وأما من دخل فيها وكان حلقة من حلقاتها فلا يصف الواصف فضله ولا يلحق أحد شأوه وقدره. فقد قال القطب الشعرانى رضى الله عنه فى فوائد النسبة العامة أن المنتسب يكون كالحلقة فى السلسلة لا يتحرك فى أمر إلا تحركت السلسلة كلها معه إلى مولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بخلاف غير المنتسب فإنه يتحرك وحده ويسكن وحده اهـ .

وقال العارف الشعرانى فى مدارج السالكين إلى رسوم طريق العارفين اعلم أيها المريد وفقنا الله وإياك لمرضاته أن من لم يعرف آباءه وأجداده فى الطريق فهو أعمى وربما انتسب إلى غير أبيه . فيدخل فى قوله صلى الله عليه وسلم « لعن الله من انتسب إلى غير[1] أبيه » ومرادنا بمعرفة الآباء صحة الاقتداء بهم فى الأخلاق الشرعية، وقال سيدى عمر بن الفارض رضى الله عنه :

نسب أقرب فى شرع الهوى   بيننا من نسب من أبوى

---

(١) فى صحيح مسلم « من أدعى – أى انتسب – إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا » فالحديث يشمل – بطريق الاشارة – أدعياء الطريق كلهم .

وذلك لأن الروح ألصق بك فأبو الروح يليك وأبو الجسم بعده . فكان بذلك أحق أن تنسب إليه دون الجسم . وقد درج السلف الصالح كلهم على تعليم المريدين آداب آبائهم ومعرفة أنسابهم. وأجمعوا كلهم على أن من لم يصح له نسب القوم فهو لقيط لا أب له فى الطريق، ولا يجوز له التصدر والجلوس لإرشاد المريدين إلا بعد أخذه آداب الطريق عن شيخ كامل مجمع على جلالته وخبرته بالطريق ، ثم يأذن له صريحاً بأن يرشد ويلقن ويلبس الخرقة على شروط ما كان عليه السلف رضى الله عنهم أجمعين اهـ وبعد هذا فلنشرع فى المقصود بعون الله فنقول :

فصل

اعلم أن الاتصال بالشيخ أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه اشتهر من طريق الشيخين الإمامين العارفين الكبيرين أبى عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أبى بكر ابن سليمان الجزولى صاحب دلائل الخيرات، وأبى العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنوسى الفاسى المعروف بزروق رضى الله عنهما .

فمن طريق أبى عبد الله الجزولى تتصل الطريقة العيساوية والحمدوشية والوزانية والريسونية والبقالية وغيرها ، فإن سيدى محمد بن عيسى أخذ عن سيدى أحمد بن عمر الحارثى السفيانى عن سيدى محمد بن سليمان الجزولى وأخذ أيضاً بإذن شيخه المذكور عن سيدى عبد العزيز التباع عن الجزولى .

وأخذ عن سيدى على بن حمدوش العلمى العروسى المجذوب عن سيدى محمد الحفيان عن والده عن سيدى محمد أبى عبيد الشرقى عن والده أبى القاسم الجابرى الزعرى وعن سيدى عبد الله بن ساسى كلاهما عن التباع عن الجزولى . وقيل إن سيدى عبد الله بن ساسى أخذ عن سيدى عبد العزيز التباع بواسطة تلميذه العارف الكبير سيدى عبد الله الغزوانى والصحيح أنه أخذ عن التباع بدون واسطة .

وأخذ العارف مولاى عبد الله الشريف العلمى الوزانى عن سيدى على بن أحمد

الصرصرى عن سيدى عيسى بن الحسن المصباحى عن سيدى محمد بن على الزمرانى المعروف بالطالب عن سيدى عبد الله الغزوانى عن التباع عن الجزولى .

وأخذ سيدى عبد الرحمن بن عيسى بن عبد الرحمن بن ريسون وشقيقه سيدى على بن عيسى كلاهما عن العارف الغزوانى عن التباع .

وأخذ سيدى محمد بن على بن عيسى بن عبد الرحمن بن ريسون عن سيدى عبد الله بن حسين امغار عن الغزوانى أيضاً .

وأخذ سيدى محمد بن علال الحاج البقالى عن سيدى أبى الشتاء دفين فشتالة عن الغزوانى وكذلك يتصل به كثير من أولياء المغرب .

فصل

والشيخ الجزولى أخذ عن أبى عبد الله محمد بن عبد الله امغار عن أبى عثمان سعيد الهرتنانى عن أبى زيد عبد الرحمن الرجراجى عن أبى الفضل الهندى عن عنّوس (بتشديد النون) البدوى راعى الإبل عن أبى العباس القرافى عن أبى عبد الله المغربى عن أبى الحسن الشاذلى .

قال : أبو العباس بن أبى المحاسن الفاسى فى المنح الصافية هكذا نرى هذه السلسلة كثيراً عند فقراء العصر وما رأينا عندهم غيرها ولست أعرف من هؤلاء الشيوخ الذين بين الشيخ أبى عبد الله محمد بن عبد الله الشريف امغار والشيخ أبى الحسن الشاذلى واحداً ، وأما الشيخ أبو عبد الله امغار فلا نزال نسمع أنه لقيه الشيخ أبو عبد الله الجزولى بدكاله وأنه أخذ عنه وسمعت أنه يذكره باسم الشيخ فى بعض ما جمع عنه من الكلام والمناقب . قال والإمام القرافى المذكور لا اعلم هل هو صاحب القواعد والذخيرة وشرح الأربعين وغيرها والتاريخ يوافقه إن كان هو أم غيره، وأبو عبد الله المغربى لم نجده فيمن وقع ذكره من أصحاب الشيخ أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه فى لطائف المنن وكتاب ابن الصباغ وكتاب

الإمام الشريف أبي محمد عبد النور على أنه لم يستوف ذكر واحد منهم وإنما ذكروا ما تيسر لهم من أعيانهم وعظمائهم اهـ .

وقال حفيد أخيه أبو عيسى فى تحفة أهل الصديقية والقرافى العالم المعروف لا يعرف بهذا الشأن فيؤخذ عنه طريق الصديقية وإنما يعرف له العلم الظاهر وإن كانت له مع ذلك ديانة وصلاح فهو أمر زائد على ذلك أخص منه اهـ .

قلت: ويبعده أيضاً كون القرافى أدرك أبا الحسن الشاذلى رضى الله عنه وأخذ العلم عن طبقته وأقرانه كالعز بن عبد السلام، بل مات القرافى قبل أكبر أصحابه وأشهرهم أبى العباس المرسى رضى الله عنه بسنتين فإنه مات سنة أربع وثمانين وستماية وكانت وفاة أبو العباس المرسى سنة ست وثمانين فيبعد أن يأخذ عن الشاذلى بواسطة مع اشتهاره وكونه معه فى بلد واحد وتوفر الدواعى على الأخذ عنه، لا سيما وقد كان شيوخه يترددون إلى الشاذلى ويجالسونه، ويأخذون عنه . ثم على احتمال أن يكون فاته الأخذ عنه فاستدرك ذلك بواسطة بعض أصحابه فهو أخذ خرقة وتلقين لا أخذ صحبة واقتداء، وطريق الشاذلية مبنية على الصحبة والاقتداء لا على الخرقة والتلقين، التى هى أقصى ما يصل إليه علماء الظاهر عند الميل إلى طريق التصوف واعتقاد الظاهرين من شيوخ الطريق فى عصرهم .

ثم وجدت الشيخ ابن عطية السلاوى قال فى كتابه سلسلة الأنوار عنوس البدوى عن شيخه القطب الشهير الجامع أبى الحسن على القرافى صاحب القرافة، فهذا لو صح لكان صريحا فى تعيين كونه غير القرافى الفقيه لكنه مما انفرد به صاحب السلسلة ولم يذكره غيره، بل كلهم اتفقوا على ذكره باسم أبى العباس القرافى أو الإمام القرافى . وأما أبو عبد الله المغربى فقد نقل صاحب دوحة الناشر عن شيخه الولى الصالح أبى الحجاج يوسف بن عيسى الفجيجى أن القرافى المذكور أخذ عن أبى العباس المرسى فإن صح ذلك من جهة النقل فالغالب على الظن أنه أبو عبد الله المغربى كناه بعضهم بذلك جهلا بكنيته ونسبته لأن أبا العباس أندلسى والأندلس

من المغرب فى عرف المشارقة بل والجغرافيين والمؤرخين وإلا فهو أبو عبد الله بن سلطان المغربى التونسى أخو الشيخ ماضى أبى العزائم أو أبو عبد الله البجائى الخياط أو أبو عبد الله القرطبى الذى أرسله الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه من الإسكندرية إلى تونس ليربى أبا عبد الله بن سلطان ويكمل حاله حيث تركه صغيرا وكان يمده غيبا ، فالعجب من قول أبى العباس الفاسى أنه لم يجد ذكر أبى عبد الله المغربى فى أصحاب الشيخ أبى الحسن الشاذلى المذكورين فيما سمى من الكتب وكل هؤلاء مذكورون فى كتاب درة الأسرار لابن الصباغ .

ثم وجدت القادرى قال فى المقصد الأحمد وما قاله أبو العباس بن الشيخ أبى المحاسن الفاسى فى مؤلف له فى أسانيد أبيه وتبعه حفيد أخيه سيدى المهدى فى التحفة والإلماع من أنه لا يعرف من هؤلاء الشيوخ أحد سوى الشيخ أبى عبد الله أمغار وأن القرافى المذكور لا يدرى هل هو العالم المشهور أو غيره وأن أبا عبد الله المغربى لم يوجد فى لطائف المنن ولا فى كتاب ابن الصباغ وسيدى عبد النور لا يوجب شيئاً فى هذا السند ولا يكسبه ضعفا ولا علة لما علم فى أن علماء الظاهر لا يعتنون بمعرفة رجال هذه الطريق ولا بالتعريف بهم لعدم ترتب حكم شرعى على ذلك كما يترتب عليه فى نقل الحديث، وإنما يعتنى بذلك أهله المنتسبون . وقد تواطأت هذه الطريقة الجزولية على حفظ هذا السند ونقله بعضهم عن بعض وكفى بذلك معرفة لرجاله وشهرة لهم لا سيما وقد تظافرت جماعة من أهل العلم الظاهر والصلاح على روايتهم لهذا السند أخذا وإجازة حتى تلميذ الشيخ الجزولى رضى الله عنه المؤذن بأنه أخذ ذلك عن الشيخ نفسه وهو أعرف شهادة وغيبا وناهيك تعريفا بهم معرفته هو لهم . والتردد فى أن القرافى هو العالم المعروف أو غيره لا ينبغى إذ من المعلوم أنه لا يعرف له أخذ فى الطريق ولو كان لوصفه به الأسيوطى فى حسن المحاضرة عندما عرف به كما وصف كثيرا فى العلماء بذلك وهو حافظ الدنيا وعالمها مع كونه من أهل بلده وعدم وجوده أبا عبد الله

المغربى فى الكتب المذكورة لا يؤذن بكونه منفيا ولا مجهولا. لأن تلك الكتب الثلاثة لم تتعرض لذكر أصحاب الشيخ الشاذلى كلهم ولا استوفت منهم بعض البعض ، هذا وقد ذكر الأبى فى شرح مسلم أن ابن البراء كان يقرأ فى مسجد القبة من تونس فأتاه رجل فقال له رأيت البارحة النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال لى: قل لفلان يعطيك جبة ، فقال له ابن البراء قال لى أنا فى اليقظة لا أعطيك شيئا فذهب الرجل فدخل على الرجل الصالح أبى عبد الله المشتهر بالمغربى فى موضعه القريب من المسجد المذكور فأعطاه الجبة فقيل له إن الرجل يتخرص فقال الشيخ لو علمت أنه صادق أعطيته الدنيا ، ومعلوم أن الشاذلى كان بتونس وترك أصحابا هنالك وابن البراء كان معاصرا له فأبو عبد الله المغربى المذكور فى الحكاية ليس هو إلا ذاك والله أعلم ، وهو دفين خارج تونس وقبره شهير هنالك يزار ، ثم العلم بهؤلاء السادات الماضين من حيث الظاهر إنما هو بالشهرة والسماع وقد يكون الإنسان فى قطر شهير وأهل قطر آخر لا يعرفونه وهو لم يطأ تلك الأقطار كلها حتى يستقرىء المجهول من المعلوم وهذا أبو زيد الرجراجى له شهرة عظيمة فى أرضه لم يصله خبره ، وهل الآخرون بالقياس عليه إلا كذلك. وحيث لم يعرفهم ولا عرف شهرتهم فليستند إلى من عرفهم وعرفها حتى لا يحكم على معلوم بجهالة ولا على مستور بجمالة اهـ . ولما نقله حفيده العلامة محمد بن الطيب القادرى فى الزهر الباسم فى مناقب سيدى قاسم قال : وكأن أبا العباس الفاسى وحفيد أخيه سيدى المهدى ومن تبعهما لم يكفهم هذا القدر فى التعريف بهؤلاء الشيوخ إلا أن يقال هو كاف فى هذا الباب" اهـ .

(قلت) أبو العباس الفاسى يتكلم على الإسناد من حيث الاتصال والانقطاع والمعرفة والجهالة فى الظاهر لا فى الباطن . فلا يلزمه أن ينتقل مما هو فيه إلا غيره وإلا كان خروجا عن الموضوع لأن البحث فى الإسناد . بل مجرد ذكره من علم

الظاهر لا من علم الباطن الذى يسلم لأهله ولا يبحث معهم فيه. ثم إنه لم يجزم بجهالة المذكورين بل ولا نطق بها وإنما نسب الجهل إلى نفسه بهم وعدم وقوفه على تراجمهم، وذلك لا يستلزم أن يكونوا فى نفس الأمر مجهولين فاعتراض أبى محمد القادرى رحمه الله تعالى عليه غير وجيه كما هو ظاهر والله أعلم .

وأبو زيد الرجراجى ذكر فى (دوحة الناشر) أنه المعروف عند العامة بأبى زيد والياس المقبور بوادى شفشاوه من أعمال مراكش وأنه أقام بمكة عشرين سنة مجاورا وكان من كبار العارفين الواصلين إلى مقام القطبية وقد تقدم فى كلام القادرى أنه مشهور ببلاده .

فصل

وللشيخ الجزولى طريق آخر إلى الشاذلى فيما ذكره العارف الغزوانى فى جواب أجاب به العلامة محمد اللقانى المالكى المصرى ذكر له فيه أن إمامه وقدوته فى هذا الشأن ، هو الشيخ العارف أبو محمد عبد العزيز التباع وقدوته هو وإمامه الشيخ أبو عبد الله الجزولى وقدوته هو وإمامه الشيخ أبو محمد عبد العزيز العجمى أخذ عنه بالجامع الأزهر وقدوته هو وإمامه الشيخ أبو الحسن الشاذلى اهـ وهو منقطع جزما فإن بين وفاة الشاذلى وولادة الجزولى نحو مائة وخمسين سنة تقريبا وهو زمان لا يمكن الأخذ فيه بواسطة بل ولا واسطتين ، فلعل العارف الغزوانى يقصد أن العجمى المذكور تنتهى طريقته إلى أبى الحسن الشاذلى كما يقول الصوفية المتأخرون شيخنا أبو الحسن الشاذلى وكما يقول الشيخ الأكبر فى الفتوحات المكية عن بعض المتقدمين شيخنا فى هذا المقام فلان كالحلاج والغزالى والجيلانى ، فليس المراد أنه شيخ بدون واسطة بل محمول على ما ذكرنا والله أعلم .

فصل

ومن طريق الشيخ زروق تتصل بالشاذلى رضى الله عنه الطريقة الناصرية والغازية والصادقية والفاسية اليوسفية والجملية والدرقاوية ذات الفروع

الكثيرة بالمشرق والمغرب التى منها طريقتنا الصديقية المنسوبة إلى والدنا الشيخ الإمام العلامة المجتهد العارف الكبير القطب الغوث الجامع أبى عبد الله سيدى محمد بن الصديق بن أحمد بن عبد المؤمن الشريف الحسنى رضى الله عنه، فإنه أخذها عن شيخه نور الملة والدين قطب الواصلين سيدى محمد بن إبراهيم الفاسى عن العارف الربانى سيدى عبد الواحد بنانى عن العارف الموله سيدى محمد بن الغالى أيوب عن القطب الكبير سيدى أحمد بن عبد المؤمن جد مولانا الوالد عن إمام الأولياء مجدد الطريق فى الألف الثانى مولاى العربى بن أحمد الدرقاوى عن العارف الكبير سيدى على الجمل العمرانى عن سيدى العربى بن عبد الله عن والده أحمد ابن عبد الله عن سيدى أحمد اليمنى وسيدى قاسم الخصاصى أخذ عن الأول الجيلانية وعن الثانى الشاذلية وهو عمدته وسيدى قاسم أخذ عن سيدى مبارك عبابو وعن سيدى محمد بن عبد الله الفاسى معن وهو عمدته وسيدى محمد بن عبد الله عن سيدى عبد الرحمن بن محمد الفاسى عن أخيه سيدى يوسف بن محمد الفاسى عن سيدى عبد الرحمن المجذوب عن سيدى على الدوار عن سيدى إبراهيم إفحام الزرهونى عن الشيخ زروق رضى الله عنهم أجمعين وأنا تلقنت وصحبت واقتديت بوالدى رضى الله عنه كما لبست وتبركت من غيره .

فصل

والشيخ زروق يتصل بالشاذلى رضى الله عنه من طرق متعددة فيما ذكره جماعة من أصحاب الفهارس والإثبات وتراجم الشيوخ، إلا إنهم وهموا فيها فجعلوها طريق صحبة واقتداء وهى طريق خرقة وتبرك ، بل منها ما هو مجرد رواية لكتاب الحكم العطائية بطريق الإجازة لا بالسماع والتلقى كما ستعرفه .

الطريق الأول منها : عن أبى عبد الله محمد بن قاسم الغورى عن عبد الله بن حَمَد بفتح الحاء والميم عن سيدى على وفا عن والده سيدى محمد عن شرف الدين أبى سليمان داود بن عمر الباخلى عن تاج الدين أحمد بن عطاء الله عن أبى العباس

المرسى عن أبي الحسن الشاذلي هكذا ذكره صاحب المنح البادية في سلسلة الطريقة الوفائية وهو سند صحيح معروف الرجال ، إلا أنه ليس سند صحبة واقتداء ، بل هو سند خرقة وتبرك ، فإن أبا عبد الله القورى الفقيه المشهور لم يكن من أهل هذا الشأن وإن كان من الصالحين . أما شيخه سيدى عبد الله بن حمد فكان من الأولياء المعتقدين المتبرك بهم في حياتهم وبعد مماتهم وهو مترجم في الجذوة والسلوة ونيل الابتهاج وغيرها مات بمكناسة الزيتون سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة فالسند متصل صورة منقطع معنى لوجود القورى فيه وهو من علماء الظاهر لا من علماء الباطن .

الطريق الثاني : ذكره الشيخ زروق نفسه ونقله عنه جماعة منهم ابن حجر الهيثمى في فهرسته قال الشيخ زروق ألبسنى الخرقة وارخى لى العذبة العارف أبي حفص عمر النبيتتى ولقننى الذكر وصافحنى وشابكنى قال ألبسنى العارف المجد صالح الزواوى وهو لبس من محمد بن محمد بن مخلص الطيبى وهو من الحافظ علاء الدين مغلطاى وهو من شريف الدين أبي بكر المغربي والشريف محمد بن القطب أبي الحسن الشاذلي وهما من والد الثاني القطب الغوث الفرد الجامع أبي الحسن الشاذلي وهو كما ترى صريح في لبس الخرقة . وسيأتى سند أبي الحسن الشاذلي فيه .

الطريق الثالث : عن العارف المجذوب سيدى أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن عروس التونسى صاحب الكرامات والخوارق وشيخ الطريقة العروسية عن سيدى محمد المجاهدى عن سيدى سليمان الجزار عن الشيخ الجبتيانى عن سيدى محمد الحنفى عن ابن عطاء الله عن أبي العباس المرسى عن أبي الحسن الشاذلي وهو سند غير صحيح من جهتين :

إحداهما : أن الحنفى ولد بعد وفاة ابن عطاء الله بأزيد من ستين سنة .

وثانيتهما : أنه يتصل بالشاذلى من جهة ياقوت العرشى عن المرسى لا من جهة ابن عطاء الله كما هو معروف .

وقد ذكروا لسيدى أحمد بن عروس طريقاً آخر وهو أنه أخذ عن الشيخ فتح الله بن يوسف العجمى عن سيدى ياقوت العرشى عن أبى العباس المرسى عن أبى الحسن الشاذلى ، كذا ذكره جماعة منهم الشيخ الشهير أبو محمد عبد السلام(١) بن سليم الأسمر فى سلسلة طريقته . و نظم ذلك منه إلى النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من الطريق المشهورة لأبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه وهو سند منقطع أيضاً فإن فتح الله العجمى لم يدرك ياقوت العرشى بل ولد بعد وفاته بنحو خمس وثلاثين سنة لأن العرشى مات سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة والعجمى ولد بعد سنة سبع وستين كما يستفاد من الضوء اللامع للسخاوى فإنه قال توفى سنة ثمان وأربعين ورأيت من أرخ وفاته سنة سبع وقد قارب الثمانين فيكون ولد بعد العرشى بالزمن المذكور، ثم إن المعروف فى طريق فتح الله العجمى أنها جُشتيه أخذها عن صدر الدين الناكورى عن نصير الدين محمود الأودهى عن نظام الدين الدهلوى عن فريد الدين شكر كنج عن قطب الدين الدهلوى عن معين الدين الجشتى بسنده المعروف المتصل بإبراهيم بن أدهم عن الفضيل بن عياض عن عبد الواحد بن زيد عن الحسن البصرى عن على عليه السلام .

وقد ذكر هذا السند أيضاً الشيخ عبد السلام الأسمر فى نفس المنظومة إلا أنه صدر بالأول وجعله عمدته، بل صرح هو وغيره من شيوخه بأن طريقتهم شاذلية، بل قالوا إن طريقتهم العروسية هى لب الطريقة الشاذلية، والواقع إنها طريقة جشتية إذ كانت ولادة سيدى أحمد بن عروس فى الطريق على يد الشيخ فتح الله العجمى أو عروسية منفردة إن كان سيدى أحمد بن عروس وصل من طريق الجذب الإلهى والله أعلم .

(١) كثير من الصوفية هنا يعتقدون أن هذا هو الشيخ عبد السلام بن مشيشى صاحب الصلاة المشيشية وهو خطأ .

الطريق الرابع: عن الحافظ شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوى عن عبد الرحمن بن عمر القِبابى بكسر القاف وفتح الموحدة نسبة إلى القباب الكبرى موضع⁽¹⁾. عن تقى الدين على بن عبد الكافى السبكى عن تاج الدين أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندرى عن أبى العباس المرسى عن أبى الحسن الشاذلى كذا ذكره ابن حجر الهيثمى فى فهرسته فقال: «وللشيخ زروق طريقة أخرى إلى الشاذلى قيل ما فيها رجل إلا وتقطب» ثم ذكر هذا السند وذكره أيضاً العلامة محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسى فى المنح البادية فقال فى أسانيد الطريقة الشاذلية: « وهى طريقتان طريق الصحبة والاقتداء وطريق التبرك والتلقين أما طريق الصحبة والاقتداء فقد صحبت شيخنا الإمام أبا البركات يعنى عبد القادر الفاسى واقتديت به وسمعت عليه أحزاب الشاذلى وكثيرا من كلامه وهو يرويها من طريق الشيخ زروق عن الشمس السخاوى» فذكر السند إلى الشاذلى وسبقهما إلى ذلك الشيخ طاهر بن زيان القسنطينى نزيل المدينة المنورة وهو تلميذ الشيخ زروق فنظم سلسلة الطريقة الشاذلية عن شيخه زروق عن السخاوى إلى الشاذلى ثم منه إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم، ونقل منظومته بتمامها العلامة الصومعى فى كتابه المعزى بمناقب أبى يعزى، ثم قال فالشيخ السخاوى رضى الله عنه أخذ هذه الطريقة بحقوقها وشروطها عن الشيخ الكامل أبى زيد عبد الرحمن بن عمر القبابى، وأخذها أبو زيد عن الشيخ المحصل الجامع للشريعة وَالحقيقة أبى الحسن على بن عبد الكافى والكل معروف عند الأصوليين وأهل علم البيان وأئمة هذا الشأن اﻫ .

وكل هذا خبط وتخليط وتهور قبيح . أما أولا فإن هذا ليس سنداً للطريق ولا للخرقة وإنما هو سند لكتاب الحكم العطائية لمجرد الإجازة ، فقد ذكره الشيخ زروق فى أول شرحه السابع عشر للحكم فقال : وأما الإسناد فقد أخبرنا به إجازة شفاها الشيخ شمس الدين السخاوى سنة ست وسبعين وثمانماية بداره بالقاهرة قال

---

(١) هى إحدى بلاد مركز دكرنس محافظة الدقهلية .

أخبرنا به إجازة من بيت المقدس الشيخ أبو زيد عبد الرحمن بن عمر القبابى قال أخبرنا به في جملة كتب الشيخ ابن عطاء الله شيخ الإسلام تقى الدين أبو الحسن على ابن عبد الكافى السبكى عن مؤلفها اﻫ .

وأما ثانياً فإن السخاوى لم يلق القبابى ولا رآه بعينه فضلا عن أن يكون صحبه وأخذ عنه الطريق بشروطها وآدابها كما يقول الصومعى ، وإنما استجازه له الشمس بن قمر فأجازله من بيت المقدس وهو بالقاهرة بل لما مات القبابى كان السخاوى ابن سبع سنين لأن القبابى مات سنة ثمان وثلاثين ببيت المقدس وكانت ولادة السخاوى سنة إحدى وثلاثين ، وبهذا الطريق أيضاً كان أخذ القبابى عن التقى السبكى فإن القبابى كان لما مات التقى السبكى ابن سبع سنين أيضاً لأنه ولد سنة تسع بتقديم التاء وأربعين وسبعماية وكانت وفاة التقى السبكى سنة ست وخمسين وإنما أجاز له إجازة عامة دخلت فيهامؤلفات ابن عطاء الله ، وللرغبة فى علو الإسناد يتعلق المحدثون فى الرواية بمثل هذا إذ كان القبابى قدعمر وألحق الأحفاد بالأجداد وشارك السخاوى فيه كبار شيوخه ، كالحافظ وأقرانه فإنه ممن أخذ عن القبابى بالسماع وذكره فى معجم شيوخه ، وبسبب أخذ القبابى فى صغره بالإجازة عن التقى السبكى وأقرانه علت روايته وحصلت الرغبة فى الأخذ عنه للمحدثين ، فأين هذا من طريق الصحبة والاقتداء بآدابها وشروطها .

وأما ثالثاً فإن الحافظ السخاوى رحمه الله ما شم لطريق الصوفية رائحة فضلا عن الولاية فضلا عن القطبية بل هو عدو لكثير من أهل الله كابن الفارض وابن سبعين وابن العربى وتلك الطائفة . وله فى إكفار الشيخ الأكبر ابن العربى رضى الله عنه مجلد كبير سماه القول المبنى اعتمد فيه على فتاوى علماء الظاهر أمثاله بإكفار الشيخ الأكبر وتضليله بدون ذكر علم ولا دليل ، فكيف يوصف بالقطبية هو

والقبابى كما يحكيه ابن حجر الهيثمى مع أنه ممن يعرف جيداً مواقف السخاوى ضد الصوفية العارفين وردود الحافظ السيوطى عليه وعلى أمثاله والانتصار لهم .

فصل

وطريق الصحبة والاقتداء للشيخ زروق رضى الله عنه هو ما أخذه عن الشيخ العارف الكبير أبى العباس أحمد بن عقبة الحضرمى عن أبى زكريا يحيى القادرى عن سيدى على وفا عن والده سيدى محمد وفا عن أبى سليمان داود بن عمر الباخلى عن تاج الدين أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله عن أبى العباس المرسى عن القطب أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنهم .

فصل

فأما أخذ الشيخ زروق عن أبى العباس أحمد بن عقبة الحضرمى أخذ صحبة واقتداء وارادة وتحكيم فأمر مجمع عليه بين أهل الطريق وصرح به الشيخ زروق نفسه، فذكر أنه اجتمع به فى أوائل رجب سنة ست وسبعين بالقاهرة فصحبه سبعة أشهر أو نحوها، ثم رحل إليه فى سنة ثلاث أو أربع وثمانين فصحبه نحو ثمانية أشهر أو نحوها، قال وانتفعت به فيها انتفاعا لا يخفى وقال إنه ما لقى أعرف بالله منه ولا أكبر منه ، وصدر به فى أول طبقات شيوخه الذين رتبهم على سبع طبقات : الأولى العارفون أهل التمكين، الثانية العارفون أهل التلوين، الثالثة أهل السلوك من المريدين، الرابعة أهل الورع، الخامسة الزهاد، السادسة العباد، السابعة أهل النسك. ولا ينقل فى كتبه إلا عنه بل أفرده بالترجمة فى كتاب مستقل فيما يقال، فإنه يوجد كتاب فى ترجمة أبى العباس الحضرمى لم يعرف مؤلفه ويشاع إنه للشيخ زروق .

فصل

وأما أخذ الحضرمى عن أبى زكريا القادرى فمشكل من وجوه ، منها أنه وجد بخط الشيخ زروق أنه سأل شيخه الحضرمى عن خرقته فقال نحن لا نعرف

شيئاً من هذا ، ولكن طريق أمى وسلفها تنتهى إلى الشيخ أبى مدين المغربى ا ه
فقد يفهم من هذا أن الحضرمى لا شيخ له وهو مدفوع بأن السؤال إنما وقع عن الخرقة وسندها لا عن صحبة من اقتدى به وسلك على يديه أو سرى من جهة المدد فإن الشيوخ ثلاثة: شيخ التلقين ، وشيخ الخرقة ، وشيخ الصحبة والاقتداء . وهذا الأخير هو الذى عليه الاعتماد[1] ولا سيما عند الشاذلية، فإنهم لا يعتمدون الخرقة، بل ولا يعرفونها ، كما قال الحضرمى لا سيما شيوخ المغرب ، فلو سئل الجمل أو تلميذه مولاى العربى الدرقاوى، بل وشيوخ الجمل إلى المجذوب والدوار وإلخام لأجابوا بما أجاب به الحضرمى من كونهم لا يعرفون الخرقة أصلا ولا لبسوها من يد أحد كما هو أيضاً حال شيوخنا وأشياخهم لأنهم إنما يعرفون الصحبة والاقتداء والسلوك والاجتماع الذى يصح به الانتساب ويحصل به النفع من الأعلى للأدنى .

قال القسطلانى فى المواهب اللدنية: وكثير من السادات يكتفى بمجرد الصحبة كالشاذلية وشيخنا أبى إسحاق المتبولى ا ه .

وقال ابن حجر الهيثمى فى فهرسته : ثم إن السادات الشاذلية لا يعتبرون فى طريقتهم لبس الخرقة وإنما المعول عليه عندهم الصحبة الصادقة مع الاقتداء ا ه .

وقال ابن عطاء الله فى لطائف المنن سمعت شيخنا أبا العباس أحمد المرسى رضى الله عنه يقول : طريقتنا هذه لا تنسب للمشارقة ولا للمغاربة بل واحد عن واحد إلى الحسن بن على بن أبى طالب وهو أول الأقطاب ، وإنما يلزم تعيين المشايخ الذين يستند إليهم طريق الانتساب من كانت طريقته بلبس الخرقة فإنها رواية والرواية تتعين بتعيين رجال سندها ،وهذه هداية، وقد يجذب الله العبد إليه فلا يجعل عليه منة لأستاذ ، وقد يجمع شمله برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيكون آخذا عنه وكفى بهذا منة ا ه .

---

(١) وينقسم إلى مربى ومرقى .

فصل

ومنها: أن الشيخ أبا زكريا القادرى هذا غير معروف ، فمنهم من جعله قادرى النسب والطريقة فقال عن أبى العباس أحمد بن عقبة الحضرمى عن أبى زكريا يحيى عن والده أبى السعود أحمد عن والده أبى صالح نصر عن والده أبى محمد عبد الرزاق عن والده القطب الشهير مولانا عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه بسنده المعروف إلى الحسن البصرى عن على عليه السلام، نقله أبو العباس الفاسى فى (المنح الصافية) عن بعض التقاييد، ثم قال : والذى يغلب على ظنى أنه سقط شىء من هذا الإسناد ، فإن الشيخ تاج الدين البكرى الشريشى صاحب القصيدة الشريشية روى ببغداد عن أبى صالح نصر هذا . وقد توفى الشريشى سنة إحدى وأربعين أو ثلاث وأربعين وستماية على الخلاف فيه . والشيخ أبو الحسن على بن محمد وفا شيخ الشيخ أبى زكريا يحيى توفى سنة سبع وثمانماية ، فانظر فى ذلك اهـ .

وقال أخوه أبو حامد (فى مرآة المحاسن) : إن التاريخ يأبى ذلك ، فقد ذكر جلال الدين البكرى فى كتابه (نور الحدق فى لبس الخرق) أن شيخه شمس الدين البكرى لبس الخرقة من الشيخ فتح الدين المالقى سنة إحدى وعشرين وثمانماية وهو لبسها من الشيخ صلاح الدين الفُوِّىّ المعروف بالميقاتى ، وهو لبسها من الشيخ علاء الدين على وأخيه زين الدين عبد القادر ، وهما لبساها من والدهما الشيخ شمس الدين محمد ، وهو لبسها من والده الشيخ سيف الدين يحيى ، وهو من والده الشيخ ظهير الدين أحمد ، وهو من والده الشيخ عماد الدين أبى صالح نصر ، وهو من والده تاج الدين عبد الرزاق . وكانت وفاته سنة ثلاث وستماية ، وهو لبسها من والده الشيخ عبد القادر ، فقد لبسها البكرى قبل ولادة الشيخ ابن عقبة بثلاث سنين من المالقى الذى لبسها من الميقاتى الذى لبسها من حفيد الشيخ

سيف . فواضح أن الشيخ سيف الدين يحيى فى طبقة متقدمة لا يمكن أن يأخذ عنها الشيخ ابن عقبة ، انتهى .

قلت : وهو استدلال طويل أوجبه عدم الوقوف على تاريخ وفاة أبى زكريا يحيى بن أحمد القادرى الذى مات بمدينة حماه سنة أربع وثلاثين وسبعماية ، وذلك قبل ولادة ابن عقبة بتسعين سنة بتقديم التاء لأنه ولد سنة أربع وعشرين وثمانماية ثم إنه سقط من النسب الذى ذكروه رجل ، وهو محمد بن أبى صالح نصر ، فالصواب أبو زكريا يحيى بن أبى السعود أحمد بن محمد بن نصر بن عبد الرزاق ، كما ذكره ابن قاضى شهبه فى كتابه (الإعلام بتاريخ الإسلام) والحافظ تقى الدين محمد بن رافع السلامى وغيرهما .

وقال أبو عيسى فى (تحفة أهل الصديقية) وأما أحمد بن عقبة الحضرمى فقد تعدد وجدان اتصاله بالشيخ ابن وفا ، فتأكد كونه شاذلى الطريقة إلا أنه فى بعضه بالواسطة وفى بعضه بدونها ، وإذا لم يصح دون واسطة فتتعين الواسطة وفى بعض ذلك جعل الواسطة الشيخ أبا زكريا يحيى بن أحمد القادرى ، ولا يبعد أن يكون ذلك وهما ويُشْبِه والله أعلم أن يكون المراد بالشيخ أبى زكريا يحيى ابن الشيخ أبى العباس أحمد أخى الشيخ أبى الحسن على بن وفا ، وهو أخذ عن والده سيدى أحمد عن والده سيدى محمد اهـ .

قلت: وهذا الذى ذكره ظنا قد صرح به جماعة تحقيقا، فذكر (فى المنح البادية فى سند الطريقة الوفائية) أن العارف الشعرانى أخذها عن الشيخ شاهين المتوفى سنة أربع وخمسين وتسعماية عن أبى العباس أحمد بن عقبة الحضرمى عن يحيى بن أحمد الوفائى عن إمام الطريقة عمه سيدى على .

وذكر الملا إبراهيم الكردى الكورانى فى كتابه (أنباه الأنباه) بسنده إلى سيدى محمود مرداش المحمدى عن أبى العباس أحمد بن عقبة عن أبى زكريا عن أبى الحسن على بن وفا، إلا أنه اقتصر على ذكر كنية أبى زكريا بدون وصف

لا بالقادرى ولا بالوفائى ، لكن يشكل عليه أمور، منها أن يحيى بن أحمد الوفائى كنيته كما ذكر السخاوى (فى الضوء اللامع) أبو السيادات لا أبو زكريا ، إلا أن يقال : لعل أول من كناه بذلك فى السلسلة لم يعرف كنيته الخاصة ، فكناه بكنيته ، ومنها أنه غير قادرى لا نسبا ولا طريقة، بل هو إدريسى النسب ،شاذلى الطريقة، إلا أن يكون اشتهر بذلك لأمر اقتضاه ويبعده كون السخاوى لم يصفه بذلك ، مع اعتنائه بالأنساب والألقاب، وكونه من معاصريه وأهل بلده ، ويمكن أن يكون تحريفا من القاهرى وهو أيضا بعيد لاتفاقهم على وصفه بالقادرى .

فصل

ومنها: أن الشيخ أبا العباس أحمدبن عقبة الحضرمى رحل من بلده حضرموت إلى مكة سنة ست وأربعين وثمانماية ، وأقام بها عشرين سنة كما ذكره الشيخ زروق فيكون انتقاله إلى القاهرة بعد سنة ست وستين وفى ذلك الوقت كان يحيى بن أحمد الوفائى قد مضى لوفاته نحو تسع سنين لأنه مات سنة سبع وخمسين اللهم إلا أن يكون الحضرمى رحل إلى القاهرة فى حياة أبى السيادات ، ثم رجع إلى مكة ، وهو بعيد ، أو رحل أبو السيادات إلى الحجاز وهو بعيد أيضا ، لعدم تعرض السخاوى لذلك فى ترجمته وهو شديد الاعتناء بذكر رحلة المترجمين فيه إلى الحج .

فصل

ومنها انهم اتفقوا على أن أبا زكريا القادرى أخذ عن سيدى على وفا وأبو السيادات يحيى بن أحمد الوفائى لم يصحب عمه سيدى على ولا تأدب به فى الطريق ، لأن عمه مات وهو ابن تسع سنين لم يبلغ سن الصحبة والاقتداء لأنه ولد سنة ثمان وتسعين بتقديم التاء وسبعماية ، ومات عمه سيدى على سنة سبع وثمانماية فإن كان هو المذكور فى السند، فلا بد من واسطة أخيه ، أبى الفتح محمد، فإنه كان تلميذا له كما يستفاد من كلام السخاوى. إذ قال وجلس بعد موت أخيه

أبى الفتح مكانه، وتكلم على الناس فرزق القبول، فإنه يفيد كونه تلميذا لأخيه حيث خلفه فى مجالس التذكير، ولم يعقد ذلك فى حياته كما أن أخاه أبا الفتح قام مقام عمه سيدى على بعد وفاته، كما فى ترجمته من (الضوء اللامع) لكن يعكر على هذا كون أبى الفتح تلميذ أبيه أحمد بن محمد وفا لا عمه سيدى على والسند من طريق سيدى على، لا من طريق أخيه أحمد، فقد ذكر السخاوى أن سيدى عليا كان يشير إلى أن مدد ابى الفتح من أبيه ، ويؤيده كون الطريقة الوفائية تروى من طريق أبى الفتح عن أبيه أحمد لا عن عمه على .

فصل

فبان من هذا أن أبا زكريا القادرى هو غير يحيى بن أحمد الوفائى أبى السيادات ، كما فهمه أبو عيسى الفاسى ، ومن صرح به بعده فإنما اعتمد على ظنه فحققه بل هو شيخ آخر قادرى النسب شاذلى الطريقة من أصحاب سيدى على وفا أخذ عنه أبو العباس أحمد بن عقبة الحضرمى بمكة أو غيرها ولم تعرف له ترجمة والله أعلم .

فصل

وأما من يقول عن أبى العباس أحمد بن عقبة الحضرمى عن أبى الحسن على ابن وفا بدون واسطة أبى زكريا المذكور فقوله باطل، فإن الحضرمى ولد بعد وفاة أبى الحسن على بن محمد وفا بنحو سبع عشرة سنة لأنه ولد سنة أربع وعشرين وثمانماية وتوفى سيدى على وفا سنة سبع وثمانماية وأبطل من هذا قول من قال عن زروق عن ابن وفا .

فصل

واتفقوا على أن سيدى عليا وفا أخذ عن والده سيدى محمد مع أنه لم يدرك من حياته إلا أربع سنين على ما يستفاد من كلام الشعرانى ، فى تاريخ ولادته، أوست سنين على ما يستفاد من كلام السخاوى ، لكن ذكر العارف الشعرانى

أن سيدى محمدا وفا أوصى بمنطقته أن تخلع على ولده عند كبره ، فلما خلعت عليه وقع له الفتح، وهذا يدفع الإشكال فى نسبته إلى والده فى الفتح ، مع أنه تركه فى السن المذكور، وقد وقع مثله لكثير من الأولياء ، كسيدى العربى الفشتالى مع سيدى عبد العزيز الدباغ رضى الله عنهما فإن الأول أوصى للثانى بقلنسوته قبل أن يولد، فقال لوالدته إنه سيولد لك ولد فإذا كبر فادفعى إليه هذه الامانة، فلما لبسها سرى إليه المدد وحصل له حال ، فكان ذلك بداية فتحه، وكذلك الشيخ باباجرج التبريزى ، مع الشيخ نجم الدين الكُبرَا كما سيأتى فى سر الباس الخرقة عند العارفين .

فصل

ولأبى العباس أحمد بن عقبة الحضرمى طريق آخر إلى أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه فإنه أخذ عن الشيخ عبد الكبير الحضرمى ، عن عمر العرابى عن عبد الرحمن الشافعى،عن ابن المياق، عن ياقوت العرشى،عن أبى العباس الموسى عن أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنهم .

فصل

وأما الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه فله طريقان: طريق إرادة وتحكيم، وطريق خرقة وتبرك، أخذها قبل أن يأخذ الأولى .

أما طريق الإرادة والتحكيم، فعن القطب الكبير أبى محمد مولانا عبد السلام ابن مشيش عن سيدى عبد الرحمن المدنى العطار ويقال له الزيات ، عن تقى الدين الفقير بالتصغير فيهما ، عن القطب فور الدين، عن القطب تاج الدين ، عن القطب شمس الدين بأرض الترك عن القطب زين الدين القزوينى عن القطب أبى إسحاق البصرى عن القطب أبى القاسم أحمد المروانى، عن القطب أبى محمد سعيد، عن القطب سعد عن القطب أبى محمد فتح السعود، عن القطب سعيد الغزوانى عن القطب أبى محمد جابر، عن أول الأقطاب وأجل الأصحاب سيدنا الحسن بن على بن أبى طالب عليهما

السلام عن والده باب مدينة العلم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويتعلق بهذا السند مباحث .

الأول: اختلف في هذا السند هل هو من أخذ الحسن عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أو من أخذه عن والده علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فذكره ابن مغيزل (في الكواكب الزاهرة في اجتماع الأولياء بسيد الدنيا والآخرة) وابن عسكر في (دوحة الناشر في أخبار أهل القرن العاشر) وأبو حامد العربي الفاسي (في مرآة المحاسن بإخبار أبي المحاسن) وأبو علي اليوسي وأبو سالم العياشي وأبو العباس أحمد بن العربي ابن الحاج، والشهاب أحمد بن العجمي وأبو الحسن البوتيجي والشمس البديري الستة في اثباتهم والملا إبراهيم الكردي والكوراني في (أنباه الأنباه) بتحقيق إعراب كلمة لا إله إلا الله، وابن عياد (في المفاخر العلية) والصومعي (في المعزى في أخبار أبي يعزى) وأبو محمد القادري (في المقصد الأحمد) في اخبار سيدي احمد بن عبد الله وابو عيسى المهدي الفاسي في (تحفة أهل الصديقية بأسانيد الطريقة الجزولية والزورقية) وابو الصلاح علي بن محمد الصعيدي (في تعطير الأنفاس بمناقب ابي العباس) وابو علي ابن رحال المعداني (في الروض اليانع الفايح في مناقب ابي عبد الله محمد الصالح) وابو عبد الله السنوسي (في السلسبيل المعين في الطرائق الأربعين) وغيرهم إلى الحسن بن علي عليهما السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

ويؤيده، قول أبي العباس المرسي ، كما ذكره تلميذه ابن عطاء الله في طريقة الشاذلي رضي الله عنهم أنها تنسب إلى الشيخ عبد السلام بن مشيش ، والشيخ عبد السلام ينسب إلى الشيخ عبد الرحمن المدني، ثم واحد عن واحد إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما .

وسمعت شيخنا أبا العباس رضي الله عنه يقول : طريقنا هذه لا تنسب للمشارقة ولا للمغاربة بل واحد عن واحد إلى الحسن بن علي بن أبي طالب وهو أول الأقطاب اهـ .

وذكره جماعة منهم الشيخ زروق فيما نقله عنه ابن حجر الهيتمى فى (فهرسته) وابن عطيه السلاوى (فى سلسلة الأنوار) والشيخ عبد السلام بن سليم الأسمر (فى نصيحة المريدين) وأبو العباس أحمد بن أبى المحاسن الفاسى (فى المنح الصافية فى الأسانيد اليوسفية) وأبو العباس أحمد بن عجيبة فى (فهرسته)، وشرحه على الحكم، وأبو عبد الله الحراق فى شرحه عليها أيضا، وأبو محمد الكوهن فى (فهرسته)، والشيخ الفاسى المكى (فى الفتوحات الربانية) وتلميذه العلامة السندى فى ترجمته، وآخرون يطول عدهم بزيادة ذكر على عليه السلام .

ويؤيده كون جميع الطرق تنتهى إليه، إلا ما لا يصح سنده، وكان من طريق الاتصال الروحانى وكونه أول من تكلم فى التصوف ومعارف القوم، كما سيأتى بسطه .

وذكر بعضهم أنها تروى من الطريقين من جهة الحسن عن النبى صلى الله عليه وسلم ومن جهته عن على لأن الحسن كان أول فتحه ومدده من يد النبى صلى الله عليه وآله وسلم ثم صحب واقتدى بوالده عليه السلام، كما وقع لكثير من أهل الله تعالى، حصل لهم الفتح من يده صلى الله عليه وآله وسلم مباشرة، برؤيا منامية أو اجتماع روحانى، ثم صحبوا بعد ذلك الشيوخ للسلوك والتهذيب، أو انتسبوا إليهم للادب مع الشريعة والركون إلى الواسطة .

وذكر بعضهم أن الحسن ورث القطبية من والدته سيدة نساء أهل الجنة صلى الله عليها وسلم وهى أول الأقطاب على الاطلاق، وكل هذا صحيح فإنهم بيت النبوة، ومنبع المعارف والكمالات والأسرار، وقد ألبسهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم جميعا بكسائه الشريف، وسقاهم بمدده العظيم، وشملهم بنوره الفخيم، فحازوا منه صلى الله عليه وآله وسلم أعلى مراتب الولاية، وأقصى ما يصله البشر من درجات العرفان

قالت عائشة رضى الله تعالى عنها دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فألقى عليهم ثوبا فقال (اللهم هؤلاء أهل بيتى فأذهب

عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا) فدنوت منه فقلت يا رسول الله وأنا من أهل بيتك فقال: تنحى فإنك على خير.

رواه عبد الرزاق وابن أبى شيبة وأحمد ومسلم وابن جرير وابن أبى حاتم واللفظ له ، والحاكم والبيهقى فى الدلائل والشعب ، وغيرهم باختلاف يسير .

ورواه الترمذى وصححه وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه على شرط الشيخين وابن مردويه من طرق عن أم سلمة رضى الله عنها قالت هذه الآية نزلت فى بيتى (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)وفى البيت على وفاطمة والحسن والحسين فجللهم رسول الله صلى الله عليه واله وسلم بكساء كان عليه ، ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، فقلت: أنا معهم يا رسول الله ، فقال إنك على خير أنت من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالسر فى هذا الإلباس الذى منع أن يدخل معهم فيه غيرهم، هو سريان المدد إلا لاهى الفايض فيه صلى الله عليه وسلم منه إليهم بواسطة ذلك الثوب كما سيأتى بيانه فى الكلام على سر الباس الخرقة عند العارفين وإلا فلا معنى لإلباسهم الثوب عند الدعاء بالتطهير، فإن دعاءه صلى الله عليه واله وسلم مستجاب ، والإلباس لا تعلق له به ، لولا إرادة المعنى الذى يقوله الصوفية العارفون رضى الله تعالى عنهم فإنه لا يحتمل غيره بلا شك ، والله أعلم .

الثانى : كون الراوى عن الحسن عليه السلام هو أبو محمد جابر غير مذكور والده ولا نسبته هو كذلك عند جميع من أورد هذا السند ، إلا أبا على بن رحال فإنه قال فى (الروض اليانع الفايح) أنه جابر بن زيد وهو بعيد أو باطل لأن جابر بن زيد بصرى بعيد عن أهل البيت بل ناصبى مبغض لهم وإن نقلوا عنه التبرى من ذلك فإن الإباضية[1] كلهم ينتسبون إليه وهو إمامهم ومفخرتهم وعليه يعتمدون

(١) بكسر الهمزة ، نسبة إلى عبد الله بن إباض ، بالكسر ، وهم طائفة من الخوارج ، يدينون ببغض على وأهل بيته عليهم السلام .

فى مذهبهم، ومن جهته يسندون أحاديث فروعهم، بل لا يكادون يروون إلا عنه كما يعلم من مسند الربيع بن حبيب الإباضى ومع هذا فلم أر من ذكر روايته عن الحسن عليه السلام، وإلا الصومعى التادلى(١) فإنه صرح فى (المعزى) بأنه جابر بن عبد الله الأنصارى وهذا هو الأقرب، بل المتعين، فقد أسند الخرقة جماعة من جهته رضى الله عنه، كما سيأتى، والآخذ عنه سعيد الغزوانى بالغين المعجمة بعدها زاى منقوطة، كما عند الأكثر: وعند القشاشى فى (السمط) والفاسى (فى الفتوحات) سعيد القيروانى بالقاف بعدها ياء ثم راء مهملة نسبة إلى القيروان وقال بعضهم سعيد القزوينى، نسبة إلى قزوين، وقال بعضهم المغروانى بالميم بعدها غين معجمة ثم راء مهملة ثم واو نسبة إلى مغروان .

والآخذ عنه فتح السعود فيما ذكره الأكثرون بغير ياء النسبة وذكره الصومعى وابن عسكر والكورانى والقادرى وابن العجمى والعياشى والبديرى والفاسى فى (التحفة) بزيادة ياء النسبة، وذكره القشاشى واليوسى والبقنونى (فى السر الصفى) مثله أيضاً مع زيادة الميم فى أوله وأغرب ابن الحاج، فقال فى (برنامجه) فخر السعود والآخذ عنه سعد بغير ياء، والآخذ عنه سعيد بزيادتها عند الأكثرين، وعكس بعضهم وحذف بعضهم سعيدا، والآخذ عنه أبو القاسم أحمد المروانى فيما عند الجميع، إلا العارف الفاسى المكى فإنه قال أبو القاسم بن مروان وتبعه تلميذه السندى (فى ترجمته) والآخذ عنه أبو إسحاق إبراهيم البصرى، فى قول الجميع والآخذ عنه زين الدين القزوينى، وسماه جمع كابن حجر والقشاشى محمود، وسماه بعضهم محمدا، والآخذ عنه شمس الدين، سماه الجميع محمد، وزاد بعضهم وصفه بالمعدانى المقيم بأرض الترك والآخذ

---

(١) نسبة إلى تادلة، قبيلة من قبائل البربر بمراكش مثل صنهاجة، وغيرها، وقد أنجبت هذه القبائل علماء وأولياء كثيرين .

عنه تاج الدين محمد ، والآخذ عنه نور الدين أبو الحسن على والآخذ عنه فخر الدين اسمه محمد أيضاً، والآخذ عنه تقى الدين الفقير اسمه عبد الرحمن النهروندى نسبة إلى نهروند من قرى واسط بالعراق ، والآخذ عنه عبد الرحمن المدنى اسم والده الحسين فيما ذكره جماعة،وسمى البدبرى والده محمدا وزاد اسم جده عبد الرحمن أيضاً فالله اعلم.

ووقع فى هذه الأسماء اختلاف كثير بالزيادة والنقص والتقديم والتأخير بسبب تحريف الناقلين والذى صححه جماعة كأبى العباس الفاسى فى (المنح الصافية) وأبى محمد عبد السلام بن الطيب القادرى (فى المقصد الأحمد) هو ما ذكرناه .

(الثالث) هؤلاء الرجال لا يعرف لأحدمنهم عين ولا حال إلا عبد الرحمن المدنى العطار، فإنه معروف العين بأخذ القطب ابن مشيش عنه وتصريحه بأنه كان يأتيه من المدينة المنورة طياً للتربية والتسليك ، كما نقله عنه تلميذه أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنهما، والباقون قد بحثنا عنهم كثيرا نحن ومن قبلنا فلم نجد من ذكرهم ولا بعضهم .

قال : أبو العباس الفاسى فى (المنح الصافية) لست أعرف من هؤلاء الشيوخ الذين بين الإمام الحسن والشيخ عبد الرحمن المدنى واحدا ، وإنما ذكرتهم تقليد للفروضى، ثم هذه الطريق، والله اعلم، هى التى عنى قطب زمانه تاج الدين أبو الفضل أحمد بن عطاء الله رضى الله عنه فيما قدمنا عنه والله اعلم بالصواب .

وقال أبو عيسى (فى التحفة) رجال السند المذكور غالبهم لا يعرفون ،كما أشار إليه صاحب (النبذة) وكذا صاحب (داعى الفلاح) اهـ وهو محمد زين العابدين بن محمد المعروف بسبط المرصفى المتوفى سنة خمس وخمسين وتسعماية .

ومن أجل هذا لم يجزم بها أبو حامد الفاسى فى (مرآة المحاسن)فقال بعد حكاية قول الشيخ أبى العباس المرسى رضى الله عنه طريقتنا لا تنسب للمشارقة ولا للمغاربة وإنما هى واحد عن واحد إلى الحسن بن على عليهما السلام مانصه : فقد أثبت

الشيخ أبو العباس وجود السلسلة متصلة فمن وافقها نقلا فذاك الآخذ والانتساب ومن لنا بالموافقة ، قال شيخنا الإمام أبو عبد الله القصار ولا يلزم من الآخذ الانتساب فإن الإنسان يأخذ عن شيوخ كثيرة ، وينتسب لواحد ، ولا علم لنا لمن ينتسب سيدى عبد الرحمن المدنى ولو تحققنا أخذه عن معين واحد أو أكثر اهـ .

قلت: قد ذكر بعضهم أنه أخذ عن أبى العباس أحمد الرفاعى وعن أبى أحمد جعفر بن عبد الله بن سيدبونه الخزاعى الأندلسى، وعن أبى زيد عبد الرحمن التناأرى وأبعد بعضهم فقال إنه أخذ عن الشاشى ، كما سيأتى .

ونقل أبو زيد الفاسى فى (ابتهاج القلوب لمناقب أبى المحاسن الفاسى وشيخه المجذوب) عن المواهبي أن المذكورين كلهم أشراف وهذا يقتضى معرفته بهم ولعله أخذ ذلك من قولهم فى طريقة أبى الحسن الشاذلى إنها طريقة الأشراف .

ثم إن الشيخ العارف أبا عبد الله محمد بن مسعود الفاسى المكى وصف رجال السند المذكورين فى كتابه (الفتوحات الربانية) بما فيه بعض تعريف بالمقام، إلا أنه أتى بما يستحق أن يوصف به كل عارف بالله تعالى .

فقال: وأما سيدى عبد السلام فأخذ عن سيدى وأستاذه بحر العلوم وترجمان لسان أهل العوارف القطب الربانى والغوث الصمدانى الشريف سيدى عبد الرحمن المدنى العطار الملقب بالزيات لسكناه بحارة الزياتين بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام، كان رضى الله عنه من أكابر أولياء الله تعالى وكان من رجال الغيب وكان غوثا كاملا فردا جامعاً أتى إلى مولانا عبد السلام بن مشيش لما وقع الجذب وهو ابن سبع سنين فدخل عليه وهو عليه سيمة أهل الله، فقال: له أنا شيخك وأخبره عن أموره وأحواله ومقاماته مقاماً مقاماً، وقال له أنا واسطتك فى كل حال وكل مقام، وقد سئل بعد ذلك سيدى عبد السلام بن مشيش هل كنت تأتيه أو يأتيك فقال : كل ذلك قد كان ، فقيل له طيا أو نشرا قال طياً .

وهو أخذه عن سيده وأستاذه القطب الربانى العارف بالله الصمدانى شيخ مشايخ أهل المشارق والمغارب وسند الواصلين إلى أنجح المطالب،وأقصى المشارب، غوث الزمان ووسيلة أهل العرفان من أقامه الله فى جميع أحواله ميسرا ،القطب تقى الدين الفُقير بالتصغير سمى نفسه بذلك تواضعاً، كان رضى الله عنه من أكابر العارفين بالله وكان راسخ القدم فى المعرفة بأحكام الله، والتنزلات الإلهية بأوامر الله .

وهو أخذ عن سيده وأستاذه الغوث اللامع والفرد الجامع القطب الذى لا يشاركه أحد فى مقامه،ولم يدانيه أحد من أهل وقته وأوانه ، بحر العلوم الدافقة، وأمام أهل الطريقة والحقيقة سيدى فخر الدين كان من المشايخ المربين ومن الأقطاب المتصرفين رضى الله عنه .

وهو أخذ عن القطب الربانى والعارف الصمدانى الغوث الجامع والبرهان الساطع نور الدين أبى الحسن ، كان رضى الله عنه عارفاً محققاً جامعاً لأسرار الحقيقة محتوياً على دقائق الطريقة، وكان من أكابر العارفين ومن أهل الوجد والتمكين.

وهو أخذ عن قطب الوجود وإنسان عين الشهود الغوث الجامع الفرد سيدى تاج الدين ، كان من أكابر أولياء الله الدالين على الله بالله .

وهو أخذ عن القطب شمس الدين بأرض الترك كان إمام أهل العرفان وموصل المريدين إلى الله وكان من أكابر العارفين الواصلين المحققين الجامعين بين الشريعة والحقيقة والطريقة .

وهو أخذ عن قطب الوجود وغوث يستمد منه كل موجود ، الشيخ زين الدين القزوينى،كان أوحد أهل زمانه علما وعملا وزهدا وورعاً وكان إمام المتقين وحامل راية العارفين .

وهو أخذ عن قطب الأولياء سيدى إبراهيم البصرى غوث الأصفياء رضى الله عنه .

وهو أخذ عن القطب أبى القاسم بن مروان ، كان رضى الله عنه من أهل التمكين والرسوخ فى اليقين وكان غوثا جامعاً لأسرار الحقيقة والشريعة وهوأخذ عن أبى محمدسعيد ، كان رضى الله عنه قطباً عارفاً محققاً جامعاً .

وهو أخذ عن أبى محمد فتح السعود كان رضى الله عنه قطباً وارثاً تلقى عن أكابر السلف الصالح وتابع التابعين، وهو أخذ عن القطب سيدى سعيد القيروانى كان رضى الله عنه من أكابر أولياء الله وكان قطباً وارثاً لأسرار أستاذه التابعى الجابر أبى محمد جابر وأما البحر الذخار من كان للمساكين جابر سيدى أبو محمد جابر فورث القطبانية الكبرى والخلافة الأخرى عن أول أقطاب هذه الأمة وسراج الظلمة وسيد شباب أهل الجنة سبط الرسول وابن سيدتنا فاطمة البتول بنت الرسول سيدنا الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه وهو أخذه عن والده سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه وهو عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وسيدنا ومولانا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عن جبريل عليه السلام وجبريل عن الله عز وجل .

وهذه سلسلة الذهب لأنها مسلسلة بالأقطاب ومعنعنة بالأوتاد والأنجاب اهـ .

قلت: ولعل الشيخ الفاسى رضى الله عنه عرف مقامات هؤلاء الرجال من طريق الكشف فقد قال فى كلامه على الديوان وإنه خاص بهذه الأمة دون غيرها من الأمم ما نصه : وقد أعطانا الله الكشف والعلم الإلهى . إن أولياء الأمم الماضية ولايتهم تنقطع بموتهم ، وموت أنبيائهم وأما أولياء هذه الأمة المحمدية فلا تنقطع ولايتهم إلى يوم القيامة لوجود بقاء شريعتهم ، فكما أنه لا انقطاع لشريعتهم ، كذلك لا انقطاع لولايتهم اهـ ويؤيده ما فى (لطائف المنن) لتاج الدين ابن عطاء الله رضى الله عنه عن الشيخ أبى الحسن الشاذلى ، أنه قال فى تلميذه أبى العباس المرسى رضى الله عنهما ، والله ما من ولى كان أو هو كائن إلا وقد أظهره الله عليه ، وفيه

عن أبي العباس المرسى نفسه أنه كان يقول: والله الذى لا إله إلا هو ما من ولى لله كان أو هو كائن إلا وقد أطلعنى الله عليه وعلى اسمه ونسبه ، وكم حظه من الله تعالى اهـ فلا يبعد أن يكون الشيخ الفاسى منح هذا المقام أيضاً والله اعلم .

(الرابع) هذا السند أول من ذكره تقى الدين أبو عبد الله محمد الاسكندرى سبط أبى الحسن الشاذلى على ما قيل فى كتابه (النبذة المفيدة) وفى كتابه (شفاء الغليل ودواء العليل) وَهو ممن أدرك أصحاب أبى العباس المرسى رضى الله عنه فقال فى النبذة بعد ذكره قول أبى العباس المرسى رضى الله عنه فى هذه الطريقة إنها متصلة بأخذ واحد عن واحد إلى الحسن بن على عليهما السلام ما نصه فلما اطلعت على هذا الكلام امعنت الفحص عن معرفة بقية هذا الطريق فلم أجد سوى أن الشيخ أبا محمد عبد الرحمن المدنى عن عارف وقته الشيخ تقى الدين الفقير الذى لقب نفسه بتقى الفقير بالتصغير فيهما وذلك من أرض العراق وهو عن القطب فخر الدين فذكر السند، ثم قال:واعلم أنى ظفرت بهذه السلسلة واتصالها بعد الفحص الكبير وجدتها منقولة عن الشيخ تاج الدين ابن عطاء الله صاحب الشيخ أبى العباس المرسى ومطابقة لقول المرسى أن طريق المدنى متصلة بالأقطاب ففى هذا إشعار بصحة هذا الطريق واتصال سلسلتها وإن كنت لم أجزم فيها إلا بالشيخ الشاذلى وبشيخه ابن مشيش وشيخه المدنى ثم بالحسن بن على بن أبى طالب فمجموعها على قسمين، منها ما هو قطعى ومنها ما هو ظنى، وأما قولهم فلان الدين ولم تذكر له شهرة فحيث وجدت ذلك هنا فاعلم أنى نقلته كذلك فحكيته على ما وجدته اهـ .

وقال القادرى فى (المقصد الأحمد) ذكر هذا السند الإمام تقى الدين أبو عبد الله محمد الاسكندرى سبط أبى الحسن الشاذلى فى كتابه (شفاء الغليل ودواء العليل) مسلسلا بصحب واقتدى ونقله عنه الشيخ إبراهيم المواهبى وكذلك الشيخ سليمان ابن محيي الدين الذاكر المدنى فى تأليف له فى الأسانيد رأيته بخطه ورايته (فى النبذة

المفيدة) لسبط الشاذلى أيضاً مسلسلا بالصحبة والاقتداء وذكره كذلك الشيخ أبو عبد الله محمد زين العابدين سبط المرصفى فى كتابه (داعى الفلاح إلى سبيل النجاح) وذكره الشيخ أبو عبد الله الفروصنى فى كتابه (الأسلوب الغريب فى التعلق بالحبيب) والفقيه أبو عبد الله بن عسكر فى (دوحة الناشر) وغيرهم، وقال الشيخ سيدى إبراهيم المواهبى إنه طريقة مشهورة وقال فى النبذة أنه وجده منقولا عن الشيخ تاج الدين بن عطاء الله رضى الله عنه ، وقال الشيخ أبو العباس الفاسى ذكر غير واحد أنه وجد بخط ابن عطاء الله اﻫ .

وقال : أبو عيسى الفاسى فى (تحفة أهل الصديقية) بعد نقله قول أبى العباس المرسى: والله الذى لا إله إلا هو ما من ولى كان، أو هو كائن ، إلا وقد اطلعنى الله عليه وعلى اسمه ونسبه وكم حظه من الله تعالى ، ما نصه : فالرجال المنقولون عن ابن عطاء الله، لا يبعد أن يكونوا من كشفه ويكون ورث هذا الحال من شيخه من الإطلاع على الأولياء الماضيين ونسبهم المعنوى ، أو يكون ذلك من كشف شيخه أو شيخ شيخه ، إلا أن الأقرب الأول ، إذ لو كان عنده عن شيخه أو شيخ شيخه لنسبه إليه إلا أن يكون نسبه إليه وأسقطه الناقل عنه وقول الشيخ أبى العباس المرسى رضى الله عنه طريقتهم متصلة بالأقطاب معنعنة برجل عن رجل إلى الحسن ابن على بن أبى طالب رضى الله عنهم يؤذن بمعرفته لرجالها إن لم يكن من جهة النقل فمن جهة الكشف، والأقرب فى معرفة اتصال القطبانية الكشف، وإذا كان كذلك فلا يذكر لكل واحد إلا الذى ولده فى سماء الروحانية ومن هو منبع مدده وأصل حقيقته الذى بثها فيه ، ولقنه إياها، غيباً عن مخالطة أو دونها، لا الذى رباه بعد ذلك أو أفاده أمرا والله اعلم اﻫ .

(الخامس) ذكر بعضهم أن تقى الدين الفقير أخذ أيضاً عن العارف الشهير سيدى أحمد الرفاعى الواسطى وله فى الطريق سندان أحدهما عن أبى الفضل على

القارى الواسطى عن أبى الفضل بن كافح عن غلام تركان عن أبى على الروذبارى عن على العجمى عن أبى بكر الشبلى عن أبى القاسم الجنيد بسنده الآتى .

وثانيهما عن خاله الشيخ منصور البطايحى المعروف بالباز الأشهب عن خاله أبى منصور الطيب عن عمه أبى سعد يحيى البخارى الواسطى الأنصارى عن أبى القرندى أو القرمزى عن أبى القاسم السندوسى الكبير عن رويم البغدادى عن الجنيد بسنده الآتى .

وذكر بعضهم أن سيدى عبدالرحمن المدنى العطار أخذ أيضاً عن الرفاعى بدون واسطة الفقير ، وعن العارف أبى أحمد جعفر بن عبد الله بن سيدبونة الخزاعى الأندلسى ، عن القطب الغوث أبى مدين شعيب بن الحسن القطنيانى الأندلسى ، بسنديه الاثنين .

وفى مشيخة الشهاب أحمد بن العجمى أن المدنى أخذ عن الشاشى عن أبى سعيد المغربى عن أبى يعقوب النهرجورى عن الجنيد أسند ذلك ابن العجمى من طريق بنى وفا فقال أخذت طريق السادات الوفائية الشاذلية عن أستاذ الأستاذين جمال الإسلام والمسلمين أبى الأسعاد يوسف بن الاستاذ أبى العطا عبد الرزاق بن وفا وعن أخيه الاستاذ الكبير أبى المكارم عبد الفتاح، ولبست منهما الخرقة الشاذلية وصحبتهما مدة مديدة ، وتلقنت منهما وهما تلقنا من عمهما الاستاذ أبى الفضل محمد عن والده الاستاذ أبى المكارم إبراهيم عن والده الاستاذ محمد أبى الفضل المجذوب عن والده الاستاذ أبى المراحم محمد عن والده الاستاذ أبى الفضل عبد الرحمن الشهيد عن والده الشهاب أحمد أخى سيدى على عن والدهما الاستاذ الكبير أبى الفضل وأبى التدانى محمد وفا عن سيدى داود بن باخلا مؤلف (عيون الحقائق) وشارح حزب البحر ، عن الأستاذ الكبير سيدى تاج الدين ابن عطاء الله السكندرى عن الأستاذ الكبير أبى العباس المرسى عن القطب الربانى الأستاذ الشريف أبى الحسن الشاذلى عن الشريف عبد السلام بن مشيش عن الشريف

أبي محمد عبد الرحمن العطار الحسني الإدريسي عن الشاشي فذكره ، وهو منقطع من المدني فما فوق لبعد ما بين الرجال المذكورين فيه في الولادة والوفاة، ثم الصواب في أبي سعيد المغربي : أنه ابن الأعرابي فيما يظهر لأنه الذي يمكن أخذه عن أبي يعقوب النهرجوري ولكن بينه وبين الشاشي مدة وكذا بين الشاشي والمدني .

وقد ذكر هذا السند أيضاً أبو الصلاح علي بن محسن الصعيدي في « تعطير الأنفاس بمناقب أبي العباس» فزاد فيه أبا مدين التلمساني بين المدني والشاشي أسنده أيضاً من جهة بني وفا . فقال : لبست الخرقة الوفائية الشاذلية من سيدنا ومولانا أبي الإرشاد يوسف بن وفا ، وهو لبسها من عمه سيدي أبي المكارم عبد الفتاح بسنده السابق عند ابن العجمي ، ومع ذلك فلا يصح أيضاً لأن أبا مدين ولد بعد وفاة الشاشي بنحو العامين ثم بين ولادة الشاشي ووفاة أبي سعيد نحو سبع وسبعين سنة ثم بعد هذا وجدته في (ابتهاج القلوب) نقلا عن الملا إبراهيم الكوراني على الصواب وهو أن أبا مدين أخذ عن أبي بكر الطرطوشي عن الشاشي عن أبي غالب سالم المغربي عن أبي عمرو الزجاجي وأبي يعقوب النهرجوري فصح الاتصال وارتفع الانقطاع ثم وجدته عند الكوراني في (إنباه الأنباه بتحقيق إعراب كلمة لا إله إلا الله) .

وذكر جماعة : أن عبد الرحمن المدني أخذ أيضاً عن أبي زيد عبد الرحمن الثنائري وضبطه الشبراوي في (تنوير الصدر) بكسر التاء وأغرب أحمد بن العربي ابن الحاج فقال (في فهرسته) عبد الرحمن التازي نسبه إلى المدينة المعروفة بالمغرب وهو عن أبن بكر الشبلي ، عن الجنيد ونظمه الأمير على طريق التوسل فقال أثناء القصيدة :

بجنيدهم شبليهم يا ربنا خلص عبيدك من قيود عقاله

بتغاريهم المعظم قـــدره مولاى عبد الله قطب رجاله
وبعبد رحمن هو المدنى من قطع المفاوز فاحتظى بوصاله

إلى آخر القصيدة ، وهو واضح البطلان فإن الشبلى مات سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة فكيف يدركه شيخ المدنى الذى كان فى القرن السادس ، ثم هو مجهول لا تعرف له ترجمة مع الاختلاف فى اسمه فبعضهم يقول عبد الرحمن وبعضهم يقول عبد الله ، ومع هذا فقد ذكره جماعة من المتأخرين لا سيما الذين يسندون الطريقة الجزولية كالشريف العلمى فى (الأنيس المطرب) والطاهرى فى (تحفة الإخوان بمناقب شرفاء وزان) ومحمد بن حمزة المكناسى فى (الكوكب الأسعد) وأحمد بن العربى بن الحاج فى (برنامجه) وعمر الشبراوى فى (تنوير الصدر بشرح حزب البحر) والأمير الكبير فى نظمه كما سبق ونقله عنه بعض تلامذته فى (الحديقة الندية فى مبنى الطريقة المحمدية) والعدوى فى (النفحات الشاذلية) والبديرى فى (الجواهر الغوالى) وزاد فى الطنبور نغمة ، فقال : عن المدنى عن أبى بكر الشبلى بدون واسطة التنائرى مع أن بطلان هذا يدركه بالبداهة ذوو النباهة فضلا عن أهل العلم لا سيا وبعضهم يعبر بصحب واقتدى فى الجميع وهو تهور قبيح .

وذكر بعضهم أن القطب ابن مشيش أخذ عن أبى العباس السبتى عن أبى محمد صالح عن أبى مدين بأسانيده .

وقيل : إنه أخذ عن أبى أحمد جعفر بن عبد الله بن أحمد بن سيدبونه عن أبى مدين .

وقيل : أخذ عن أبى مدين بدون واسطة والتاريخ يقبل جميع هذا إن ثبت فى طريق النقل .

وذكر الوترى فى (روضة الناظرين) أنه أخذ أيضاً عن شمس الدين برى العراقى عن الشيخ على بن نعيم البغدادى عن أبى العباس أحمد الرفاعى بأسناديه السابقين

والغالب على الظن عدم صحة هذا لأمور : منها أن القطب ابن مشيش لم يترجم له أحد بل ولا عرف إلا من جهة تلميذه أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه وأصحابه وهم لم يذكروا هذا ولا عرجوا عليه، ومنها أن ابن مشيش فيما يظهر من حاله لم يرحل إلى خارج المغرب ولا إلى الحجاز لأداء فريضة الحج فضلا عن العراق حتى يأخذ عن شمس الدين برى العراقى ولو رحل لذكره العراقيون واشتهر كما ذكروا غيره من الغرباء ولذكره تلميذه أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه فيما ذكر من بعض أحواله والله اعلم .

ومن هذا القبيل ما يذكرونه من أخذ سيدى أحمد البدوى وسيدى إبراهيم الدسوقى عن القطب ابن مشيش والثانى باطل جزما لأن الدسوقى ولد بعد وفاة ابن مشيش رضى الله عنه والبدوى خرج به أهله من فاس صغيرا ، وابن مشيش فى جبل العَلَم بعيدا عن فاس غير مشهور ولا متداول الذكر بين الناس فالله تعالى اعلم .

فصل

وأما طريق الخرقة لأبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه فعن أبى عبد الله محمد بن على بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن حرزهم الأموى العثمانى دفين أحواز فاس المعروف عند العامة بسيدى حرازم السخونات عن أبى محمد صالح بن نيصارن بن غقيان الدكالى نزيل مدينة أسَفِى ودفينها عن أبى مدين شعيب بن الحسن القَطَنْيَتَانى الأندلسى دفين العباد قرب تلمسان وقيل عن أبى محمد عبد الرزاق الجزولى دفين الإسكندرية عن أبى مدين عن أبى يعزى يَلَنُّور بن موسى بن عبد الله الهزميرى وقيل فى اسم والده غير ما ذكر عن أبى شعيب أيوب بن سعيد الصنهاجى الزمورى المعروف بالسارية عن أبى ينور عبد الله بن وكريس الدكالى المشترائى عن أبى محمد عبد الجليل بن وايجدا بواو مفتوحة وألف وياء ساكنة وجيم ودال مفتوحتين وقيل ويجلان الدكالى نزيل أغْمَاتَ عن أبى الفضل عبد الله بن الحسين

ابن بشرى الجوهرى عن والده عن أبى الحسين أحمد بن محمد القورى رفيق الجنيد عن السرى السقطى عن معروف الكرخى عن داود الطائى عن حبيب العجمى عن الحسن البصرى عن على عليه السلام عن النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم .

وأخذ معروف الكرخى أيضاً عن على بن موسى الرضى عن أبيه موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن أبيه على زين العابدين عن أبيه الحسين عن أبيه على عليهم السلام عن النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم .

وقد وقع اختلاف فى مواضع من هذا السند .

(الأول) فى أخذ أبى محمد صالح هل عن أبى مدين مباشرة أو عن تلميذه أبى محمد عبد الرزاق الجزولى فبعضهم يقول عنه عن أبى مدين وبعضهم يقول عنه عن عبد الرزاق الجزولى عن أبى مدين، وقيل: إنه أخذ أولا عن الشيخ عبدالرزاق ثم اجتمع ثانياً بشيخه أبى مدين فيكون كلا القولين صحيحاً ويكون أخذه عن عبد الرزاق من قبيل المزيد فى متصل الأسانيد .

قال أبو العباس الفاسى فى (المنح الصافية) بعد إيراد هذا السند من رواية أبى محمد صالح عن أبى مدين هكذا جعل الفروصى أبا محمد صالح تلميذاً لأبى مدين ونحوه عن الشيخ أبى العباس الخطيب المعروف بابن قنفذ فقال فى كتابه (أنس الفقير وعز الحقير) عندما ترجم له: ومن أصحاب الشيخ أبى مدين رضى الله عنه الشيخ الشهير أبو محمد صالح بن نيصارن وشيخه عبد الرزاق الجزولى وعبد الرزاق هذا رفيع القدر وقبره قرب الإسكندرية يتبرك به وهو من كبار تلامذة الشيخ أبى مدين ولازمه مدة طويلة ثم قال بعد هذا بأوراق : وشيخه أبو محمد عبد الرزاق الجزولى من كبار تلامذة الشيخ أبى مدين وقبره قرب الإسكندرية ثم قال وذكره أيضاً يعنى التادلى حين ذكر عبد الرزاق الجزولى فقال : وهو شيخ العبد الصالح أبى محمد صالح . وهو حى الآن قال ابن قنفذ وأخبرنى غير واحد أن الشيخ أبا محمد صالح لقى الشيخ أبا مدين رضى الله عنهما وأخذ عنه وهذا والله أعلم صحيح لأنه كان معاصرا له ثم استدل على ذلك

بما حاصله : أن أبا العباس أحمد الغبريني صاحب (عنوان الدراية) ذكر أنه أخذ التصوف عن أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم السجلماسي عن أبي محمد صالح عن أبي مدين وإنه أيضاً وقف على مجموع بخط أبي محمد صالح وتاريخه سنة أربع وثمانين وخمسماية والشيخ أبو مدين وقتئذ ببلاد إفريقية وبعده استقر ببجاية ه ولما ترجم التادلي للشيخ عبد الرزاق هذا قال ما نصه : ومنهم أبو محمد عبد الرزاق الجزولي تلميذ أبي مدين استقر أخيراً بالإسكندرية وبها مات وكان من كبار المشايخ انتهى محل الحاجة ،قال أبو العباس الفاسي: وما ذكره ابن قنفذ عنه في ترجمة الشيخ عبد الرزاق لم أجده فيه في عدة نسخ ولعله وقع في نسخته وإنما وجدت فيه أنه حدث عن الشيخ عبد الرزاق بواسطة أبي محمد صالح مرتين، قال في إحداهما :سمعت عبد النور يقول سمعت الشيخ أبا محمد صالح يقول غير مرة : اغتم شيخنا أبو محمد عبد الرزاق من أمر كان بينه وبين زوجته فذكر حكاية طويلة ه .

قلت: وكأن النسخ التي وقعت بيد أبي العباس الفاسي كان بها نقص أو كان بصره ينبو عن رؤية الترجمة بها وإلا فالموضع الذي حدث فيه التادلي عن الشيخ عبد الرزاق بواسطة أبي محمد صالح هو في ترجمة الشيخ عبد الرزاق ، بل لم يذكر في ترجمته إلا تلك الحكايتين بعد قوله : ومنهم الشيخ أبو محمد عبد الرزاق الجزولي تلميذ أبي مدين استقر أخيراً بالإسكندرية وبها مات وكان من كبار المشايخ ثم ذكر الحكايتين .

وقد نقل كلام ابن قنفذ هذا بتمامه صاحب (المعزى في مناقب أبي يعزى) وفيه أن الشيخ الاسكندري نقل عن تاج الدين أبي العباس أحمد بن الميلق الاسكندري صاحب الشيخ تاج الدين ابن عطاء الله أنه سئل عن الجمع بين الاختلافات هنا فقال: صحب الشيخ أبو محمد صالح الشيخ عبد الرزاق في حياة الشيخ أبي مدين فرأى الشيخ عبد الرزاق من طريق الكشف أنه من أصحاب شيخه أبي مدين فتوجه

إليه وصحبه واقتدى به إلى حين وفاته ، قلت : لما أتى الشيخ أبو محمد صالح مجلس الشيخ عبد الرزاق فسأله واختبره وجده فى حالة أقوى منه فقال له : يا بنى إنك صاحب همةعالية، ولايليق بتربيتك إلا شيخنا أبو مدين فتوجه إليه ونحن شركاء فى الخير فانتفع بصحبتهما معاً وكان يقول لكل واحد منهما شيخى ه .

الثانى : فى زيادة أبى ينور عبد الله بن وكريس بين أبى شعيب وعبد الجليل ابن ويجلان فقد بحث فى ذلك أبو حامد الفاسى فقال فى (مرآة المحاسن) : قال أبو يعقوب التادلى فى كتاب (التشوف) : أبو محمد عبد الجليل بن ويجلان دكالى الأصل ونزل أغْمَات وبها مات شهيداسنة إحدى وأربعين وخمسمائة كبير الشأن من أهل العلم والعمل رحل إلى المشرق فلقى به شيخا من الصوفية فأخذ عنه هذا الشأن شيخا عن شيخ بالسند المتصل إلى أبى ذر الغفارى صاحب النبى صلى الله عليه وآله وسلم اه . وهذا السند المشار إليه غير السند المذكور هنا والله اعلم قال : والزمان والمكان صالحان لأخذ الشيخ أبى شعيب عن الشيخ أبى محمد عبد الجليل دون واسطة لكنى لم أجده إلا بواسطة الشيخ أبى ينور ولم أدر سبب ذلك ؟ ولا شك أن الشيخ أباينورمن أشياخه ، ففى(التشوف) أبو ينور عبدالله بن وكريس الدكالى من مشترايه من أشياخ أبى شعيب أيوب السارية كبير الشأن من أهل الزهد والورع ، وفيه : أبو على منصور بن إبراهيم المسطاسى كبير الشأن من أهل العلم والعمل مات بآزمور سنة أربعين وخمسمائة ، وهو من أشياخ أبى شعيب أيوب السارية ه .

وهذا كما رأيت قرين الشيخ أبى محمد عبد الجليل وقد ذكروا كما فى (التشوف) أن الشيخ أبا شعيب هو الذى صلى على حجة الإسلام الغزالى بطوس وقد توفى حجة الإسلام سنة خمس وخمسمائة وكان أوصى ألا يصلى عليه حتى يأتى رجل يصلى عليه والحكاية معروفة فقد كان أبو شعيب فى ذلك التاريخ من أهل

الخصوصية التامة والتمكن من الوصول في الزمان القريب إلى المكان البعيد . وذلك قبل وفاة الشيخ أبي محمد عبد الجليل بنحو ست وثلاثين سنة مع المشاركة في الوطن أو قربه ، وفي (التشوف) : أبو شعيب أيوب بن سعيد الصنهاجي من بلاد آزمّور ومن أشياخ أبي يعزى وكان في أول أمره معلماً للقرآن بقرية اشكاوَنْ من بلاد دكالة ومات بآزمور يوم الثلاثاء العاشر من ربيع الثاني سنة إحدى وستين وخمسمائة هـ

ولما نقل بعض هذا أبو عيسى الفاسي في تحفة أهل الصديقية قال : فلا يبعد على هذا أن يكون الشيخ أبو شعيب لقي أبا محمد عبد الجليل إلا أنه كان يأخذ عن تلميذه مع وجوده وكان سبب ذلك أنه ما فتح له إلا على يديه ولا كشف له أولا إلا عن خصوصيته وهو أعني أبا ينمور مع ذلك مطلق من ثقاف الإرادة مأذون بقبول الخلق وتربيتهم مع وجود شيخه أو لم يكن اتخذه شيخ تحكيم وإرادة بل شيخ تعليم فقط ثم كمل وأذن بقبول الخلق وتعليمهم وتربيتهم ومن رزق من باب فليلازمه بل من أخذ من قلبه فلا فكاك له من يد من أخذه منه وليس لأهل الطريق معول على علو السند ولا لهم إليه نظر ولا لهم فيه اختيار بل من أخذه ملكه فلا يبغى به بديلا والمطلوب فيها سلب الإرادة فلا فرق فيه بين علو أو نزول ثم لو رام أن يترك صحبته إلى صحبة غيره لعلو أو غيره لكان فيه سوء أدب ثم لا يفلح مع الأول ولا مع الثاني ولو كان هذا الثاني شيخ الأول إلاّ إن كان عن إذنه وقضية أبي الحسن السريفي مع سيدي علي بن عثمان لما تركه وذهب إلى شيخه الغزواني معلومة ، وما وقع له في ذلك من الخسارة والسلب والعياذ بالله من سوء الأدب المفضي إلى العطب ، وقد ذكر حكايته صاحب (الدوحة) ونقلتها في (ممتع الأسماع) .

وقد يختار بعضهم في السند النزول ويؤثره على العلو ، لكثرة عدد الشيوخ

ويقول على قدر ما تكثر الشيوخ فى السند تقوى أنواره وتترادف على مسنده وتتظاهر عليه وللناس فى ذلك أحوال ومقاصد وهذا الفرق بين أسانيد الطريق وأسانيد الحديث الأولى : نتيجتها اقتباس الأنوار والثانية المقصود منها ما تضمنته من الأخبار وهذه يلزمها البحث لا محالة فيطلب فيها العلو فبقدر ما يعلو السند يكون البحث فيه أسهل والتصحيح له امكن .

ثم وجدت عند الشيخ السنوسى رحمه الله ، قال الشيخ أبو مدين رضى الله عنه: ألبسنى الخرقة الشريفة أيضاً شيخى وقدوتى أبو يعزى ، قال: ألبسنى شيخى وقدوتى أبو شعيب أيوب السارية ولقب سارية لطول قيامه، قال : ألبسنى عبد الجليل وبحدا قال : ألبسنى أبو الفضل الجوهرى ، قال : ألبسنى والدى أبو عبد الله الحسين ابن بشرى ، قال : ألبسنى أبو الحسن أحمد بن محمد النورى المعروف بابن البغوى قال : ألبسنى السرى بن مغلس السقطى رضى الله عنه ، ثم ذكر باقى السند فلم يذكر واسطة بين الشيخ أبى شعيب والشيخ أبى محمد عبد الجليل هـ .

وما أجاب به أولا عن أخذ الشيخ أبى شعيب أيوب السارية عن أبى ينور مع إدراكه شيخه أبا محمد عبد الجليل هو جواب حسن يؤيده الواقع والمشاهدة فى كثير من المشايخ من آخرهم العارف الشهير أبو العباس سيدى أحمد بن عجيبة فإنه أخذ عن العارف الكبير سيدى محمد البوزيدى ولازمه وسلك الطريق على يديه مع وجود شيخه مولاى العربى الدرقاوى رضى الله عنهم ، ولما فتح له على يديه إذن له فى التربية والتسليك فأخذ عنه هو وجماعة مع وجود شيخه البوزيدى وشيخ شيخه مولاى العربى بل كان جل أصحاب الشيخ مولاى العربى رضى الله عنه الواصلين المربين من هذا القبيل فكان كثير منهم يشد الرحلة إليه لزيارته مع الوفود من تلامذتهم بل وتلامذة تلاميذهم أيضاً كالشيخ سيدى أحمد بن عجيبة أيضاً فإنه كان له تلامذة وأتباع ومات فى حياة شيخه البوزيدى الذى مات أيضاً فى حياة شيخه مولاى العربى رضى الله عنهم فابن عجيبة توفى سنة أربع وعشرين

ومائتين وألف وتوفى شيخه البوزيدى بعده بخمس سنين سنة تسع وعشرين وتوفى شيخه مولاى العربى بعده بعشر سنين سنة تسع وثلاثين .

وحكاية أبى الحسن السريفى التى أشار إليها هى: انه كان أخذ عن العارف أبى الحسن على بن عثمان الشاوى وأقام فى خدمته مدة طويلة إلى أن اشتهر حاله وانتشر صيته وكثر أتباعه فانتقل إلى موضع يقال له أبو بين فعمرت سوقه وشاع فى المغرب خبره وظهرت على يديه كرامات لا تحصى فرآى أنه أبلغ من شيخه وأنف من الانتساب إليه وذهب إلى مراكش مع تلامذته الأخذ عن شيخ شيخه سيدى أبى محمد الغزوانى فلقيه وانتسب إليه وترك الانتساب إلى شيخه أبى الحسن الشاوى ولما رجع إلى بلده أقام شيخه مدة ينتظر زيارته له فلم يأته فقال لأصحابه أعزموا على السفر إلى الشيخ مولانا عبد السلام بن مشيش ويكون مرورنا على صاحبنا أبى الحسن على فلما مروا عليه نزل الشيخ بالمسجد وبعث إليه فلم يأته وبعث إليه بالطعام فقال الشيخ لأصحابه قوموا بنا ولا تأكلوا شيئاً من هذا الطعام فنحن إنما جئنا لأخذ الأمانة التى كانت لنا هنا وقد حملناها فانصرفوا ثم رأى السريفى فيما يرى النائم كأن قمراً خرج من صدره وصعد إلى السماء فكان ذلك سلب الحكمة عنه فما اجتمع إليه بعد ذلك اثنان وبقى على ذلك إلى أن مات ولما بلغ ذلك إلى الشيخ أبى محمد الغزوانى قال ذلك جزاء من يكفر بإحسان شيخه .

الثالث : فى أخذ الحسين بن بشرى الجوهرى والد أبى الفضل عن أبى الحسين النورى فأكثرهم يورده كذلك وهو الذى ذكره أبو مدين رضى الله عنه نفسه فيما نقله عنه السنوسى كما سبق مع أن التاريخ يأبى ذلك كما نبه عليه أبو عيسى فى (التحفة) فقال عقب نقله كلام أبى مدين السابق فى لباس الخرقة مانصه: وما ذكره من أن الشيخ أبا عبد الله الحسين بن بشرى الجوهرى أخذ عن النورى بلا واسطة كذلك هو أيضا عند الشيخ الحافظ أبى العباس أحمد بن أبى المحاسن

الفاسى وعند أخيه أبى عبد الله العربى فى (المرآة) أنه أخذ عنه بواسطة الشيخ أبى بكر الدينورى وبخط الحافظ الذهبى فى تاريخه : انه أبو الفضل عبد الله بن الحسين بن بشرى بن سعيد الجوهرى فكتب الحسين بالياء وضم الحاء وبشرى بالياء بعد الراء وقال مات فى العشر الأوسط من شوال سنة ثمانين وأربعمائة وقبره عند قبر والده أبى عبد الله يزار هو ووالده وولده أبو البركات . وكان أبو الفضل من كبار مشايخ المصريين وبيته بيت العلم والعدالة والنبل وذريته ذرية مباركة وكان يعظ الناس بمصر بجامع عمرو بن العاص ثم ذكر من سمع منه ومن روى عنه وعلى ما ذكر فى وفاة أبى الفضل الجوهرى لا يصح أن تكون الواسطة بينه وبين أبى الحسن النورى رجلا واحداً فقط لبعد ما بين وفاتهما بما يقرب من مائتى سنة بالتثنية .

وأما أبو بكر الدينور فإن كان المراد به أبا بكر بن جابار بن عبد الله الدينورى الحافظ فقد توفى سنة ثمان وستين واربعمائة وكان ممن لقى فى رحلته فى طلب الحديث أبا سعيد أحمد بن محمد المالينى وأبو الفضل الجوهرى قد سمع الكثير من حديث ابى سعيد المالينى فغاية الدينورى ان يكون من شيوخ ابى الفضل لا من شيوخ والده والله اعلم اه .

قلت : ليس المراد بأبى بكر الدينورى من ذكر بل المراد به أبو بكر محمد بن على ابن الحسن بن على الدينورى ذكره ابن السمعانى فى الأنساب وقال يعرف ببرهان . كان أحد الصالحين صاحب كرامات ظاهرة قدم بغداد سنة تسع وأربعين وثلاثمائة وحدث بها عن أبى شعيب الحرانى وعبد الله بن محمد بن بيان وإبراهيم بن زهير الحلوانى وأبى مسلم الكشى وآخرين . ذكره صالح بن أحمد الحافظ فى طبقة الهمذانيين : برهان الدينورى ذاكرته وكان شيخا فاضلا ثقة ورعا ، ولم يقض لى السماع منه وكان يشبه أهل العلم بالله صدوقا رحمنا الله وإياه اه . وهى ترجمة

مأخوذة من تاريخ الخطيب باختصار وقد أسند الخطيب من طريقه حديث أنس ابن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه واله وسلم أنه قال: «والذى نفسى بيده لا تقوم الساعة على رجل يقول لا إله إلا الله ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر».

وأسند عنه أنه قال: إنى لأطعم لقيمات فى طعام عند محب لهذه الطائفة فأرى على قلبى سوادها لما لا اتعرف امره وادخل على السلامة وانى سمعت اللؤلؤى يقول: يحكى أن بشرا دعاه رجل إلى طعام فدخل فرآى حاله مستوية فقال لصاحبه من أين مالك؟ قال: أشهد الله من حل ما ظلمت ولاغصبت ولا أربيت، قال: ففيم تتجر؟ قال: فى الطعام، فخرج عنه وقال: هذا مال جمع من دم المسلمين، ولم يذكر الخطيب تاريخ وفاته، إلا أنه روى عنه بواسطة فقال: حدثنا عنه أبو الحسن بن رزقويه وعلى بن أحمد بن عمر المقرى، والخطيب من أقران الجوهرى، ومات قبله بأربع سنين كما أن الدينورى حدث عن جماعة من أقران أبى الحسن النورى كأبى جعفر محمد بن عثمان بن أبى شيبة الذى مات بعد النورى بثلاث سنين فلم يبق ريب فى أنه المذكور فى السند والله أعلم.

فصل

وأخذ أبو مدين أيضاً عن أبى الحسن على بن حرزهم عن ابى بكر محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بأبى العربى المعافرى عن أبى حامد محمد بن محمد بن محمد ابن أحمد الغزالى عن أمام الحرمين أبى المعالى عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجوينى عن أبى طالب محمد بن على بن عطيه المكى ثم البصرى عن أبى القاسم.

هكذا ذكره جماعة يطول عدهم ومنهم من عبر بصحب فى الجميع كأبى عبد الله الساحلى فى (بغية السالك) ونظمه شرف الدين البوصيرى فى قصيدة طويلة ذكرها صاحب كتاب (المنهج الواضح فى مناقب أبى محمد صالح) جاء فيها:

فمنهم أبو حسن سليل لحرزهم   أتى فى العلا والفضل فاتحة الحزب

ومنهم أبو بكر العربى قد سما ... بما رسموا فيه على العجم والعرب
ومنهم أمام العصر فى العلم والتقى ... أبو حامد حسبى أمام به حسبى
ومنهم أمام الملة المتقى أبى الـ ... معالى أمام الحل والحرم الرحب
أبو طالب صبح قد اسفر وجهه ... سفير قلوب العاشقين إلى الحب
أبو القاسم الحبر الجنيد الذى له ... فعال على عد الحصى كثرة تربى

إلى أخر السند وهو منقطع بين أمام الحرمين وأبى طالب المكى ، وبين أبى طالب والجنيد

قال أبو العباس الفاسى فى (المنح الصافية) بعد إيراده : وفى القلب منه شىء لأن أمام الحرمين توفى سنة ثمان وسبعين وأربعمائة والشيخ أبو طالب توفى فى جمادى الآخرة سنة ست وثمانين وثلاثمائة كما قاله الشيخ أبو القاسم الأزهرى والشيخ أحمد بن محمد العتيقى وتوفى الشيخ أبو القاسم الجنيد سنة سبع وتسعين ومائتين فبين أمام الحرمين والشيخ أبى طالب قريب من تسعين سنة وبين أبى طالب والجنيد قريب من مائة سنة على إنى تصفحت القوت من أوله إلى آخره فما رأيته ذكر أنه لقيه كما قال فى غيره كأبى الحسن بن سالم صرح بلقياه غير مرة وقال فى غيره كأبى سعيد بن الأعرابى : شيخنا ، وأبو بكر بن الجلاء لقيه وصرح بأنه شيخه كذلك بل إن تأملت كلامه فى القوت وجدته ما يذكر كلام الجنيد إلا كما يذكر غيره من الشيوخ وإنما ينوه بأبى محمد سهل وتلميذه أبى الحسن بن سالم ويفرع على كلامهما فهو فى طريقة البصريين أدخل بكثير من طريقة البغداديين على إنى رأيت كل من تنتهى سلسلته إلى أبى مدين يعتمد هذا السند اﻫ .

قلت: تبع فى تاريخ وفاة الجنيد أبا القاسم القشيرى فإنه ذكر ذلك فى الرسالة والصحيح أنه مات سنة ثمان وتسعين والسند منقطع جزما فإن أمام الحرمين ولد بعد وفاة أبى طالب بثلاث وثلاثين سنة وذلك فى ثامن عشر المحرم سنة أربع عشرة وأربعمائة وأبو طالب المكى توفى سنة ست وثمانين وثلاثمائة والصواب فى هذا

الإسناد كما ذكره بعضهم عن أمام الحرمين عن والده أبى محمد الجوينى عن أبى طالب المكى عن أبى عثمان المغربى عن أبى عمرو محمد بن إبراهيم الزجاجى عن الجنيد وبعضهم يقول عن أبى طالب المكى عن أبى بكر الشبلى عن الجنيد وهذا أيضاً فى القلب منه شىء فإن أبا طالب تأخر بعد وفاة الشبلى باثنتين وخمسين سنة إلا أن يكون عمر طويلا أو أخذ عنه فى سن الشباب كالعشرين ونحوهما والله أعلم .

وذكر السنوسى فيما نقله عنه أبو عيسى الفاسى فى (التحفة) أن لإمام الحرمين طريقا آخر فى الخرقة وهو عن الأستاذ أبى القاسم القشيرى عن الأستاذ أبى على الدقاق عن أبى القاسم النصراباذى عن الشبلى عن الجنيد رضى الله عنه .

فصل

وأخذ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه عن جماعة آخرين أخذ خرقة وتبرك أيضاً .

منهم الشيخ أبو سعيد خليفة بن أحمد الباجى التميمى دفين خارج تونس وصاحب الكرامات الكثيرة المشهورة فإن الشاذلى رضى الله عنه أخذ عنه ولازمه وانتفع به كثيرا كما أخبر بذلك عن نفسه وهو أخذ عن أبى مدين .

وقيل : عن أبى محمد عبد العزيز بن أبى بكر القرشى المهدوى عن أبى مدين .

وذكر صاحب (المنح البادية) أن الشاذلى أخذ أيضاً عن أبى محمد المهدوى هذا وذلك من جهة التاريخ ممكن فإن كلا منهما كان بتونس وتاريخ وفاتهما متقارب فالشيخ أبو سعيد الباجى مات سنة ثمان وعشرين وستمائة والشيخ أبو محمد المهدوى مات سنة أحدى وعشرين .

ومنهم الشيخ الأكبر محمد بن على بن العربى الحاتمى وهو أخذ عن جماعة كثيرة وقد ذكر سنده بلبس الخرقة فى جزء أفرده لذلك سماه (نسب الخرق) ذكر

فيه انه لبسها من يد جمال الدين يونس بن يحيى بن أبى الحسين العباسى القصار بمكة بالحرم الشريف تجاه الكعبة المعظمة وهو لبسها من يد شيخ الوقت عبد القادر أبى صالح بن أبى عبد الله الجيلى وهو لبسها من يد أبى سعيد المبارك بن على المخزومى وهو لبسها من يد أبى الحسن على ين محمد بن يوسف القرشى الهكارى والبسها الهكارى من يد أبى الفرج الطرسوسى وهو من يد أبى الفضل عبد الواحد بن عبد المزيز التميمى وهو من يد أبى بكر محمد بن خلف بن جَحْدر الشبلى والشبلى صحب أبا القاسم الجنيد بن محمد وتأدب به ولبس منه والجنيد صحب خاله السرى السقطى وأخذ عنه وتأدب به وسرى صحب معروف بن فيروز الكرخى وأخذ عنه وتأدب به ومعروف صحب على بن موسى وتأدب به وعلى بن موسى صحب أباه موسى وتأدب به وموسى صحب أباه جعفر بن محمد وتأدب به وجعفر صحب أباه محمد بن على وتأدب به ومحمد صحب أباه على بن الحسين وتأدب به وعلى صحب أباه الحسين بن على وتأدب به وأخذ عنه والحسين صحب جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصحب أباه على بن أبى طالب وعلى بن أبى طالب صحب رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وتأدب به وأخذ عنه ورسول الله صلى الله عليه واله وسلم أخذ عن جبريل عليه السلام وجبريل عليه السلام أخذ عن الله تعالى .

قلت للشيخ يونس: ما أخذ عنه قال سألت أو سئل الشيخ عبد القادر ماأخذ عنه فقال أخذ عنه العلم والأدب .

وذكر الشيخ محى الدين بن العربى رضى الله عنه : أنه لبسها أيضا من يد أبى عبد الله محمدٌ بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التميمى الفاسى ومن يد تقى الدين عبد الرحمن بن على بن ميمون التوزرى المصرى سنة ست وثمانين وخمسمائة وكلاهما لبس من يد أبى الفتح محمد بن أحمد بن محمود المحمودى وهو لبس من يد أبى الحسن على بن محمد البصرى ولبس البصرى من يد أبى الفتح بن شيخ

الشيوخ ولبس أبو الفتح من يد أبى إسحاق ابن شهريار المرشد ولبس المرشدمن يد حسن أو حسين الاكار ولبس الاكار من يد أبى عبد الله بن خفيف وابن خفيف صحب جعفر الحذاء وصحب الحذاء شيخه أبا عمرو الاصطخرى وصحب أبو عمر وشيخه أبا تراب النخشبي وصحب أبو تراب شيخه شقيقاالبلخى وصحب شقيق إبراهيم بن ادهم وصحب إبراهيم موسى بن زيد الراعى وصحب الراعى أويسا القرنى وصحب أويس عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب ، وصحب عمر وعلى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وأخذا عنه وتأدبا به اه .

قال والبستها أيضا من يد أبى الحسن على بن عبد الله بن جامع ولبسها ابن جامع من يد الخضر وصحبه وتأدب به واخذ عنه .

قال : وكذلك صحبت أنا الخضر عليه السلام وتأدبت به وأخذت عنه التسليم لمقالات الشيوخ نصا من فيه إلى فى وغير ذلك من العلوم اه وقد أورد الصفى القشاشى فى (السمط المجيد) سنده الثانى من طريق أويس، ثم قال: لم يصرح الشيخ قدس سره من ابن خفيف إلى منتهى السند باللبس وإنما ذكر الصحبة بناء على عدم ثبوت الاتصال عنه كما دل عليه كلامه فى (الفتوحات المكية) فى الباب الخامس والعشرين فإنه بعد ما حكى ما جرى له مع سيدنا الخضر عليه السلام قال ما نصه : واجتمع معه رجل من شيوخنا وهو على بن عبد الله بن جامع من أصحاب على المتوكل وأبى عبد الله قضيب البان وكان يسكن بالمقلى خارج الموصل فى بستان له وكان الخضر عليه السلام قد ألبسه الخرقة بحضور قضيب ألبان وألبسنيها الشيخ بالموضع الذى ألبسه فيه الخضر من بستانه وبصورة الحال التى جرت له معه فى ألباسه إياها وقد كنت لبست خرقة الخضر بطريق أبعد من هذا من يد صاحبنا تقى الدين عبد الرحمن بن على بن ميمون بن أبى التوزرى وهو لبسها من يد صدر الدين شيخ الشيوخ بالديار المصرية وهو محمد بن حموية وكان جده قد لبسها من يد الخضر عليه السلام وفى ذلك الوقت قلت بلباس الخرقة وألبستها

الناس لما رأيت الخضر قد اعتبرها وكنت قبل ذلك لا أقول بالخرقة المعروفة الآن فإن الخرقة عندنا إنما هي عبارة عن الصحبة والأدب والتخلق ولهذا لا يوجد لباسها متصلا برسول الله صلى الله عليه واله وسلم ، ولكن يوجد صحبة وأدبا وهو المعبر عنه بلباس التقوى فجرت عادة أصحاب الأحوال إذا رأوا أحدا من أصحابهم عنده نقص فى امر ما وارادوا ان يكملوا له حاله يتحد به هذا الشيخ فإذا اتحد به اخذ ذلك الثوب الذى عليه فى حالة ذلك الحال ونزعه وافرغة على الرجل الذى يريد تكملة حاله ويضمه فيسرى فيه ذلك الحال فيكمل له ذلك الأمر فهذا هو اللباس المعروف عندنا والمنقول عن المحققين من شيوخنا اه . فصرح بأنه لم يتحقق عنده لباسها متصلا برسول الله صلى الله عليه واله وسلم وإنما اقتدى فى ذلك بسيدنا الخضر عليه السلام وكذلك كلامه فى رسالة الخرقة يدل على انه إنما اقتدى فى ذلك بالمشايخ حيث قال بعد تمهيد: فظهر الجمع بين اللبستين من زمان الشبلى وابن خفيف إلى هلم جرا فجرينا على مذهبهم فى ذلك فلبسناها من أيدى مشايخ جمة سادات بعد أن صحبناهم وتأدبنا بأدابهم ليصح اللباس ظاهرا وباطنا اه .

وأجيب : أن هذا أمر متعلق بالرواية لايكشف الحقائق بخلاف أهلها[1] معتبر وقد اثبته جماعة ممن جمع بين الفقه والحديث والتصوف ومن المقرر فى الأصول أن المثبت مقدم على النافى وقد قال الشيخ محيي الدين قدس سره فى (الباب التاسع والستين من الفتوحات المكية) ما نصه : ولا يعتبر عندنا ما يخالفنا فيه علماء الرسوم إلا فى نقل الأحكام المشروعة فإن فيها يتساوى الجميع ويعتبر فيها المخالف بالقدم فى الطريق الموصل او فى المفهوم باللسان العربى واما فى غير هذا فلا يعتبر إلا مخالفة الجنس، وهذا سار فى كل صنف من العلماء بعلم خاص اه بلفظه قدس سره وفيه الكفاية . والحمد لله رب العالمين ولكن ينبغى ان يقيد بما ذكره فى كتابه (عقلة المستوفز) حيث قال ما نصه: ثم نقول إنا ما اوردنا شيئا مما ذكرناه او نذكره

---

(١) أى أهل الرواية .

من جزئيات العالم إلا واستنادنا فيه إلى خبر نبوى يصحبه الكشف : ولو كان ذلك الخبر مما تكلم في طريقه ، فنحن لا نعتمد فيه إلا على ما يخبر به رجال الغيب رضى الله عنهم اهـ (فالحاصل) أن كل حديث تكلم فى طريقه أئمة الجرح والتعديل فإن حكمهم معتبر إلاّ ماصححه الكشف ، فإن الحكم للكشف ، وإن ضعفه أئمة النقل ، ورب حديث يورده فى الفتوحات يقول فيه : ما معناه : صحيح كشفا ، غير ثابت نقلا ، كقوله فى الباب الثانى والثلاثمائة ما نصه : ولقد ورد فى حديث نبوى صحيح عند أهل الكشف ، ولم تثبت طريقه عند أهل النقل ، لضعف الراوى ، ولقد صدق فيه . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لولا تزيد فى حديثكم وتمريج فى قلوبكم لرأيتم ما أرى ، ولسمعتم ما أسمع »[1] اهـ وسيأتى النقل عنه فى شرح (الرسالة اليوسفية) إنه قال : وقال فى الخبر الصحيح نقلا وكشفا إلخ فاتفقا على التصحيح ، ومن هنا قالوا فى أصول الحديث : إذا وجدت حديثا بإسناد ضعيف فلك أن تقول هذا ضعيف ، وتعنى بذلك الإسناد ، وليس لك أن تعنى بذلك ضعفه مطلقا ، بناء على ضعف ذلك الطريق ، إذ لعل له إسنادا آخر صحيحاً يثبت بمثله الحديث اهـ .

قلت : يريد القشاشى أن يجعل لبس الخرقة المعروفة فى عصره مرويا كذلك إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وليس الأمر كما يريد ، بل من له أدنى معرفة بالسنة ومخالفة الأثار يعرف أن الحق ما قاله الشيخ الأكبر رضى الله عنه . وأن السند من ابن خفيف وتلك الطبقة فما فوق إنما هو لمجرد الأخذ والصحبة والاقتداء ، وحصول النفع من الأعلى للأدنى ولو بمجرد الرؤية والمجالسة ، وذلك

---

(١) سبب وروده أنهم سألوا لم لا يرون ولا يسمعون عذاب القبر ؟ والتمريج الاختلاط .

هو المقصود بالخرقة فى عرف كثير من الصوفية . فهم يطلقون لفظ الخرقة والإلباس ويريدون المعنى الذى ذكرناه والله اعلم ، وسيأتى نص السهروردى وغيره بمثل هذا أيضاً .

فصل

ومنهم[1] أبو الفتح الواسطى صاحب الشيخ سيدى أحمد الرفاعى ، فإنه لقيه بالعراق وبإشارته أخذ عن القطب مولانا عبد السلام بن مشيش كما هو مذكور فى ترجمته ، وسيأتى سند الرفاعى .

(ومنهم) فيما ذكره العارف الشعرانى ومن تبعه . كصاحب (المنح البادية) وغيره : نجم الدين الأصفهانى وهو وهم قبيح ، لأن النجم الأصفهانى متأخر عن الشاذلى ، ومنشأ الغلط فى هذا أن الصلاح الصفدى قال : فى ترجمة أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه من (نكت الهميان) : ورأيت شيخنا عماد الدين يعنى ابن كثير الحافظ ، قد فتر عنه فى الآخر ، وبقى واقفاً فى هذه العبارات ، حائرا فى الرجل لأنه كان قد تصوف على طريقته ، وصحب الشيخ نجم الدين الأصفهانى نزيل الحرم ، ونجم الدين صحب الشيخ أبا العباس المرسى ، صاحب الشيخ أبى الحسن الشاذلى ، فكان من وقف على هذا ، ظن أن الضمير فى قوله : وصحب الشيخ نجم الدين الأصفهانى عائدا على الشاذلى ، وهو عائد على ابن كثير ، وإلا فالشيخ نجم الدين الأصفهانى من تلامذة أبى العباس المرسى ، فكيف يكون شيخا الشاذلى .

فصل

وقد طعن فى الخرقة وسندها جماعة ، وهم قسمان : قسم اعتقدوا صحتها ، ورووها تبركا بها ، وتكلموا فى سندها من جهة الانقطاع ، وعدم الاتصال،لظنهم

---

(١) أى من شيوخ أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه .

عدم سماع الحسن من على تقليداً لمن قال ذلك من الأقدمين ، وقسم طعنوا فى أصلها واعتقدوا بطلانها ، لا لعدم سماع الحسن من على فقط ، بل لكونها مروية من طريق على عليه السلام ، وهم ينفون عنه وعن آل بيته الكرام كل فضيلة ، لاسيما إذا توهموا منها ثبوت مزية لعلى عليه السلام على غيره من الصحابة ، وهم النواصب أعداء آل البيت كابن تيمية وابن خلدون ، فقد قال الأول فى منهاج سنته . رداً لقول ابن المطهر الحلى : وأما علم الطريقة فإليه منسوب ، فإن الصوفية كلهم يسندون الخرقة إليه ما نصه : والجواب أن يقال : أولا أما أهل المعرفة وحقائق الإيمان المشهورون فى الأمة بلسان الصدق ، فكلهم متفقون على تقديم أبى بكر ، وأنه أعظم الأمة فى الحقائق الإيمانية والأحوال العرفانية ، وأين من يقدمونه فى الحقائق العرفانية التى هى أفضل الأمور عندهم ، إلى من ينسب إليه لباس الخرقة ؟ وقد ثبت فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » فأين الحقائق القلوبية من لباس الأبدان ؟ ويقال ثانياً : الخرق متعددة ، أشهرها خرقتان خرقة إلى عمر وخرقة إلى على ، فخرقة عمر لها إسنادان : إسناد إلى أويس القرنى ، وإسناد إلى أبى مسلم الخولانى ، وأما الخرقة المنسوبة إلى على فإسنادها إلى الحسن البصرى والمتأخرون يصلونها بمعروف الكرخى ، فإن الجنيد صحب السرى ، والسرى صحب معروفا الكرخى بلا ريب ، وأما الإسناد من جهة معروف . فمنقطع ، فتارة يقولون أن معروفا صحب على بن موسى الرضى ، وهذا باطل قطعاً . لم يذكره المصنفون لأخبار معروف بالإسناد الثابت المتصل كأبى نعيم وأبى الفرج بن الجوزى فى كتابه الذى صنفه ، فى فضائل معروف ، ومعروف كان منقطعاً فى الكرخ ، وعلى بن موسى كان المأمون قد جعله ولياً للعهد بعده ، وجعل شعاره لباس الخضرة ، ثم رجع عن ذلك ، وأعاد شعار السواد ، ومعروف لم يكن ممن يجتمع بعلى بن موسى ، ولا نقل عنه ثقة أنه اجتمع به ، أو أخذ عنه شيئاً ، بل

ولا يعرف أنه رآه ، ولا كان معروف بوابه ولا أسلم على يديه ، وهذا كله كذب وأما الإسناد الآخر فيقولون أن معروفا صحب داود الطائى ، وهذا أيضاً باطل لا أصل له ، وليس فى أخباره المعروفة ما يذكر فيه أنه أخذ عن داود الطائى شيئاً ، وإنما نقل عنه الأخذ عن بكر بن خنيس العابد الكوفى ، وفى إسناد الخرقة أيضاً أن داود الطائى صحب حبيبا العجمى ، وهذا أيضاً لم يعرف له حقيقة ، وفيها أن حبيبا العجمى صحب الحسن البصرى ، وهذا صحيح ، وفيها أن الحسن صحب عليا وهذا باطل باتفاق أهل المعرفة ، فإنهم متفقون على أن الحسن لم يجتمع بعلى ، وإنما أخذ عن أصحاب على ، أخذ عن الأحنف بن قيس ، وقيس بن عباد وغيرهما ، عن على ، وهكذا رواه أهل الصحيح ، والحسن البصرى ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر ، وقتل عثمان وهو بالمدينة ، وكانت أمه أمة لأم سلمة . فلما قتل عثمان حمل إلى البصرة ، وكان على بالكوفة ، والحسن فى زمنه صبى من الصبيان لا يعرف ولا له ذكر اهـ .

وقال : ابن خلدون فى مقدمة تاريخه : ثم أن هؤلاء المتأخرين من المتصوفة المتكلمين فى الكشف وفيما وراء الحس ، توغلوا فى ذلك فذهب الكثير منهم إلى الحلول والوحدة ، وملأوا الصحف منه مثل الهروى فى كتاب (المقامات) له ، وغيره ، وتبعه ابن العربى وابن سبعين وتلميذهما ابن العفيف وابن الفارض ، والنجم الإسرائيلى فى قصائدهم ، وكان سلفهم مخالطين للأسماعيلية المتأخرين من الرافضة الدائنين أيضاً بالحلول والهية الأئمة مذهبا لم يعرف لأولهم فأشرب كل من الفريقين مذهب الآخر ، واختلط كلامهم وتشابهت عقائدهم ، وظهر فى كلام المتصوفة القول بالقطب ، ومعناه رأس العارفين ، يزعمون أنه لا يمكن أن يساويه أحد فى مقامه فى المعرفة ، حتى يقبضه الله ، ثم يورث مقامه الآخر من أهل العرفان ، وقد أشار إلى ذلك ابن سينا فى كتاب (الإشارات) فى فصول التصوف منها ، فقال : جل جناب الحق أن يكون شرعة لكل وارد ، أو يطلع

عليه إلا الواحد بعد الواحد ، وهذا كلام لا تقوم عليه حجة عقلية ، ولا دليل شرعى ، وإنما هو من أنواع الخطابة ، وهو بعينه ما تقوله الرافضة ، ودانوا به ، ثم قالوا بترتيب وجود الأبدال بعد هذا القطب ، كما قاله الشيعة فى النقباء ، حتى أنهم لما أسندوا خرقة التصوف ليجعلوها أصلا لطريقتهم وتخليهم ، رفعوه إلى على رضى الله عنه ، وهو من هذا المعنى أيضاً ، وإلا فعلى رضى الله عنه لم يختص من بين الصحابة بتخلية ولا طريقة فى لباس ولا حال ، بل كان أبو بكر وعمر رضى الله عنهما أزهد الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكثرهم عبادة ولم يختص أحد منهم فى الدين بشىء يؤثر عنه فى الخصوص ، بل كان الصحابة كلهم أسوة فى الدين والزهد والمجاهدة ، يشهد لذلك كلام هؤلاء المتصوفة فى أمر الفاطمى وما شحنوا كتبهم فى ذلك مما ليس لسلف المتصوفة كلام فيه بنفى أو إثبات ، وإنما هو مأخوذ من كلام الشيعة والرافضة ، ومذاهبهم فى كتبهم اهـ فالحامل لهذين المنافقين بشهادة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، عليهما بالنفاق على إنكار هذه المزية لعلى عليه السلام فى اختصاصه بعلوم الحقائق وكونه أمام الصوفية ، ومرجع أهل الطرائق ، هو بغضهما لجنابه العلى ، فانهما لم يتركا ناحية من نواحى فضائله ولا مزية من مزاياه التى خصه الله بها إلا وأنكراها وطعنا فى أسانيدها وشككا فى ثبوتها بالدعاوى الباطلة ، والافتراءات الزائفة ، بل بلغت العداوة من ابن تيمية[1] إلى درجه المكابرة وإنكار المحسوس ،

(١) نص على هذا وغيره فى كتابه منهاج السنة . (وله رسالة أخرى مخطوطة) ، زعم فيها أن الأحاديث الواردة فى فضل على عليه السلام لاتثبت له مزية على مطلق المؤمنين فضلا عن الصحابة ، وبين ذلك فقال : فى قوله عليه الصلاة والسلام لعلى عليه السلام « أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى » خرجه الشيخان — : لافضيلة فيه لعلى ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال مثله فى الأنصار ، حيث ثبت فى الحديث :

. . . .

« أنا من الأنصار والأنصار منى » ، وقال فى حديث الصحيحين « من كنت مولاه فعلى مولاه » ليس فيه فضيلة لعلى ، لأن هذا ثابت لكل المؤمنين بنص القرآن ، قال تعالى : (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) ، وفى غزوة خيبر . قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم « لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ». ثم دعا عليا عليه السلام ، فقيل أنه يشتكى عينيه من رمد أصابه ، فأتى به فتفل فى عينيه ، وسلمه الراية . قال ابن تيمية : ليس فيه فضيلة لعلى ، لأن الله وصف المؤمنين بذلك أيضاً ، فى قوله تعالى : (فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه) وقال : (والذين آمنوا أشد حباً لله) ، وفى الحديث الصحيح فى علامات المؤمن : « أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما » إلى غير ذلك مما يطول ذكره فى تلك الرساله الخاطئة وغيرها . ولا يخفى ما تنطوى عليه التأويلات الباطلة المذكورة ، فى تمحل بارد ، وانحراف متعمد عن الجادة . . فابن تيمية نفسه يعلم أن حديث « أنت منى بمنزلة هرون من موسى» يقتضى أن عليا من النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، بمنزلة هرون من موسى فى الأخوة ، والخلافة عنه ، قال تعالى : (وقال موسى لأخيه هرون اخلفنى فى قومى ، واصلح ، ولا تتبع سبيل المفسدين) ، وفى الأخـــلاق ، والعلوم ، وفى كل ما اشترك فيه موسى وهرون فى خصال إلا النبوة ، ولهذا استثناها بقوله : « إلا أنه لا نبى بعدى » والاستثناء معيار العموم ، كما تقرر فى علم الأصول ، ومن هنا كان على أعلم الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وآله وسلم ، كما كان هرون اعلم بنى اسرائيل بعد موسى عليهما السلام ، وأين من هذا قوله عليه الصلاة والسلام « أنا من الأنصار والأنصار منى » ؟ إذ الحكم هنا متعلق بالأنصار ، وهو لفظ عام ، والعام لا إشعار له بالخص معين ، فلا يستطيع أنصارى أن يجزم بأن هذا الحديث يخصه ، ولكن يرجو أن يكون من مشمولاته . وكذلك حديث : « من كنت مولاه فعلى مولاه » ، يفيد أن ولاية على مترتبة على ولاية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ترتب الجزاء على الشرط . وحيث كانت ولايته صلى الله عليه وسلم واجبة على كل مؤمن ومؤمنة ، فولاية على كذلك . وإلى هذا أشار عمر رضى الله عنه ، حيث قال لعلى عليه السلام ــ بعد سماعه الحديث . هنيئا لك أبا الحسن اصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة . أما ولاية المؤمنين

فصرح بكل جرأة ووقاحة ، ولؤم ونذالة ، ونفاق وجهالة ، إنه لم يصح في فضل علي عليه السلام حديث أصلا ، وأن ما ورد منها في الصحيحين لا يثبت له فضلا ولا مزية على غيره ، مع أن إمامه وإمام أهل السنة والحديث أحمد بن حنبل رحمه الله يقول : لم يرد من الأحاديث بالأسانيد الصحاح في فضل أحد من الصحابة مثل ما ورد في علي ، وهكذا قال غيره من الحفاظ ، بل أضاف ابن تيمية إلى ذلك من قبيح القول في علي وآل بيته الأطهار ، وما دل على أنه رأس المنافقين في عصره ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح المخرج في صحيح مسلم مخاطبا لعلي عليه السلام (لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق) كما ألزم ابن تيمية بذلك أهل عصره ، وحكموا بنفاقه ، فيما حكاه الحافظ في ترجمته في (الدرر الكامنة) وكيف لا يلزم بالنفاق مع نطقه قبحه الله بما لا ينطق به مؤمن في حق فاطمة سيدة نساء العالمين صلى الله عليها وسلم ، وحق زوجها أخي رسول الله صلى الله

بعضهم لبعض فهي ولاية عامة ، منوطة بوصف الإيمان ، لا تخص شخصا بعينه ، ومن ثم كان حب علي إيمانا ، وبغضه نفاقا ، لأنه خص بوجوب ولايته على كل مؤمن ومؤمنة ، أما حديث غزوة خيبر ، فهو أظهر في الدلالة على فضل علي ، ومزيد خصوصيته ، ولهذا استشرف كبار الصحابة في هذه الغزوة — حين سمعوا الحديث — إلى أن يكون كل منهم ذلك الرجل الذي شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، حتى قال عمر رضي الله عنه : ما تطاولت للامارة إلا في هذا اليوم . أترى عمر وكبار الصحابة كانوا لا يحبون الله ورسوله ؟ أم كانوا يجهلون أن الله ورسوله يحبان المؤمنين ؟ لا هذا ، ولا ذاك ، ولكن سر المسألة شهادة الرسول لشخص بخصوصه ، فشهادة النبي صلى الله عليه وسلم التي سجلها في خيبر ، على ملأ من الصحابة ، وصمت المناوئين لعلي — فيما بعد — بوصمة النفاق ، لأنهم ناوأوا شخصا يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله . وابن تيمية يعلم هذا ، أو هو لا يجهله لكنه لشدة انحرافه ، يتعامى عنه ، أو يتحاماه : فيلتجيء إلى تلك التأويلات التي تزري بمقامه ، وتومىء إلى اتهامه .

عليه وسلم وسيد المؤمنين فقد قال فى السيدة فاطمة البتول : أن فيها شبها من المنافقين الذين وصفهم الله تعالى بقوله : (فإن أعطوا منها رضوا وأن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون) قال لعنة الله عليه : فكذلك فعلت هى إذ لم يعطها أبو بكر رضى الله عنه من ميراث والدها صلى الله عليه وسلم . أما على عليه السلام ، فقال فيه أنه أسلم صبيا وإسلام الصبى غير مقبول على قول ، فرارا من إثبات أسبقيته للاسلام ، وجحودا لهذه المزية وأنه خالف كتاب الله تعالى فى سبع عشرة مسألة ؛ وأنه كان مخذولا حيثما توجه ، وأنه يحب الرياسة ويقاتل من أجلها ، لا من أجل الدين وأن كونه رابع الخلفاء الراشدين غير متفق عليه بين أهل السنة ، بل منهم من كان يربع بمعاوية وهم بنو أمية بالأندلس ، فسماهم أهل السنة ، وكذب عليهم، عليه لعائن الله . فإن هذا لم يحصل من أهل الأندلس أصلا ، وإنما حكى هذا عن ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد فى قصة تزلف فيها لبنى أمية فذكر معاوية رابع الخلفاء ، فاتفق أهل الأندلس على ذمه وتقبيحه فيما فعل ، فأتى هذا الكذاب ونسب ذلك لأهل السنة ، من أهل الأندلس كلهم ، وزعم قبحه الله أن عليا عليه السلام مات ولم ينس بنت أبى جهل التى منعه النبى صلى الله عليه وسلم الزواج بها ، بل فاه فى حقه عليه السلام بما هو أعظم من هذا فحكى عن بعض[1] أخوانه المنافقين أن عليا عليه السلام حفيت أظافره من التسلق على أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل ، فى أمثال هذا من المثالب التى لا يجوز أن يتهم بها مطلق المؤمنين فضلا عن سادات الصحابة رضى الله عنهم فضلا عن أفضل الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقبح الله ابن تيمية وأخزاه وجزاه بما يستحق ،

(١) هو أبو بكر ابن أبى داود صاحب السنن ، فقد حكى عنه هذا القول الخبيث فى ترجمته وإن كان هو قد تبرأ منه . وقال لا أجعل فى حل من نسبه إلى وترديد ابن تيمية لهذه الحكاية الباطلة يدل على أنه يبطن بغض على عليه السلام ، وإلا لما استجاز ذكرها فى هذا الموضع مهما كانت البواعث .

وقد فعل والحمد لله ، إذ جعله إمام كل ضال مضل بعده ، وجعل كتبه هادية إلى الضلال ، فما أقبل عليها أحد واعتنى بشأنها إلا وصار إمام ضلالة فى عصره ، ويكفى أن أخرج الله تعالى من صلب أفكاره الخبيثة قرن الشيطان وأتباعه كلاب النار ، وشر من تحت أديم السماء الذين ملأوا الكون ظلمة وسودوا وجهه بالجرائم والعظائم فى كل مكان ، والكل فى صحيفة ابن تيمية إمام الضالين ، وشيخ المجرمين ، وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم (من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة) وقال صلى الله عليه وسلم : (من دعا إلى ضلالة كان عليه إثم من تبعه إلى يوم القيامة) .

فصل

ومثله فى الخبث والنفاق ابن خلدون وإن لم يكن عنده من الجرأة ما يساعده على نفث ما فى صدره ، والتصريح بكل ما يحمله بين طيات جنبه ، بل غالب صنيعه الدس والتلويح وربما صرح بالتخطئة من جهة السياسة ، واستدرك بالتصويب من جهة الدين وجل قصده التصريح بنسبة الخطأ إلى على وآل بيته الكرام ، واستدراك التصويب إنما هو تغطية لنفاقه ، ثم هو مع ذلك لا يجد سبيلا إلى نفى فضيلة عن على وآل بيته الأطهار ، أو الصاق عيب وخطأ بهم الا بادر إلى ذلك ، كما صنع هنا وكما صنع فى أحاديث المهدى المنتظر فرارا من إثبات كون المجدد الذى يحيي الله به الدين آخر الزمان من آل على عليه السلام ، وعلل ذلك بأن آل البيت لم تبق لهم عصبية ، والملك لا يقوم إلا بالعصبية[1] ، وماغرضه إلا احتقار أهل البيت ، كما كان يخالف جمهور النسابين والمؤرخين فى نفى النسب عن

---

(١) والتبس عليه أن الإمام المهدى لا يكون ملكا فيحتاج إلى عصبية . ولكنه خليفة يجمع أهل الحل والعقد على بيعته ، إذ يرونه جامعا للشروط المطلوبة فى خليفة المسلمين (اقرأ إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون . للأمام المؤلف) .

العبيديين الرافضة ويثبت هو نسبهم ليتوصل بذلك إلى شين آل البيت ، ولذلك كان الحافظ الزاهد الورع نور الدين أبو الحسن الهيثمى أحد شيوخ الحافظ يصرح بلعنه كما حكاه عنه الحافظ السخاوى فى (الإعلان بالتوبيخ) . وقال الحافظ فى (رفع الإصر عن قضاة مصر) كان ابن خلدون يجزم بصحة نسب بنى عبيد الله الذين كانوا خلفاء مصر وشهروا بالفاطميين إلى على رضى الله عنه ، ويخالف غيره فى ذلك ، ويدفع ما نقل عن الأئمة من الطعن فى نسبهم ويقول : إنما كتبوا ذلك المحضر مراعاة للخليفة العباسى ، وكان صاحبنا المقريزى يفرط فى تعظيمه من أجل ذلك ، لأنه ينتمى إلى الفاطميين ، فاحبه لكونه أثبت نسبهم وغفل عن مراد ابن خلدون فإنه كان لانحرافه عن آل على ، يثبت نسب الفاطميين إليهم لما اشتهر من سوء معتقد الفاطميين ، وكون بعضهم نسب إلى الزندقة ، وادعى الالهية كالحاكم ، وبعضهم فى غاية التعصب لمذهب الرفض ، حتى قتل فى زمانهم جماعة من أهل السنة ، وكان يصرح بسب الصحابة فى جوامعهم ومجامعهم ، فإذا كانوا بهذه المثابة ، وصح أنهم من آل على حقيقة ، ألتصق بال على العيب ، وكان ذلك من أسباب النفرة عنهم ، نسأل الله السلامة انتهى كلام الحافظ ، وهو قد صحبه وخبر أحواله وسمع منه بعض مصنفاته ، كالتاريخ وغيره ، واستجازه فأجاز له وذكره فى القسم الثانى من معجم شيوخه ، ومن هذا القبيل ذبه عن خلفاء بنى العباس وتبرئته ساحتهم فى كل ما يشين العرض ، والدين وإنكار أمور اتفق أهل التاريخ على نسبتهم إلى فعلها إثباتا لفضلهم وعدالتهم ، ونكاية لآل على ، إذ بالغ بنو العباس فى إذايتهم وإهانتهم وقتلهم وطردهم وتشريدهم ، والمقصود إثبات عداوة ابن تيمية وابن خلدون لعلى عليه السلام وكونهما لم ينفيا ذلك عنه بعلم وتحقيق ، بل بحقد وعداوة وغمط وعناد ، وتجاهل ومكابرة فهما :

كناطح صخرة يوما ليوهنها فلم يضرها ، وأوهى قرنه الوعل

فعلى عليه السلام بالمنزلة التى أكرمه الله بها ، والمكانة التى وضعها الله له فى قلوب المؤمنين ، رغما عن عداوة العداة المجرمين والحسدة المنافقين .

فصل

واعلم أن حكاية ابن تيمية اتفاق أهل المعرفة وحقائق الإيمان على تقديم أبى بكر رضى الله عنه ، على على فى الأحوال العرفانية مردودة من وجوه :

(الوجه الأول) أن أهل المعرفة وحقائق الإيمان هم الصوفية رضى الله عنهم باتفاق المسلمين وابن تيمية ليس منهم حتى يعرف اتفاقهم بل هو من أعدائهم أهل الشقاشق اللسانية والترهات الكلامية والتمويهات الظلمانية ، فأنى له معرفة اتفاق العارفين أهل الحقائق الإيمانية والأحوال العرفانية ؛ بل نسبة ذلك إليهم مجرد كذب عليهم ، وتهجم فى نسبة ما لم يصدر منهم إليهم ، فأنهم متفقون على خلاف ما نسبه إليهم ومصرحون بأن عليا عليه السلام هو أمامهم ومرجعهم ، كما قال العارف الأكبر مجدد الطريق فى الألف الثانى مولانا العربى الدرقاوى رضى الله عنه فى رسائله ونصه: مولانا على بن أبى طالب كرم الله وجهه هو أمام الصوفية رضى الله عنه وعنهم وهو أكبرهم وهو قطبهم ، وقد نص على هذا من لا يحصى من أئمة الصوفية المتقدمين والمتأخرين ، وقال سيد الطائفة الجنيد رضى الله عنه : صاحبنا فى هذا الأمر بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم على بن أبى طالب رضى الله عنه ، ذلك امرؤ أعطى علما لدنيا رواه أبو عبد الرحمن السلمى ، ورواه أبو نصر السراج الطوسى فى كتاب (اللمع) فقال : سمعت أحمد بن على الوجيهى يقول سمعت أبا على الروزبارى يقول : سمعت الجنيد رحمه الله يقول : رضوان الله على أمير المؤمنين على ، لولا أنه اشتغل بالحروب لأفادنا من علمنا هذا معانى كثيرة ، ذلك امرؤ أعطى العلم اللدنى ، والعلم اللدنى هو العلم الذى خص به الخضر عليه السلام قال

الله تعالى : (وعلمناه من لدنا علما)[1] قال : ولأمير المؤمنين على رضى الله عنه خصوصية من بين جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بمعانى جايلة ، وأشارات لطيفة وألفاظ مفردة ، وعبارة وبيان للتوحيد والمعرفة والإيمان والعلم وغير ذلك ، وخصال شريفة تعلق وتخلق بها أهل الحقائق من الصوفية ، وإن ذكرنا ذلك كله طال به الكتاب ، ولكن نذكر من ذلك طرفا نكتفى به عن التطويل فذكر عنه أشياء ، منها : وقام رجل إلى على رضى الله عنه فسأله عن الايمان فقال : الايمان على أربع دعائم على الصبر واليقين والعدل والجهاد ، ثم وصف الصبر على عشر مقامات ، وكذلك اليقين والعدل ، والجهاد ، فوصف كل واحد منها على عشر مقامات ، فإن صح ذلك عنه ، فهو أول من تكلم فى الأحوال والمقامات ، وقال على رضى الله عنه فى حديث كميل بن زياد : « ها إن ها هنا علماً لو وجدت له حملة » . وأشار إلى قلبه ، فكان تخصيصه من بين الصحابة ، بالبيان والعبارة عن التوحيد والمعرفة ، من أتم المعانى وأعلا الأحوال . قال الله تعالى : (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب لتبيننه للناس) ، وقال تعالى : (هذا بيان للناس) ، ولا يبلغ العبد كمال الشرف إلا بالبيان ، لأنه ليس كل من عقل يعلم ، ولا كل من علم يحسن أن يبين . فإذا أعطى العبد العقل والعلم والبيان ، فقد بلغ إلى الكمال . قال : والمشهور عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم كانوا إذا أشكل عليهم شىء من أمور الدين سألوا علياً رضى الله عنه ، فكان يبين لهم الذى يشكل عليهم ، وروى عن عمر رضى الله عنه ، أنه قال : لولا على

---

(١) هذه الآية من أدلة نبوة الخضر عليه السلام ، لأن التعليم فيها بوحى ، نظير قوله تعالى (وعلم آدم الأسماء كلها) وقوله (وعلمك مالم تكن تعلم) ولم يرد فى القرآن آية تفيد تعليم الله لشخص غير نبى ، فهو كما قال المحققون نبى خص بعلم حقائق الأمور ، واشتق الصوفية من أسمه مقام الخضرية للولى الذى يكون على قدمه ، ويعطى بعض علومه .

لهلاك عمر ، ثم نقل السراج بعض أقواله ، ثم قال : ولعلى رضى الله عنه أشباه ذلك كثير من الأحوال والأخلاق والأفعال ، التى يتعلق بها أرباب القلوب وأهل الإشارات وأهل المواجيد من الصوفية اه . وقال الشيخ الأكبر رضى الله عنه ، فى الباب السادس من « الفتوحات المكية » فى ذكر تجلى الهباء : فلم يكن أقرب إليه قبولا من ذلك الهباء إلا حقيقة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المسمات بالعقل ، فكان مبتدأ العالم بأسره ، وأول ظهوره فى الوجود . فكان ظهوره من ذلك النور الإلهى ، ومن الهباء ، ومن الحقيقة الكلية ، وفى الهباء وجد عينه وعين العالم من تجليه ، وأقرب الناس إليه على بن أبى طالب إمام العالم بأسره وسر الأنبياء أجمعين اه .

وقال أيضاً فى خطبة الفتوحات : ولما شهدته صلى الله عليه وسلم فى ذلك العالم سيداً معصوم المقاصد ، محفوظ المشاهد ، منصوراً مؤيداً ، وجميع الرسل بين يديه مصطفون ، وأمته التى هى خير أمة أخرجت للناس ، عليه ملتفون ، وملائكة التسخير من حول عرش مقامه حافون ، والملائكة المولدة من الأعمال بين يديه صافون ، والصديق عن يمينه الأنفس ، والفاروق عن يساره الأقدس ، والختم بين يديه قد جثا يخبره بحديث الأنثى ، وعلى عليه السلام يترجم عن الختم بلسانه وذو النورين مشتمل برداء حيائه ، مقبل على شأنه اه . فتخصيص على عليه السلام ، للترجمة عن الختم الذى هو عيسى عليه السلام ، دليل على أنه المخصوص من بين سائر الصحابة بعلوم المعرفة وحقائق الإيمان . وقال أيضاً فى الباب الثلاثين فى ذكر الأفراد ، قال الجنيد : لا يبلغ أحد درجة الحقيقة ، حتى يشهد فيه ألف صديق بأنه زنديق ، وذلك لأنهم يعلمون من الله مالا يعلمه غيرهم ، وهم أصحاب العلم الذى كان يقول فيه على بن أبى طالب رضى الله عنه ، حين يضرب بيده على صدره ويتنهد : « إن ها هنا علوماً جمة لو وجدت لها حملة ؟ » ، فإنه كان من الأفراد ، بل أوحد الأفراد ، باب مدينة العلم ودار الحكمة ، ولم يسمع هذا من

غيره فى زمانه ، إلا أبو هريرة رضى الله عنه ، ذكر مثل هذا البخارى فى صحيحه عنه : أنه قال حملت عن النبى صلى الله عليه وسلم وعاءين ، أما واحد فبثثته فيكم وأما الآخر فلو بثثته قطع منى هذا البلعوم ، فأبو هريرة ذكر أنه حمله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان فيه ناقلا من غير ذوق ، ولكنه علم لكونه سمعه من النبى صلى الله عليه وسلم اه . أى بخلاف على عليه السلام ، فإنه كان حاملا له عن ذوق ، فلذلك كان إمام العارفين ومرجعهم دون غيره .

وقال القونوى « فى شرح التعرف » ، أما على بن أبى طالب رضى الله عنه ، فكان رأس العارفين ، وبجميع الأمة اتفاق على أنه كانت لعلى رضى الله عنه أنفاس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وله أقاويل لم يقلها قبله أحد ، ولا أتى بمثلها بعده أحد ، إلى أن قال يوماً وهو قائم على المنبر : سلونى عما دون العرش ، فإن فيما بين الجوانح علما جما . هذا لعاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى فمى ، هذا مازقنى رسول الله صلى الله عليه وسلم زقا زقا ، فوالذى نفسى بيده لو أذن للتوراة والإنجيل أن يتكلما لو وضعت وسادة فأخبرت بما فيهما فتصدقانى على ذلك .
« نقله صاحب فصل الخطاب وشواهد النبوة »

وقال أبو العباس أحمد بن يوسف الفاسى فى « المنح الصافية » ، قال الشيوخ رضى الله عنهم فى حق على عليه السلام : أنه أعطى العلم اللدنى ، ولا تصح النسبة إلى الولاية التى هى منبع الولاية الحقيقية والمعارف الإلهية إلا من جهته وحقيقته ، فهو إمام الأولياء المحمديين كلهم ، وأصلهم ومنشأ انتسابهم إلى الحضرة المحمدية ، ومظهر نور الولاية الأحمدية ، حين انشق قمر النبوة والولاية المندرج أحدهما فى الآخر ، حيث غلب نور النبوة ، وختم ظهوره به صلى الله عليه وسلم ، الذى كان انشقاق القمر صورة لذلك الانشقاق ، وهو باطنه وسره الظاهر بسبب ظهوره ، فإن كل معنى لابد وأن تظهر له صورة محسوسة ، وهو أيضا يعنى على بن أبى طالب أرفع عارف فى الدنيا ، من حيث ما خصه به رسول الله صلى الله عليه وسلم

بقوله : « أنا مدينة العلم وعلى[1] بابها » ، وهو علم الحقيقة ، فكان كرم الله وجهه ، بمنزلة الباب من المدينة ، لا يخرج من المدينة شيء حتى يمر بالباب ، فلهذا كان رضى الله عنه ، له العلم التام ، والكشف الحقيقى ، وكشف معضلات الكلام العظيم ، والكتاب القديم ، الذى هو من أخص معجزاته صلى الله عليه وسلم ، بأوضح بيان ، مع فضائل أخرى لا تحصى اه .

وقال : الألوسى فى التفسير عند قوله تعالى : (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) ما نصه : والآية عند معظم المحدثين نزلت فى على كرم الله وجهه ، وكثير من الصوفية قدس الله أسرارهم يشير إلى القول بخلافته كرم الله وجهه ، بعد الرسول عليه الصلاة والسلام بلا فصل ، إلا أن تلك الخلافة عندهم هى الخلافة الباطنية التى هى خلافة الإرشاد والتربية والإمداد الروحانى ، لا الخلافة الصورية التى هى عبارة عن إقامة الحدود الظاهرة ، وتجهيز الجيوش والذب عن بيضة الإسلام ومحاربة أعدائه بالسيف والسنان ، فإن تلك عندهم على الترتيب الذى وقع ، كما هو مذهب أهل السنة ، والفرق عندهم بين الخلافتين ، كالفرق بين القشر واللب ، فالخلافة الباطنة لب الخلافة الظاهرة ، وبها يذب عن حقيقة الإسلام ، وبالظاهرة يذب عن صورته (وهى مرتبة القطب ، فى كل عصر ، وقد تجتمع مع الخلافة الظاهرة كما اجتمعت فى على عليه السلام أيام إمارته ، وكما تجتمع فى المهدى أيام ظهوره ، وهى والنبوة رضيعا ثدى ، وإلى ذلك الإشارة بما يروونه عنه عليه الصلاة والسلام ، من قوله عليه الصلاة والسلام : « خلقت أنا وعلى من نور واحد » ، وكانت هذه الخلافة فيه كرم الله وجهه على الوجه الأتم ، ومن هنا كانت سلاسل

---

(١) اقرأ كتاب فتح الملك العلى بصحة حديث باب مدينة العلم على للامام الحافظ المرحوم مؤلف هذا الكتاب قدس الله سره ونور ضريحه .

أهل الله عز وجل منتهية إليه ، إلا ما هو أعز من بيض الأنوق ، فإنه ينتهى إلى الصديق رضى الله عنه كسلسلة ساداتنا النقشبندية نفعنا الله تعالى بعلومهم وأسرارهم ، ومع هذا ترد عليه كرم الله وجهه أيضاً ، وبتقسيم الخلافة إلى هذين القسمين ، جمع بعض العارفين بين الأحاديث المشعرة أو المصرحة بخلافة الأئمة الثلاثة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الترتيب المعلوم ، وبين الأحاديث المشعرة أو المصرحة ، بخلافة الإمام كرم الله وجهه بعده عليه الصلاة والسلام ، بلا فصل ، فحمل الأحاديث الواردة فى خلافة الخلفاء الثلاثة على الخلافة الظاهرة ، والأحاديث الواردة فى خلافة الإمام كرم الله تعالى وجهه على الخلافة الباطنة ، ولم يعطل شيئاً من الأخبار ، وقال بحقيقة الخلافة الأربعة رضى الله عنهم أجمعين اهـ .

قلت : والحديث المتقدم فى كلامه أخرجه الخطيب من حديث موسى بن جعفر ابن محمد عن أبيه عن جده بلفظ « من طينة واحدة » ، وقال جدنا من قبل الأم العارف أبو العباس أحمد بن عجيبة فى « إيقاظ الهمم بشرح الحكم » لما تكلم على مبادىء علم التصوف : وأما واضع هذا العلم فهو النبى صلى الله عليه وسلم علمه الله إياه بالوحى والإلهام ، فنزل جبريل عليه السلام أولا بالشريعة ، فلما تقررت نزل ثانيا بالحقيقة ، فخص بها بعضا دون بعض ، وأول من تكلم فيه وأظهره سيدنا على كرم الله وجهه ، وأخذه عنه الحسن البصرى إلخ ، وسبقه إلى نحو هذا الحافظ السيوطى فى كتابه « تأييد الحقيقة العلية » حاكيا له عن غيره ، أعنى كون على عليه السلام ، هو أول من تكلم فى علم التصوف ، وكذا قال العارف الحراق فى شرح الحكم : أول من تكلم فى هذا العلم وأظهره سيدنا على رضى الله عنه ، ثم أخذه عنه أول الأقطاب سيدنا الحسن ولده اهـ .

قال : الإمام ابن الفارض فى تائيته مشيراً إلى النبى صلى الله عليه وسلم :

بعترته استغنت عن الرسل الورى وأصحابه والتابعين الأئمة

قال شارحها الفرغنى بعد كلام : وإنما قدم ذكر العترة على ذكر الصحابة لأن علوم الحقيقة والطريقة ، ما ظهرت أولا ، إلا بوساطتهم ونسبة الولاية والخرقة لا تتصل إلا بهم رضوان الله عليهم أجمعين اهـ .

وقال : الشاه أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى فى كتابه : «الدر الثمين فى مبشرات النبى الأمين » سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم سؤالا روحانيا ، عن سر تفضيل الشيخين على علىّ رضى الله عنهم مع أنه أشرفهم نسبا ، وأقضاهم حكما ، وأشجعهم جنانا ، والصوفية جميعا ينتسبون إليه ، ففاض على قلبى منه صلى الله عليه وسلم وجهان ظاهر وباطن : فالوجه الظاهر إلى إقامة العدل فى الناس وتأليفهم وإرشادهم إلى ظاهر الشريعة ، وهما أى الشيخان بمنزلة الجوارح له فى ذلك . والوجه الباطن إلى مرتبة الفناء والبقاء وإرشاده إلى باطن الشريعة ، وعلىّ بمرتبة الجوانح له هنالك اهـ .

وقال المناوى فى « فيض القدير » فى الكلام على حديث : (خمس من أوتيهن لم يعذر على ترك عمل الآخرة : زوجة صالحة ، وبنون أبرار ، وحسن مخالطة الناس ، ومعيشة فى بلده ، وحب آل محمد صلى الله عليه وسلم) ما نصه : قال الحرّالى : سلسلة أهل الطريق تنتهى من كل وجه من جهة المشايخ والمريدين إلى أهل البيت ، فجهات طرق المشايخ ترجع عامتها إلى تاج العارفين أبى القاسم الجنيد ، وبداية أبى القاسم أخذها من خاله السرى ، والسرى ائتم بمعروف ، ومعروف مولى على بن موسى الرضا وهو عن آبائه رضى الله تعالى عنهم فرجع الكل إلى على (أولئك حزب الله) اهـ .

وقد حمل كثير من الأئمة والعارفين الأحاديث الواردة فى فضل على عليه السلام بما يشير أو يصرح بتقديمه على الشيخين رضى الله عنهما أو اختصاصه بالأمر دونهما كحديث المؤاخاة وحديث الموالاة وأحاديث الوصية وأحاديث

الأعلمية وحديث التبليغ وحديث السفينة[1] ونحوها على هذا الأمر وهو اختصاص على عليه السلام بالحقائق العرفانية ، والخلافة الباطنية ، و كونه بابا موصلا للعارفين إلى الحضرة الأحمدية ، دون غيره من الصحابة ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم إنما أشار بتلك الأحاديث إلى هذا المعنى الذى هو أجل وأعلى ، وأكمل وأفضل ، من غيره ، مع مشاركة على عليه السلام لهم فى غيره ، ولما لم يفهم أهل الظاهر مراده صلى الله عليه وآله وسلم من تلك الأحاديث ظنوا أنها متعارضة ، فانقسموا لذلك قسمين

---

(١) حديث المؤاخاة ـ وإن كان ضعيف السند يصححه ويقويه حديث « أنت منى بمنزلة هرون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى . . وهو مخرج فى الصحيحين وغيرها وحديث الموالاة . افرده الحافظ ابن عقدة بكتاب ضخم جمع فيه طرقه الكثيرة ، وسماه كتاب الموالاة ، ومعظم أسانيده جيدة كما قال الحافظ ابن حجر ، وأن بعض نواصب العصر أضله الله على علم فادعى وضعه ، مع أنه فى الصحيحين ، بل ذكره الحافظ السيوطى رضى الله عنه فى المتواتر ، لكثرة طرقه التى زادت على عشرين وحديث الوصية أفرده الشوكانى برسالة مطبوعة بين فيها طرقه ، وشرح معناه ، وحديث الاعلمية صحيح ثابت ولقد بلغ فى اشتهاره بين أهل الحديث أن الحافظ تقى الدين عليا بن عبد الكافى السبكى ، حين ولى خطابة الجامع الأموى بدمشق ، هنأه الحافظ الذهبى ببيتين من الشعر ، ورى فيهما بهذا الحديث ، فقال :

ليهن المنبر الأموى لما ... علاه الحافظ الحبر التقى
قضاة العصر أخطبهم جميعا ... وأعلمهم واقضاهم على

وحديث التبليغ ، فى صحيح البخارى فى قصة نزول براءة فى حجة الوداع ، وفيه أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر رضى الله عنه يقرأ على الناس سورة براءة وما فيها من العهود ، ثم بعث فى إثره من رده ، وبعث بدله عليا عليه السلام ، فجزع أبو بكر ، وقال : هل حدث شىء يا رسول الله ؟ قال : « لا » ، ولكن لا يبلغ عنى إلا أنا أو رجل منى » وحديث السفينة ، صحيح بطرقه الكثيرة ، لكن لفظ روايته المشهورة « مثل أهل بيتى مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك » وعلى رئيس أهل البيت عليهم السلام .

وافترقوا فرقتين ، فرقة تمسكت بأحاديث على عليه السلام إذ رأتها مصرحة بخلافته ووصايته وأعلميته ووجوب موالاته ، ورأت أن الحق معها ففسقت مقابلتها وضللتها لمخالفتها ظاهر النصوص فى نظرها وهم الشيعة ، وفرقة تمسكت بأحاديث الخلفاء الثلاثة إذ رأتها مؤيدة بإشارات وقرائن ، ومطابقة لما جرى به القلم ، وبرز للعيان ففسقت مقابلتها وضللتها إذ رأتها خارجة عن الحق ، ناكبة عن الطريق ، وهم الجمهور ثم سلك كل فريق فى الأحاديث المخالفة لرأيه مسلك الإعراض بالطعن والتضعيف ، والرد والتزييف ، مع غلو وإفراط ، وتجاوز للحد وإسراف لعجزهم عن الجمع بين الدليلين ، والتوفيق بين الطرفين ، والحق خلاف المسلكين ، وبعيد عن الفريقين ، ولو فهموا من تلك النصوص ما فهمه الصوفية رضى الله عنهم ، لرأوها متفقة غير مختلفة ، إذ ما كان من عند الله لا يختلف (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً) .

وقال الإمام الحافظ الصوفى أبو عبد الله محمد بن قاسم التركمانى (فى القول المستحسن) بعد إيراده طرق حديث (من كنت مولاه فعلى مولاه) وتبيين معنى الولاية والرد على الرافضة فى حملهم الولاية فى الحديث على الولاية الظاهرة بما فيه طول مانصه : ولما امتنع حمل الولاية فى الحديث على الولاية الظاهرة تعين حملها على الولاية الباطنة ، إذ لا ثالث البتة ، وهو المعنى بماروواه أحمد فى مسنده والنسائى فى خصائص على والطحاوى فى مشكل الآثار وابن عساكر فى الموافقات والأربعين الطوال بسند صحيح عن ابن عباس : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعلى (لا ينبغى أن أذهب إلا وأنت خليفتى) زاد النسائى (وأنت ولى كل مؤمن بعدى) فهذه الولاية الباطنة ولاية نعمة العلم والحكمة وهى مرتبة الختمية الخاصة كما يكون فى مرتبة القطبية الغوثية والفردية والوتدية والبدلية وغيرها وقد قال على رضى الله عنه فى وصيته لكميل : الناس ثلاثة : فعالم ربانى ، ومتعلم على سبيل نجاة ، وهمج رعاع إلى قوله: ها ها ، إن ها هنا ـ وأشار إلى صدره ـ علما لو أصبت له حملة إلى قوله اللهم

بلى لن تخلو الأرض من قائم لله بحجة إما ظاهر مشهور ، وإما مستور مغمور لـكيلا لا تبطل حجج الله وبيناته أولئك الأقلون عددا ، الأعظمون عند الله قدرا بهم يدفع الله عن حججه حتى يؤدوها إلى نظرائهم ، فيزرعوها فى قلوب أشباههم ، هجم بهم العلم على حقيقة الأمر ، تلك أبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى ، أولئك خلفاء الله فى بلاده ، والدعاة إلى دينه إلخ ففيه رد على من ينـكر من أهل السنة والشيعة حمل خبر المولى على ولاية العلم ، دون خلافة الحـكم ، ويؤيد ذلك حديث (اللهم ارحم خلفائى) ثلاث مرات ، قيل يارسول الله : ومن خلفاؤك ؟ قال (الذين يأتون من بعدى يروون أحاديثى ويعلمونها الناس)(١) ، رواه الطبرانى والخطيب فى شرف أصحاب الحديث من حديث على عليه السلام قال : ويدل على إمامته لفقراء الظاهر أمراء الباطن ، حديث ياعلى أن الله قدزينك بزينة لم يزين العباد بزينة أحب إلى الله تعالى منها هى زينة الأبرار عند الله الزهد فى الدنيا فجعلك لاترزأ من الدنيا شيئاً ولا ترزأ منك الدنيا شيئاً ووصب لك رحب المساكين فجعلك ترضى بهم اتباعا ويرضون بك إماما) رواه الطبرانى فى الـكبير وأبو نعيم فى الحلية من حديث عمار بن ياسر ، وعزاه المحب الطبرى لأبى الخير الحاكى ، وصاحب الاكتفاء لعبيد الله بن سبع الأندلسى فى الشفا ، وذكره الحافظ السيوطى فى جمع الجوامع ، وسكت عليه مع التزامه ألا يذكر فيه حديثاً موضوعا .

وروى الإمام أحمد فى كتاب الزهد عن وهب بن منبه ، قال : أوحى الله إلى عيسى إنى وصيت لك حب المساكين ورحمتهم ، تحبهم ويحبونك ، ويرضون بك إماما وقائدا ، وترضى بهم صحابة وتبعاً ، فهذا فى خاتم الولاية العامة عيسى عليه

---

(١) منه أخذ أهل الحديث ، لقب « أمير المؤمنين فى الحديث » وهو أعلى رتبة فى الحفظ عندهم ، ناله أفراد قلائل ، منهم : شعبة ، محمد بن اسحاق ، مالك ، البخارى وآخرهم ابن حجر العسقلانى . تليها — فى النزول رتبة الحافظ ، ثم المفيد ، ثم المحدث ثم المستند . أما (الحجة فمن مراتب التوثيق ، وليس عندهم رتبة الحاكم) .

السلام شاهد عدل لذلك وختم الولاية الخاصة على عليه السلام وإلى هذا ونحوه الإشارة فى تكنية النبي صلى الله عليه وسلم إياه بأبى تراب ، قال العارف بالله المعروف بالباقى بالله ، شيخ السادة النقشبندية فى كتابه (المثوى) ما معناه : أن التراب إشارة إلى وجود أهل التوحيد والفناء ، فيكون حاصل معنى أبى تراب : أنه رضى الله عنه هو الأصل المقتدى به فى هذا المعنى والمرجع لطائفة الفقراء أرباب الفناء الكمل ، فلا جرم كانت سلاسل مشايخ الطريق تنتهى إليه اه . وقد تبعه على هذا الفاضل الصالح الجليل عبد الحق الدهلوى فى شرح (سفر السعادة) وسبقهما إلى نحوه من الإشارة الصوفية العلامة عصام الدين إبراهيم بن عربشاه الإسفرايينى فى شرح شمائل النبى صلى الله عليه وسلم للترمذى ، وقد أشعر بهذا الأمر علامة النقشبندية المولى عبد الرحمن الجامى فى (ديوانه) وفى (شواهد النبوة) ، ونقل مثل ذلك عن شرح التعرف ، ونقل المناوى عن الحرانى أن سلسلة أهل الطريق تنتهى من كل وجه إلى أهل البيت ، والكل يرجع إلى على عليه السلام ، وإلى ذلك الإشارة بحديث (ألا أن أهل بيتى فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك) وفى لفظ (غرق) رواه أحمد وابن جرير والحاكم من حديث أبى ذر والبزار من حديث ابن عباس ، وابن الزبير ، والدولابى (فى الكنى) من حديث أبى الطفيل ، ولابن أبى شيبة ، بسند صحيح عن على رضى الله عنه (إنما مثلنا فى هذه الأمة كسفينة نوح وكباب حطة فى بنى إسرائيل) وحديث «سألت الله أن يجعلها أذنك يا على) لما نزل قول الله تعالى (وتعيها أذن واعية) فقال على : ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً فنسيته ، وحديث (يا على إن الله أمرنى أن أدنيك وأعلمك لتعى ، أنزلت هذه الآية (وتعيها أذن واعية) فأنت أذن واعية لعلمى » رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه والواحدى وابن النجار عن بريدة ومن الأدلة الأجلة لذلك حديث (إن تؤمروا أبا بكر تجدوه أمينا زاهدا فى الدنيا راغباً فى الآخرة وإن تؤمروا عمر تجدوه قويا أميناً لا يخاف فى الله لومة

لأئم ، وإن تؤمروا عليا ولا أراكم فاعلين تجدوه هاديا مهديا يأخذ بكم الطريق المستقيم) وفى لفظ حذيفة (يقيمكم على صراط مستقيم) فهذا الحديث الصحيح ، كالنص الصريح فى تقديم علىّ على الشيخين رضى الله عنهم ، فى هداية الخليفة للطريقة الحقة ومعرفة الحقيقة المعبر عنها بالصراط المستقيم ، وما وصفا به هو كما ترى فى ضمنها ولا يخفى أنه إنما اهتدى بعلىّ ، على نحو الخصوصية العرفاء الصوفية ، وأما سلاسل الفقهاء فكلهم مشترك فيها مع كونه أفقههم وأقضاهم كما ورد مرفوعا وموقوفا. وفى الصحيحين قوله صلى الله عليه وسلم فى قصة خيبر (فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم) هذا فى الظاهر فما ظنك بالباطن الباهر ، وللبغوى فى معجمه عن بريدة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (لكل نبى وصى ووارث وأن علياً وصى ووارثى .

وقال ابن أبى شيبة فى كتاب الأوائل من (المصنف) : حدثنا أحمد بن عبد الملك بن واقد حدثنا زهير حدثنا أبو إسحاق قال : قيل لقثم كيف ورث على النبى صلى الله عليه وسلم دونكم ؟ قال : أنه والله كان أولنا به لحوقا وأشدنا به لزوقا ، وفى حديث المؤاخاة عن زيد بن أبى أوفى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعلى (أنت أخى ووارثى) ، قال : وما أرث منك يا رسول الله ؟ قال : (ماورث الأنبياء من قبلى كتاب ربهم وسنة نبيهم ، رواه ابن عساكر فى الأربعين الطوال ، وعزى لأحمد فى المناقب ، وفى حديث معاذ : قال على يا رسول الله : ما أرث منك قال : (ما يرث النبيون بعضهم من بعض كتاب الله وسنة نبيه) رواه الملا فى سيرته ، ولا وجه للتخصيص إلا بأن يراد القسط الأوفى من فهم لطائفهما ومعارفهما وحقائقهما ودقائقهما .

وقال الشاه الدهلوى فى التفهيمات : وعلى رضى الله عنه ورث من النبى صلى الله عليه وسلم الحكمة كاملة ، ثم ذهب إلى القرب الملكوتى ، ثم نزل فى شرح رسول الله صلى الله عليه وسلم للشرع واستوطنها ، ولذا سمى نفسه بالوصى ، وهذه

هى الوصاية ، وقال : لابد لكل نبى من الوصى ، وكذا الوصاية عندنا حكمة ، ثم تحمل شرع النبى صلى الله عليه وسلم ، وعلومه ، وتكفل لأمته بالدعاء ، ومنصبه أن يكون خازن علم النبى صلى الله عليه وسلم ، وحامل وحيه اهـ .

قلت: وأثر قثم الذى عزاه لابن أبى شيبة أخرجه ابن عساكر بسند صحيح ، وزاد : فلما بلغ هذا الخبر إسماعيل القاضى إمام المالكية فى عصره ، قال : إنما يرث الوارث بالنسب والولاء ، ولا خلاف أن العم مقدم على ابن العم ، فصح أن عليا ورث العلم من النبى صلى الله عليه وسلم دونهم .

قلت : وهذا معلوم بالضرورة لأهل العلم بالحديث والسير ، فإن عليا عليه السلام لم يرث من النبى صلى الله عليه وسلم شيئا من متاع الدنيا ، وذلك كان معلوما بالضروة أيضا لأهل ذلك العصر : أن النبى صلى الله عليه وسلم لا يورث ، فأبو إسحاق لم يسأل عن وراثة المال ، وإنما سأل عن وراثة العلم ، لما رأى عليا مختصا به دونهم ، كما كان ذلك مشهورا بين الصحابة والتابعين .

قال سعيد بن المسيب كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يتعوذ بالله من معضلة ليس لهـا أبو حسن ، وكان يقول لولا علىّ لهلك عمر ، رواه ابن أبى خيثمة ، وكذلك كان رضى الله عنه يقول عند مسألة على لا أبقانى الله بعدك يا أبا الحسن .

قال ابن الأثير فى (أسد الغابة) بعد إيراده أثارا فى علم على عليه السلام : ولو ذكرنا ما سأله الصحابة مثل عمر وغيره رضى الله عنهم لأطلنا ا هـ . بل نص المناوى فى الشرح الكبير : على أن عمر رضى الله عنه لم يول عليا عليه السلام شيئا من البعوث أيام خلافته احتياجا إلى علمه ، وتوقفا عليه فى حل المشكلات وفك المعضلات ، وقد ورد عنه من طرق متعددة ، فى الصحيح وغيره أنه كان يقول : علىّ أقضانا ، قال بعض العارفين : وإنما يكون أقضى من كان أعلم .

وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن القرآن أنزل على سبعة أحرف

ما منها حرف إلا له ظهر وبطن وإن عليا بن أبى طالب عنده علم الظاهر والباطن ، رواه أبو نعيم فى الحلية .

وقال ابن عباس رضى الله عنهما كنا نتحدث أن النبى صلى الله عليه وسلم عهد إلى علىّ سبعين عهدا لم يعهدها إلى غيره رواه الطبرانى فى الصغير وأبو نعيم فى الحلية.

وقال أيضا : والله لقد أعطى على بن أبى طالب تسعة أعشار العلم . وأيم الله لقد شاركـكم فى العشر العاشر رواه ابن عبد البر وروى طاووس عنه أيضا ؟قال : كان على والله قد ملىء علما وحلما .

وقال عمرو بن العاص : قلت لعبد الله بن عيـــاش بن أبى ربيعة : يا عم لم كان صغو[1] الناس إلى علىّ ؟ قال : يا ابن أخى أن عليا كان له ماشئت من ضرس قاطع فى العلم ، وكان له البسطة فى العشيرة والقدم فى الإسلام ، والصهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والفقه فى السنة ، والنجدة فى الحرب ، والجود فى المـاعون ، ذكره ابن عبد البر .

وروى الحاكم فى المستدرك عن الأسود بن يزيد النخعى ، قال : لمـا بويع على بن أبى طالب على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : خزيمة[2] بن ثابت وهو واقف بين يدى المنبر :

إذا نحن بايعنا عليا فحسبنـــا ... أبو حسن ممـا نخاف من الفتن

وجدناه أولى الناس بالناس أنه ... أطب قريش بالـكتاب وبالسنن

وهكذا شهدت له عائشة رضى الله عنها بأنه كان أعلم الناس بالسنن ، فروى ابن أبى خيثمة عن جابر قال : قالت عائشة من أفتاكم بصوم عاشوراء ؟ قالوا : علىّ ، قالت : أما أنه اعلم الناس بالسنة . وكانت كثيرا ما ترجع إليه فى المسائل .

---

(١) ميلهم واستماعهم .

(٢) صحابى جليل جعل النبى صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين .

وذكر ابن عبد البر أن معاوية لما بلغه قتل على رضى الله عنه ، قال : ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبى طالب :

وروى أبو نعيم عن هبيرة بن يريم : أن الحسن بن علىّ عليهما السلام قام وخطب الناس ، وقال فى أبيه : لقد فارقكم رجل بالأمس لم يسبقه الأولون ، ولم يدركه الآخرون بعلم .

وقال سعيد بن المسيب : ما كان أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم من على بن أبى طالب . رواه الدولابى (فى الكنى والاسماء) .

وروى ابن أبى خيثمة عنه أيضا أنه قال : ما كان أحد من الناس يقول : سلونى غير على بن أبى طالب ، وقال عبد الملك بن أبى سليمان قلت لعطاء كان فى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد أعلم من علىّ بن أبى طالب ؟ قال : لا والله ما أعلمه ، وقال الحسن البصرى وقد سئل عن على عليه السلام : كان على والله سهما صائبا من مرامى الله على عدوه ، وربانى هذه الأمة ، وذا فضلها وذا سابقتها وذا قرابتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يكن بالنؤومة عن أمر الله . ولا بالملومة فى دين الله ، ولا بالسروقة لمال الله ، أعطى القرآن عزائمه ، ففاز منه برياض مونقة ، ونصوص الصحابة والتابعين بهذا لا تكاد تنحصر ، بل أعلمية على عليه السلام معلومة بالتواتر المفيد للعلم الضرورى اليقينى ؛ لكل من خالط كتب السنة والسير والتاريخ ، وعصمه الله من بدعة النصب والانحراف عن على وآله الكرام ، وكذلك نصوص الصوفية رضى الله عنهم ، على تقديم على رضى الله عنه على غيره فى الحقائق الإيمانية ، والأحوال العرفانية ، بل هو اتفاق منهم كما سبق ، لا كما يفتريه ابن تيمية ، ويشهد لهذا أخبار النبى صلى الله عليه وسلم الذى لا ينطق عن الهوى بأن عليا عليه السلام أعلم أصحابه . فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم من طرق متعددة أنه قال لفاطمة صلى الله عليها وسلم ، (أما ترضين إنى زوجتك أقدم أمتى سلما وأكثرهم علما وأعظمهم حلما) وفى

رواية زوجتك (أعلم المؤمنين وأقدمهم سلما وأفضلهم حلما) رواه أحمد فى مسنده من حديث معقل بن يسار بسند صحيح ، ورواه الطبرانى من وجه آخر بسند صحيح أيضاً ، من مرسل أبى إسحاق وابن عساكر موصولا من رواية أبى إسحاق عن أنس وابن عساكر أيضا من حديث عائشة عن فاطمة عليها السلام ومن حديث أسماء بنت عميس ، ورواه الخطيب (فى المتفق والمفترق) وابن عساكر من حديث بريدة ، وورد أيضا من حديث ابن عباس وأبى هريرة وعلى بن أبى طالب بسند صححه ابن جرير .

وقال ابن مسعود كنت عند النبى صلى الله عليه وسلم فسئل عن على فقال : (قسمت الحكمة عشرة أجزاء فأعطى علىّ تسعة أجزاء والناس جزءا واحدا) رواه أبو نعيم فى الحلية .

وروى الديلمى فى مسند الفردوس من حديث سلمان رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أعلم أمتى من بعدى على بن أبى طالب) .

وورد نحوه من حديث معاذ بن جبل وعمر وابن عباس ، وفى معناه الحديث الوارد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال (أقضى أمتى على بن أبى طالب) ، رواه الطبرانى فى الصغير من حديث جابر بن عبد الله ، ورواه البغوى فى شرح السنة من حديث أنس بن مالك ، وعبد الرزاق فى (المصنف) من مرسل قتادة قال الحافظ فى الفتح ، ورويناه موصولا فى فوائد أبى بكر محمد بن العباس بن نجيح من حديث أبى سعيد الخدرى ، ورواه أبو يعلى مطولا من حديث عبد الله ابن عمر بن الخطاب . وكذلك هو عند الترمذى والطحاوى فى (مشكل الآثار) من حديث أنس .

قال : السجزى فى (فوائد الفؤاد) ذكر سلطان المشايخ محمد نظام الدين مهابة عمر رضى الله عنه ، وقوله : لولا على لهلك عمر فى قصتين وقعتا له ، فقال : ومع تلك الدرجة العظيمة كان بالنسبة إلى على كرم الله وجهه كما ترى . وقد قال

صلى الله عليه وسلم للصحابة (أقضاكم علىّ) وإنما يكون اقضى من كان أعلم ا هـ .

وورد عنه صلى الله عليه وسلم من طرق متعددة : أنه قال (أنا مدينة العلم وعلى بابها فمن أراد العلم فليأته من بابه) وهو حديث صحيح ، رواه ابن جرير فى تهذيب الآثار والحاكم فى المستدرك . وقال صحيح الإسناد ، والطبرانى فى الكبير وأبو محمد السمرقندى فى (بحر الأسانيد فى صحاح المسانيد) وخيثمة بن سليمان فى (الفضائل) والخطيب (فى التاريخ) من طرق متعددة من حديث ابن عباس ، وصححه إمام أهل الجرح والتعديل يحيى بن معين ، وغيره من الحفاظ ورواه الترمذى فى سننه ، وابن جرير فى (تهذيب الأثار) وأبو الحسن على بن عمر الحربى فى أماليه والخطيب فى (تلخيص المتشابه) وابن النجار (فى التاريخ) من طرق عن علىّ عليه السلام ، ولفظ الترمذى وابن جرير (أنا دار الحكمة وعلى بابها) وقال ابن جرير هذا خبر عندنا صحيح سنده ورواه الحاكم فى المستدرك ، والخطيب فى التاريخ ، وابن عدى فى الكامل ، من حديث جابر بن عبد الله ، وقال الحاكم : إسناده صحيح ، وهو أعظم دليل ، وأوضح برهان على تخصيص على عليه السلام بعلوم الحقائق والعرفان ، وأنه لا يصل واصل إليها إلا من بابه ، وإلا كان مدلول الحديث غير مطابق للواقع ، إذا حمل على مطلق العلم ، لأن علياً عليه السلام لم ينفرد به وحده ، حتى يكون هو بابه ، بل شاركه جماعة من الصحابة فى رواية العلم علم الظاهر ، ونقله عن النبى صلى الله عليه وسلم فهم فى ذلك كلهم أبواب للوصول إليه ، والنبى صلى الله عليه وسلم خص عليا وحده بكونه الباب الموصل إلى مدينة العلم ، فكان صريحا فى تخصيصه ، رضى الله عنه بعلم الباطن ، الذى هو نتيجة العمل بالعلم الظاهر ، وهو العلم الحقيقى المقصود بالذات ، ولذا عبر عنه فى الرواية الأخرى بالحكمة ، ولما لم يفهم الناس هذا المعنى من الحديث ، وحملوه على مطلق العلم وجدوه معارضا للواقع مخالفا للمشاهد فلجأوا إلى رده والطعن

فى أسانيده وتجريح رواته بما لا يقبله عقل ، ولا يوافقه نقل ، مخالفين بذلك كل ما أصّلوه من أصول وقعّدوه من قواعد . وقد أبطلنا شبههم فى ذلك بما لامزيد عليه فى كتابنا (فتح الملك العلى بصحة حديث باب مدينة العلم على) وهو مطبوع فارجع إليه ؛ فإنه يفيدك العلم القطعى بصحة هذا الحديث ؛ وبالطريق التى سلكها الصوفية رضى الله عنهم فى فهم هذه الأحاديث ينحل كل أشكال فى الباب كما سبق و لله أعلم .

فصل

الوجه الثانى : أنه إذا قصد بأهل الحقائق الإيمانية ، علماء الظاهر فحكاية الاتفاق عنهم كذب أيضاً ، فإن كثيراً منهم ، مع تفضيلهم الشيخين رضى الله عنهما مصرحون بأعلمية علىّ عليه السلام ، من عصر الصحابة والتابعين ، إلى عصر ابن تيمية وابن خلدون ، وابن تيمية أعرف الناس بذلك ، ولكنه يفترى الكذب ويتجاهل لنصرة رأيه ، وغمط حق المولى على عليه السلام ، بل كل من يصرح بأعلمية أبى بكر على علىّ رضى الله عنهما ، فإنما يباهت ، وينكر ما يكاد يعلمه من نفسه بالضرورة ، بل هو معلوم له بالضرورة جزماً ، وإنما يحمله على هذا البهت ، ظنه أن الأعلمية تنافى الأفضلية المقررة عند الأشاعرة والماتريدية ، والمفضلون لعلىّ على الشيخين رضى الله عنهم ، متفقون أيضاً على أعلمية على عليه السلام ، كما سيأتى ، فلو قال قائل : إن الاتفاق حاصل على نقيض ما قال ابن تيمية ، لكان هو المصيب الموافق للواقع ، ويكفى أن المثل إنما يضرب بعلم على لا بعلم أبى بكر وعمر رضى الله عنهم أجمعين .

قال الإمام الحافظ موفق الدين بن قدامة فى كتاب « إثبات صفات العلو لله » . واعلم رحمك الله أنه ليس من شرط صحة التواتر الذى يحصل به اليقين ، أن يوجد التواتر فى جزء واحد ، بل متى نقلت أخبار كثيرة فى معنى واحد ، من طرق يصدق بعضها بعضاً ، ولم يأت ما يكذبها ، أو يقدح فيها ، حتى استقر ذلك فى

القلوب ، واستيقنته ، فقد حصل التواتر ، وثبت القطع واليقين ، فإنا نتيقن جود حاتم ، وإن كان لم يرديه خبر واحد مرضى الإسناد ، لوجود ما ذكرنا وكذلك عدل عمر ، وشجاعة على وعلمه عليه السلام ، اهـ .

فصل

فهذا أحد أئمة مذهبه الحنبلى يضرب المثل للتواتر المعنوى بتواتر علم على ، لا بتواتر علم أبى بكر رضى الله عنهما ، وذلك مما يكذب ابن تيمية فى حكايته الاتفاق عن أهل الحقائق الإيمانية .

الوجه الثالث : إنه إذا كان عمدته فى حكاية الاتفاق هو ما يذهبون إليه من تفضيل الشيخين على علىّ رضى الله عنهم ، فهو أيضاً باطل لعدم اتفاقهم على ذلك ، بل هم مختلفون فى التفضيل بين على والشيخين ، وبين على وعثمان ، رضى عنهم ، وإنما الاتفاق واقع على أن الإمام الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على ، على هذا الترتيب ، وهذا لا يلزم منه الأفضلية . حتى يقع الاتفاق عليها ، بل قد يلى الخلافة المفضول ، مع وجود الفاضل ، إذ لم يرد نص من الشارع باشتراط الأفضلية للخلافة ، حتى يكون السابق لها هو الأفضل . بل الأسبقية وقعت على وفق ما جرى به القلم فى علم الله تعالى ، أن يكون هو السابق لها بحسب تقدمه فى الزمان ، كما يقوله الشيخ الأكبر رضى الله عنه أو بحسب ما كان أصلح لها فى عصره ، كما يقوله بعض كبار الأئمة من الصوفية المحدثين ، لا من كان أفضل وأعلم كما يظنه من لا تحقيق معه ممن راجت عليه دسائس الدساسين وقد ذهب إلى تفضيل علىّ عليه السلام على سائر الصحابة جماعة من الصحابة والتابعين والسلف الصالح ، وذهب آخرون إلى الوقف وعدم التفضيل والخوض فيه ، لعدم ثبوت الدليل على ذلك ، وذهب آخرون إلى القول بالتفضيل على حسب ترتيب الخلافة ، ثم اختلفوا ، فذهب جماعة إلى أنه فى الظاهر دون الباطن

وأن الأمر قد يكون فى الواقع ونفس الأمر خلاف الظاهر ، وذهب المحققون من الأشاعرة إلى أن التفضيل ظنى ، وأن الأمر قد يكون على خلاف المظنون ، ومن ذهب منهم إلى أن التفضيل قطعى لم يستند على ما يشبه الدليل ، فضلا عما يفيد القطع ، غاية ما فى الباب أدلة تشير إلى خلافة أبى بكر بعد النبى صلى الله عليه وسلم وتقديمه فى بعض المواقف ، احتراماً لمنصبه الجليل ، ومراعاة لفضله وأياديه البيضاء فى الإسلام ، وإكرامه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بماله به المنة على رقبة كل مؤمن محب لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، وذلك لا يفيد القطع بأفضليته من كل الوجوه ، ولا على تقدمه على غيره من سائر النواحى ، وأما قول عبد الله بن عمر : كنا نخير بين الناس فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنخير أبا بكر ثم عمر ثم عثمان ، ثم نترك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا نفاضل بينهم ، فمتروك الظاهر بإجماع أهل السنة على تفضيل على بعد عثمان ، بل قد رده كثير من السلف وأئمة السنة على ابن عمر رضى الله عنهما ، حتى قال بعض الحفاظ إن ابن عمر كان صغير السن ، لم يعرف كيف يطلق امرأته، فكيف يعرف الأفضل من الصحابة ، ورده ابن معين أيضا بكلام غليظ فيما حكاه ابن عبد البر ولم يصرح بهذا الكلام الغليظ ، فقال : من قال بحديث ابن عمر : كنا نقول على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ، ثم نسكت . يعنى فلا نفاضل ، فهذا الذى أنكره ابن معين وتكلم فيه بكلام غليظ ، لأن القائل بذلك قد قال بخلاف ما اجتمع عليه أهل السنة من السلف والخلف من أهل الفقه والأثر ، أن علياً أفضل الناس بعد عثمان رضى الله عنه ، وهذا مما لم يختلف فيه ، وإنما اختلفوا فى تفضيل على وعثمان ، واختلف السلف أيضاً فى تفضيل على على أبى بكر ، وفى إجماع الجميع الذى وصفنا دليل على أن حديث ابن عمر وهم وغلط وأنه لا يصح معناه ، وإن كان سنده صحيحاً ، ويلزم من قال به أن يقول

بحديث جابر وأبى سعيد كنا نبيع أمهات الأولاد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم لا يقولون بذلك ، فقد ناقضوا اه .

قلت : وقد ورد عن ابن عمر ما يبين مراده من قوله السابق بما يوافق ما ذهب إليه أهل التحقيق ، من أن ذلك فيما يتعلق بالخلافة ، لا بالأفضلية ، فروى ابن عساكر من طريق عبد الله بن يسار عن سالم عن ابن عمر ، قال : إنكم لتعلمون أنا كنا نقول على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان . نعنى فى الخلافة ، وروى أيضاً من طريق عبيد الله بن عمر ، عن نافع عن ابن عمر ، قال : كنا نقول فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من يكون أولى الناس بهذا الأمر ، فنقول : أبو بكر ، ثم عمر ، وأسانيد هذا الخبر صحيحة ، وهو رافع لكل إشكال ، دافع لكل إبهام ، واللفظ الأول المختصر المبهم هو أصرح نص تمسك به المفضلون ، للخلفاء الثلاثة على علىّ رضى الله عنهم ، وبهذه الرواية الصحيحة المفسرة يسقط تمسكهم به ، وينهار ما بنوه عليه ، وقد ذهب بعض الأئمة إلى تأويل آخر لهذا الخبر ، ومسلك ثان فى حل هذا الإشكال ، فحكى الإمام أبو سليمان الخطابى فى شرح السنن عن بعض شيوخه أنه كان يقول : أبو بكر خير ، وعلى أفضل ، قال : وباب الخيرية غير باب الفضيلة ، قال : وهذا كما تقول أن الحر الهاشمى أفضل من العبد الرومى والحبشى ، وقد يكون العبد الحبشى خيراً من الهاشمى فى معنى الطاعة لله والمنفعة للناس ، فباب الخيرية متعد وباب الفضيلة لازم . اه . وهو حل لفظى راجع إلى معنى الخلاف ، والحق ما صرحت به الرواية الأخيرة ، عن ابن عمر من انحصار تقديم الخلفاء الثلاثة فى الخلافة ، لا فى العلم والفضل ، والخلافة الباطنة ، فإن هذا هو الذى يقتضيه الدليل ، ويؤيده الكشف الصريح .

قال : الشيخ الأكبر فى الفتوحات المكية فى الباب الثانى والخمسين والخمسماية

ما نصه : والذى أطلعنى الله تعالى عليه من طريق كشفنا أن تقديم شخص بالإمامة على آخر ، إنما هو تقدم بالزمان ، ولا يلزم منه تقدم بالفضل ، فإن الله تعالى قد أمرنا باتباع ملة أبينا إبراهيم ، وليس ذلك لكونه أحق بها من سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنما هى لتقدمه بالزمان ، فإن للزمان حكماً فى التقدم ، من حيث هو زمان ، لا من حيث المرتبة ، وذلك كالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن من حكمة الله تعالى ترتيبها بحسب الأجال والأعمار التى قدرها الله عز وجل ، أيام ولاية كل واحد على التعين ، مع أن كل واحد أهل لها حال ولاية الآخر ، وقد سبق فى علم الله أنه لابد من ولاية كل واحد من الخلفاء الأربعة على الترتيب الذى وقع ، حتى لو قدر أن المتأخر تقدم فلابد من خلعه حتى يلى أحدهم من لابد له من الولاية بعده عند الله تعالى ، فكان فى ترتيب ولايتهم بحكم أعمارهم عدم وقوع خلع أحدهم مع الاستحقاق ، إذ الصحابة كلهم عدول ، اهـ .

وقال فى الباب المذكور بعد إعادة معنى هذا الكلام ما نصه : وبالجملة فلا ينبغى الخوض فى مثل ذلك إلا مع وجود نص صريح ، مع أننا قائلون بترتيب هؤلاء الخلفاء الأربعة كما عليه الجمهور ، وإنما خالفناهم فى علة التقديم ، فهم يقولون : هى الفضل ، ونحن نقول : هى تقدم الزمان ، ولو كان كل من تأخر كان مفضولا ، لكان من تقدم النبى صلى الله عليه وسلم أفضل منه ، ولا قائل بذلك من المحققين ، اهـ .

قلت : وقد ادعى كثير منهم وجود النص القاطع على أفضلية أبى بكر[1] رضى الله عنه ، ثم عمر : ثم عثمان ، وذلك إما عن تقليد وهو الأكثر ، أو عن

---

(١) ادعى ابن حزم القطع بأفضلية أبى بكر ثم عمر رضى الله تعالى عنهما . وتوقف فى التفضيل بين على وعثمان رضى الله عنهما .

غلط فى فهم ما ليس بدليل دليلا ، كأثر ابن عمر السابق ، وإلاّ فالواقع عدم وجود دليل ظنى ، فضلا عن دليل قاطع ، كما هو المشاهد لمن خبر كتب السنة والـكلام ، وقد صرح بذلك جمع من المحققين من الأئمة والحفاظ .

قال ابن عبد البر : فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من أصحابه بفضائل خص كل واحد منهم بفضيلة وسمة منها ، وذكره فيها ولم يأت عنه عليه الصلاة والسلام أنه فضل منهم أحدا على صاحبه بعينه على وجه يصح ، ولـكن ذكر من فضائلهم ما يستدل به على مواضعهم ومنازلهم من الفضل والدين والعلم ، وكان صلى الله عليه وسلم أحلم وأكرم معاشرة وأعلم بمحاسن الأخلاق من أن يواجه فاضلا منهم بأن غيره أفضل منه ، فيجد من ذلك فى نفسه ، بل فضل السابقين منهم ، وأهل الاختصاص به ، على من لم ينل منازلهم ، فقال : (لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه) وهذا من معنى قول الله تعالى (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى) ومحال أن يستوى من قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع من قاتل عنه . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لبعض من لم يشهد بدرا وقد رآه يمشى بين يدى أبى بكر (تمشى بين يدى من هو خير منك) وهذا لأنه قد كان أعلمنا ذلك فى الجملة لمن شهد بدرا والحديبية ولـكل طبقة منهم منزلة معروفة وحال موصوفة اهـ فصرح ابن عبد البر الذى تجرد عن العصبية والهوى والتقليد المذموم ، بأنه لا يوجد نص عن النبى صلى الله عليه وسلم بسند صحيح يفضل فيه أحدا بعينه على أحد بعينه[1] من أفاضل

---

(١) وحديث الترمذى « أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين ما عدا النبيين والمرسلين » لم يصح ، ولعله قصد به معارضة حديث « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » .

الصحابة وأكابرهم ، فكيف يدعى أهل الهوى ومقلدتهم وجود الدليل القاطع على ذلك ، ولو وجد لما خالفه أحد من الصحابة والتابعين وسلف الأمة وأكابر الأئمة ، وهم أولى الناس بالطاعة ، وأشد الناس تمسكا بالدليل ، فقد حكى ابن عبد البر عن سلمان الفارسى وأبى ذر الغفارى والمقداد بن الأسود وخباب بن الأرت وجابر بن عبد الله وأبى سعيد الخدرى وزيد بن أرقم رضى الله عنهم أنهم كانوا يفضلون عليا على سائر الصحابة .

وقال ابن أبى خيثمة : حدثنا أحمد بن منصور ثنا سيار ثنا عبد الرزاق ، قال : قال معمر مرة وأنا مستقبله وتبسم وليس معنا أحد ، فقلت : ما شأنك؟ فقال : عجبت من أهل الكوفة ، كأن الكوفة إنما بنيت على حب على ، ما كلمت أحدا منهم إلا وجدت المقتصد منهم الذى يفضل عليا على أبى بكر وعمر ، منهم سفيان الثورى قال : فقلت لمعمر ورآنى كأنى أعظمت ذلك ، فقال معمر : وما ذاك ؟ لو أن رجلا قال على أفضل عندى منهما ما عنفته ، إذا ذكر فضلهما عندى ، ولو أن رجلا قال : عمر أفضل عندى من على وأبى بكر ما عنفته ، قال عبد الرزاق : فذكرت ذلك لوكيع ونحن خاليان ، فاشتهى لها وضحك ، وقال : لم يكن سفيان يبلغ بنا هذا الحد ، ولكنه أفضى إلى معمر ما لم يفض إلينا .

وقال : أبو زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسى فى (مبهج المقاصد بشرح المراصد) لعم أبيه أبى حامد العربى ابن أبى المحاسن الفاسى ، قال القلشانى : اختلف العلماء فى التفضيل بين الصحابة فمنهم من وقف . قال مالك . أدركت جماعة من اهل بلدنا لا يفضلون بين الصحابة ، الكل فضلاء ، والأكثر على التفضيل ، وعليه فأفضل الصحابة أهل الحديبية لآية : (لقد رضى الله عن المؤمنين) ، قيل : نزلت فى أهل الحديبية ، وقيل : افضلهم اهل بدر ، وافضل اهل بدر العشرة ، وافضل العشرة الخلفاء الأربعة ، وهم فى الفضل على ترتيبهم فى الخلافة ، وقيل بالوقف فيما بين عثمان وعلى رضى الله عنهم اجمعين ، ومن

العلماء من ذهب إلى ان من مات فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم شهيدا او غير شهيد أفضل ممن بقى بعده ، قال بعض الشيوخ : واعلم أن التفضيل إما باعتبار الباطن وكثرة الثواب ، ورفع الدرجات ، ولا يتوصل إلى ذلك إلا بالخبر . وإما باعتبار الظاهر ، ولا يحصل ذلك إلا بالتفاوت فى خصال الفضائل ، فمن كثرت فيه فهو أفضل ، وما منهم واحد رضى الله عنهم إلا وله فضائل ، ومناقب لاتحصى، اه وقال رأس العارفين : اختلف فى هذا الترتيب هل هو قطعى أو ظنى ، وقال الأشعرى هو على ترتيب خلافتهم ، وقال القاضى أبو بكر الباقلانى: أفضلهم علىّ، وقال الشريف زكريا : الكلام فى التفضيل فيه ضرب من الاجتهاد ، فمن أداه اجتهاده إلى أن أبا بكر أفضل ، أو علياً أفضل ، وأعتقد ذلك من غير طعن على أحدهما ، ولا تنقيص ، فلا عتب عليه ، لأن الخطأ فى مثل ذلك الاجتهاد ليس مما يوجب التبرى والتكفير والتأثيم ، إذا اعتقد الإنسان موالاة الإثنين ، والفضل فيهما ، وأقصى ما فيه أن يكون مقصرا فى أمر لم يلزم العلم به ، لأن هذا ليس من فرائض الدين اه . وفى تفسير ابن عرفة لقوله تعالى (ومن الأرض مثلهن) أن المسائل العلمية على قسمين : ما يرجع لأحكام العقائد ، كرؤيته تعالى وتقديسه ، فلا يثبت إلا بما يفيد القطع اتفاقاً ، وما ليس من العقائد ككون الأرض سبعاً ، وكأفضلية بعض الصحابة على بعض ، ونحو ذلك فهذا يصح إثباته بالدلائل الظنية ، إذ لا يلزم من تحصيله بها إخلال بواجب اه كلام الفاسى

وقال أبو بكر بن شهاب (فى الترياق النافع على جمع الجوامع) ووقف بعضهم عن القول بالتفضيل ، وقال : لكل فضل ، ولا ندرى من فضله الله على غيره ؟ وليس هذا أمرا يؤخذ فيه بالقياس والرأى فوجب الإمساك عن الخوض فيه ، قال بعض الأكابر : وما بهذا القول من بأس لأن تفويض مالا يعلم حقيقته إلا الله إلى علمه تعالى غير مستنكر اه . على أن مسألة التفضيل ليست مما يجب اعتقاده ، ولا نحن مكلفون به ، وقد نبه شراح المتن على سهو المصنف فى جعل هذه المسألة

في هذا الكتاب فيما يجب اعتقاده ، إذ ليست مما يضل فيها المخالف ، قال العلماء : ولا يشكل هذا التفضيل بالذرية الشريفة ، لأنه لا من حيث البضعية المكرمة ، أما باعتبارها فلا يفضل أحـــد على ذريته صلى الله عليه وسلم كائناً من كان[1] اتفاقاً .

وقال أبو الحسن الأشعري في كتاب المقالات : واختلفوا في التفضيل ، فقال قائل : أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ، وقال قائل أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبو بكر ثم عمر ثم علي ثم عثمان . وقال قائل : نقول : أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ، ثم نسكت بعد ذلك وقال قائلون : أفضل الناس بعد رسول صلى الله عليه وسلم علي ، ثم بعده أبو بكر ، وأجمع من أثبت فضل أبي بكر وعمر أن أبا بكر أفضل من عمر ، وأجمع من أثبت فضل عمر وعثمان ، أن عمر أفضل من عثمان . وقال قائلون : لا ندري أبو بكر أفضل ؟ أم علي ؟ فإن كان أبو بكر أفضل ، فيجوز أن يكون عمر أفضل من علي ، ويجوز أن يكون علي أفضل من عمر ، وإن كان علي أفضل من عمر ، فهو أفضل من عثمان ، لأن عمر أفضل من عثمان ، وإن كان عمر أفضل من علي ، فيجوز أن يكون علي أفضل من عثمان ، ويجوز أن يكون عثمان أفضل من علي ، وهـذا قول الجبائي اهـ .

وقال إمام الحرمين في (الإرشاد) فإن قيل : هل تفضلون بعض الصحابة على بعض ؟ أم تضربون عن التفضيل ؟ قلنا الغرض من ذلك ينبني على إمامة المفضول والذي صار عليه معظم أهل السنة أنه يتعين للامامة أفضل أهل العصر ، إلا أن يكون في نصبه هرج وهيجان فتن ، فيجوز نصب المفضول إذ ذاك . إذا كان

---

(١) ولهذا قال الإمام مالك . لما سئل عن سيدتنا فاطمة عليها الصلاة والسلام : لا أفضل على بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحداً .

مستحقاً للامامة ، وهذه المسألة لا أراها قطعية ، ولا معتصم لمن يمنع إمامة المفضول إلا أخبار آحاد فى غير الإمامة التى تكلم فيها كقوله صلى الله عليه وسلم (يؤمكم أقرأ كم) ولا يفضى هذا وأمثاله إلى القطع ، كيف ولو قدم المفضول فى إمامة الصلاة لصحت الإمامة ، وإن ترك الأولى ، فهذا قولنا فى إمامة المفضول . ثم لم يقم عندنا دليل قاطع على تفضيل بعض الأئمة على بعض ، إذ العقد لا يشهد على ذلك ، والأخبار الواردة فى فضائلهم متعارضة ، ولا يمكن تلقى التفضيل من منع إمامة المفضول ، ولكن الغالب على الظن أن أبا بكر أفضل الخلائق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم بعده عمر ، وتتعارض الظنون فى عثمان وعلى ، وقد روى عن على أنه قال : خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ، ثم الله أعلم بخيرهم بعدها فهذا قولنا أبديناه مجانباً للتقليد ، جارياً على الحق الواضح . ا هـ .

وقال ابن حزم فى الملل والنحل : اختلف المسلمون فيمن هو أفضل الناس بعد الأنبياء عليهم السلام ، فذهب بعض أهل السنة وبعض المعتزلة وبعض المرجئة وجميع الشيعة أن أفضل الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب وقد روينا هذا القول نصاً عن بعض الصحابة رضى الله عنهم ، وعن جماعة من التابعين والفقهاء ، وذهبت الخوارج كلها وبعض أهل السنة وبعض المعتزلة وبعض المرجئة إلا أن أفضل الصحابة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر ، وروينا عن أبى هريرة رضى الله عنه أن أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم جعفر بن أبى طالب ، وبهذا قال أبو عاصم النبيل وهو الضحاك بن مخلد ، وعيسى بن حاضر ، قال عيسى : وبعد جعفر حمزة رضى الله عنه ، وروينا عن نحو عشرين من الصحابة أن أكرم الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب ، والزبير بن العوام ، وروينا عن ام المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وثلاثة رجال لا يعد احد عليهم بفضل سعد بن معاذ ، وأسيد بن حضير ، وعباد بن بشر ، وروينا عن ام سلمة أم المؤمنين رضى

الله عنها : انها تذكرت الفضل ، ومن هو خير ؟ فقالت : ومن هو خير من ابى سلمة ؟ اول بيت هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وروينا عن مسروق ابن الأجدع وتميم بن حذلم وإبراهيم النخعى وغيرهم : إن افضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود ، قال تميم وهو من كبار التابعين: رأيت ابا بكر وعمر ، فما رايت مثل عبد الله بن مسعود . وروينا عن بعض من ادرك النبي صلى الله عليه وسلم ان أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب . وأنه افضل من أبى بكر رضى الله عنهما . وبلغنى عن محمد بن عبد الله الحاكم النيسابورى : انه كان يذهب إلى هذا القول . وقال داود بن على الفقيه رضى الله عنه : افضل الناس بعد الأنبياء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وافضل الصحابة الأولون من المهاجرين . ثم الأولون من الأنصار . ثم بعدهم منهم ولا نقطع على إنسان منهم بعينه انه أفضل من آخر من طبقته . ولقد رأينا من متقدمى اهل العلم من يذهب إلى هذا القول . وقال لى يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمرى غير ما مرة : ان هذا هو قوله ومعتقده . ثم صرح ابن حزم بأن مذهبه الذى يقول به هو ان افضل الأمة ابو بكر . ثم ازواج النبي صلى الله عليه وسلم . وخالف ذلك فى (المحلى) فذهب إلى أن افضل الناس بعد الأنبياء عليهم السلام ازواجهم ، وانهن افضل هذه الأمة بعد نبيها . فقال : مسألة والناس فى الجنة على قدر فضلهم عند الله تعالى فأفضل الناس اعلاهم فى الجنة درجة وهم الأنبياء . ثم ازواجهم . ثم سائر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجميعهم فى الجنة ولا منزلة اعلى من درجة الأنبياء عليهم السلام . فمن كان معهم فى درجتهم فهو افضل ممن دونهم . وليس[1] ذلك إلا لنسائهم فقط . اهـ .

---

(١) وقد أخطأ ابن حزم وغالط (رغم ماعرف عنه من إمامة واجتهاد وعلم غزير) فى دليل اخترعه بتفضيل ازواج النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم على سيدة نساء

وقال فى موضع آخر من المحلى : وافضل الإنس والجن الرسل ثم الأنبياء على جميعهم من الله تعالى ثم منا افضل الصلاة والسلام ثم اصحاب رسول الله صلى الله

الجنة فاطمة وعلى سائر الصحابة . حتى أن عائشة أفضل من أبيها ، يقول الفضل إنما هو برفعة المنزلة فى الجنة ، ولا منزلة اعلى من منزلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعلوم أن أزواجه يسكن معه (فانظر رعاك الله وأعانك إلى تلك المغالطة المخزية المكشوفة) فهل منزلة سيدنا ومولانا الرسول الأعظم صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فى الجنة تضيق عن أن تسع بناته وأحبابه . وقد قال تعالى فى مطلق المؤمنين به (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم) الآية وقال سبحانه (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين) الآية « اللهم الحقنا بهم بفضلك ورحمتك يا ربنا يا واسع المغفرة أمين » فهل يلحق الله ذرية المؤمنين بابائهم تكرما ولا يلحق ذرية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم به . خصوصا وقد صح عنه إنه قال عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام : فاطمة سيدة نساء أهل الجنة . . وما السيادة إلا برفع المنزلة .

وأيضا فإن منزلة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام أفضل من نساء النبى صلى الله عليه وسلم بالأجماع . ومنازلهم عليهم السلام دون منزلته صلى الله عليه وآله وسلم . فيلزم من سوق دليل ابن حزم أن يكن أفضل من أنبياء الله ورسله عليهم السلام وكذلك زعم بعض الاشعرية النواصب أن عائشة أفضل من فاطمة مع ما ورد فى النص الصريح الصحيح بغير ذلك كما سبق .

وقد جاء فى كتاب « سراج المريدين » أعجب وأغرب فى تفسير قوله تعالى « خافضة رافعة) معناها خافضة لفاطمة رافعة لعائشة فتأمل حفظك الله ذلك التأويل الباطل باجماع المسلمين إذ لا مسيس للآية الكريمة بذكر فاطمة وعائشة رضى الله عنهما : ولكن هكذا ابن العربى المعافرى وصفاقة وجهه ونصبه وقلة حيائه وفرط بغضه لآل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حمله على ارتكاب هذه المخازى نعوذ بالله من الخذلان « ومن سار كتيه شهد عليه بالنفاق » .

عليه وسلم اهـ . فأطلق ولم يجزم بتفضيل أحد معين [1] ، كما هو مذهب إمامه داود بن على الظاهرى واختاره كثير من الأئمة المحققين ، وما ذلك إلا لعدم وجود الدليل القاطع على التعيين ، ولذلك اختلف القائلون بالتعين فى دليله ، هل هو قطعى أو ظنى ؟ وهل هو فى الظاهر والباطن أو فى الظاهر فقط ؟ كما سبق .

وقال الأبى بعد حكاية الخلاف : واختلف القائلون بالتفضيل فقيل هو قطعى ، وإليه مال الأشعرى ، وإليه يشير قول مالك رحمه الله فى المدونة ، فى تفضيل أبى بكر : أو فى ذلك شك ؟ وقال القاضى هو ظنى ، لأن المسألة اجتهادية لو ترك أحد النظر فيها لم يأثم ، وليست من مسائل الأصول التى ألحق فيها فى جهة ، ويقطع بخطأ مخالفه ، وهذه لا يقطع فيها بخطأ ؛ وكذلك اختلف : هل التفضيل فى الظاهر والباطن ؟ أو فى الظاهر خاصة ؟ وللقاضى نص على كل من القولين . واحتج له . وتعويله على أنه فى الظاهر فقط . قال : لانه قد يكون فى الباطن على خلاف ما عندنا اهـ .

فصل

ونصوص العلماء والأئمة فى هذا كثيرة لمن تتبعها ، فأين الجهلة المجترئون على الكذب بحكاية الإجماع والاتفاق على تفضيل الشيخين على علىّ رضى الله تعالى عنهم أجمعين ، وأما الخلاف فى التفضيل بين على وعثمان فهو أكثر وأقوى ، وإنما لم نتعرض لذكره لأن الغرض لم يدع إليه ، وإنما دعى إلى تكذيب ابن تيمية فى دعواه الاتفاق على تقديم أبى بكر رضى الله عنه على علىّ عليه السلام فى المعرفة وحقائق الإيمان ، ليبنى على ذلك عدم صحة انتساب الصوفية إلى على عليه السلام .

---

(١) لكنه فى رسالة (المفاضلة بين الصحابة) جزم بما نقلناه عنه اهـ .

فصل

الوجه الرابع أنه على فرض صحة الاتفاق على أفضلية أبي بكر رضى الله عنه فذلك لا يلزم منه عدم أكملية على عليه السلام فى الأحوال العرفانية ، والعلوم الظاهرة والباطنة ، وغيرها من المزايا الخَلْقية والخُلُقية ، فإن علياً عليه السلام خصه الله تعالى بأمور لم تكن فى أبي بكر رضى الله عنه ، كما أن أبا بكر رضى الله عنه أكرمه الله تعالى بما لا يتفق مثله لعليّ عليه السلام ، كالسعى فى إشاعة الإسلام ، وقت غربته ، ونصرة النبى صلى الله عليه وسلم فى وحدته ، وكونه جاد فى تحقيق ذلك بماله ونفسه ، ومواقفه العظيمة يوم انتقال النبى صلى الله عليه وسلم ، وفى أيام الردة مع الحلم والزهد والورع والخشية ، وغير ذلك من الفضائل مما هو معلوم من سيرته وأخباره رضى الله عنه ، إلا أنه لم يكن فى الشجاعة والفصاحة وبسط اليد فى العلم الظاهر والباطن وحل المشكلات وفك المعضلات وتفسير القرآن العظيم والتضلع من علومه والاطلاع على أسراره واستخراج درره واستنباط الفوائد منه ، واستحضار الجواب عن الأسئلة فى كل الفنون ، مع السرعة والإصابة والإخبار عن الأحداث الماضية والآتية إلى قيام الساعة ، والتكلم فى الحقائق العرفانية فى أشباه هذا وأمثاله كعلى عليه السلام ، بل هى أمور انفرد بها على من بين سائر الصحابة ، وأن شاركه بعضهم كحذيفة وابن مسعود وابن عباس فى بعضها إلا أنهم لم يبلغوا فى ذلك البعض بمفرده عشر مبلغ عليّ عليه السلام ، بل الحبر عبد الله بن عباس رضى الله عنهما يصرح بأن كل ماعنده من علم التفسير ومتعلقاته مأخوذ من على عليه السلام ، وأنه كقطرة من بحر علمه ، فضلا عن غيره من العلوم والمعارف ، وهذا أمر معلوم بالضرورة ، ومدرك بالمشاهدة ، ومؤيد بخبر من لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم ، وخبر أصحابه الكرام ، كما سبق . وذلك لم يوجد مثله ولا عشره فى أبي بكر رضى الله عنه ، وكذلك المثل يضرب

بعلم عليّ وشجاعته ، لا بعلم أبي بكر وشجاعته ، مع اعتراف الأكثر بتقديم فضيلته ، فلو كان اعتقاد الأعلمية فى نظرهم يناقض الأفضلية لما ذهبوا إلى أفضلية أبى بكر مع اعتقادهم أعلمية عليّ .

قال الشاه الدهلوى وهو من هو فى التعصب لمعتقد الأشاعرة المتأخرين . حتى ألف كتابه (قرة العينين فى تفضيل الشيخين) يعنى على عليّ رضى الله عنهم ، كاد أن يبلغ فيه مبلغ ابن تيمية فى سلب كل فضيلة ومزية عن عليّ عليه السلام ، بل أسرف وأفرط وتجاوز الحد فى مسائل منه حتى سئل عنها شيخ الجماعة بمصر البرهان إبراهيم السقا ، فأجاب عنها بجزء شدد فيه النكير على الدهلوى المذكور ، حتى كاد يخرجه من أهل السنة ، ويلحقه بأهل البدعة ، وما أجدره بذلك ، فإنه نفى فيه الخلافة عن عليّ عليه السلام ، وألف فى الرد عليه فى ذلك أيضاً العلامة عبد الحليم اللكنوى ، والد العلامة الشهير عبدالحى اللكنوى ، وكذلك بعض أئمة الحديث من أهل الهند أيضاً ، ألف فى الرد عليه مجلداً حافلا ، ومع هذا كله فلم يسعه إلا الاعتراف بالحقيقة . فقال كما نقله عنه أبو بكر بن شهاب فى (الترياق النافع) ما نصه : ولا نعنى بالأفضلية الأفضلية من جميع الوجوه ، حتى تعم السيف والشجاعة والعلم وأمثالها من التى كانت فى عليّ مثلا ، بل هى بمعنى عظم النفع فى الإسلام ، فأميرا أمة النبى صلى الله عليه وسلم ووزيراه أبو بكر وعمر ، باعتبار الهمة البالغة فى إشاعة الحق بعده أفضل ، دون اعتبار النسب والعلم والشجاعة وغيرها مما كانت فى على رضى الله عنه أكثر ، وأوفر ، بإقرارهما وبهذا يحصل التوفيق بين الروايات المختلفة والأدلة المتباينة اهـ .

ومليحة شهدت لها ضراتها   والفضل ما شهدت به الأعداء

وقال الإمام العلامة الحافظ الصوفى أبو عبد الله محمد بن قاسم التركمانى فى :

(القول المستحن) لا يلزم من أكملية سيدنا على رضى الله عنه فى أمر خاص ، أفضليته فى كل أمر ، بل محققو الأمة كلهم متفقو الكلمة على تقديم سيدنا أبى بكر رضى الله عنه فى أمور كالسعى فى إشاعة الإسلام حين كان غريباً ، والنصرة له صلى الله عليه وسلم فى وحدته على الكفرة مع كثرتهم وغلبتهم ، وبذل نفسه فى ذلك وماله ، ولم يتفق هذا لعلىّ كرم الله وجهه لصغر سنه ، وإن سبق فى نحو ذلك فى كبره ، كفتح خيبر وغيره ، ولا شك فى أفضليته من جهة كونه قدوة أهل بيت النبوة ومن حرمت عليهم الصدقة ، وبأن أبا بكر كان أهلا للخلافة ، وأى أهل كما ثبت بالكتاب والسنة والإجماع ، وهذا هو الحكم العدل والقول الفصل ، والمخلص فى مبحث التفضيل إنما يكون باعتبار تعدد الجهات والحيثيات بالتفضيل ، ولاشك أن أحداً ليس أفضل من الآخر بكل وجه ، وأما نقل ابن تيمية اتفاق أهل المعرفة على تقديم أبى بكر على علىّ رضى الله عنهما فى الطريق وعلم الحقيقة ، فلا أصل له أصلا ، فهذا سيف السنة وناصر الملة الإمام القاضى أبو بكر محمد بن الطيب الباقلانى ، نقل الاختلاف بين علماء الأسلاف والأخلاف فى ذلك ، وتبعه عامة من تأخر عنه ، وفيهم الحفاظ الأئمة ، والفقهاء الأجلة ، كالإمام النووى مجدد المائة السادسة فى قول طائفة ، فإنه مع تلك الصلابة فى السنة . نقل فى شرح صحيح مسلم اختلاف العلماء فى التفضيل هل هو قطعى أم لا ؟ وهل هو فى الظاهر فقط أم فى الظاهر والباطن جميعاً ؟ وعزا ذلك إلى ابن الباقلانى ، وقال العلامة السنوسى فى شرح الكبرى ، وفى شرح المنظومة الجزائرية له أيضاً مانصه : وكذا اختلف هل التفضيل فى الظاهر والباطن ، أو فى الظاهر خاصة ، والقاضى أى ابن الباقلانى نصر كلا من القولين ، واحتج له ، وتعويله على أنه فى الظاهر فقط ، لأنه قد يكون فى الباطن على خلاف ما عندنا اه . ومن ثم لما سأل الحجاج سعيد بن جبير أعلم الناس بالتفسير بعد ابن عباس وأعظم فقهاء الكوفة عن الخلفاء الراشدين

فأجابه قال : فأيهم أعجب إليك ؟ قال أرضاهم لخالقى ؟ قال : فأيهم أرضى للخالق ؟ قال علم ذلك عند الذى يعلم سرهم ونجواهم ، رواه أبو نعيم ، ثم المزى فى (التهذيب) عن الحسن قاله سعيد بن جبير فى المجلس الذى استشهد فيه . فإن روى عنه خلافه فهو مرجوع عنه ، وفيه اندفاع دعوى الإجماع من الصحابة والتابعين على تفضيل الشيخين رضى الله عنهما ، وفيه تقرير من غير نكير لمذهب التوقف ، وقول القاضى قد يكون فى الباطن على خلاف ما عندنا ، هو مقطوع به هنا عند الأئمة الصوفية ، منهم الإمام الهمام علم الأعلام كميل بن زياد النخعى أخص أصحاب سيدنا علىّ رضى الله عنه ، وهو أيضاً مذهب جماعة من كبار الصحابة رضى الله عنهم وهلم جرا إلى سيد الطائفة مجدد المائة الثالثة فى الصوفية العارفين الإمام أبى القاسم الجنيد رضى الله عنهم فإنه قال : صاحبنا فى هذا الأمر بعد نبينا صلى الله عليه وسلم علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، ذلك امرؤ أعطى علما لدنيا ، وقال أيضاً رضى الله عنه علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه لو تفرغ إلينا من الحروب لنقل إلينا عنه من هذا العلم ما لا تقوم له القلوب ؛ أورده الإمام الحافظ أبو عبد الرحمن السلمى رضى الله عنه .

وقال الإمام على بن عثمان الجلابى الغزنوى فى (كشف المحجوب) قال سيد الطائفة الجنيد رضى الله عنه : شيخنا فى الأصول والبلاء : على المرتضى يعنى أن إمامنا فى علم الطريقة ومعاملاتها هو علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه ؛ فإن أهل الطريقة يسمون علمها الأصول ومعاملاتها كلها بلاء . اهـ مترجما ، هذا مع موافقته للجمهور فى تقديم أبى بكر رضى الله عنه فى أمور ، قال بعض الأكابر وعلى مثل ما ذكر يحملّ ما حكاه إمام الشافعية الحافظ أبو سليمان الخطابى بقوله : كان بعض مشايخنا يقول أبو بكر خير وعلى أفضل .

ولأبى نعيم فى الحلية عن أبى إسحاق ، قال : سمعت علىّ بن أبى طالب وهو

على المنبر بالكوفة يقول خير الناس بعد رسول الله أبو بكر ، وبعد أبي بكر عمر ، وإن شئت أخبرتكم بالثالث ، قالوا : يا أبا إسحاق أخير أو أفضل ؟ قال : خير خير ... ، وفى الاستيعاب فى ترجمة عمر بن الخطاب رضى الله عنه : ذكر عبد الرزاق عن معمر قال : لو أن رجلا قال عمر أفضل من أبي بكر ما عنفته ، وكذلك لو قال علىّ عندى أفضل من أبي بكر وعمر لم أعنفه . إذا ذكر فضل الشيخين وأحبهما ، وأثنى عليهما بما هما أهله ، فذكرت ذلك لوكيع ، فأعجبه واشتهاه ووكيع ومعمر كلاهما من أئمة السنة وجلة مجتهدى الأمة ، وكذلك روى ابن أبي خيثمة نحوه عن معمر والثورى وجل علماء الكوفة من أهل السنة . اه

وقال بعض من ذكر فضائل الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم فى حق علىّ عليه السلام أنه أعلم الصحابة لقوة جنانه ، وذكائه ، وشدة ملازمته للنبي صلى الله عليه وسلم ، واستنارته منه ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم حين نزل قوله تعالى (وتعيها أذن واعية) اللهم اجعلها أذن علىّ ، قال علىّ فما نسيت بعد ذلك شيئاً ، ولهذا رجعت الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين . إليه فى كثير من الوقائع ، واستند العلماء فى كثير من العلوم إليه كالمتكلمين فى علوم الأصول ، والمفسرين فى علم التفسير ، فإن رئيسهم ابن عباس رضى الله عنهما وهو تلميذه ، والمشايخ الصوفية رضى الله عنهم فى علم الأسرار وتصفية الباطن ، فإن المرجع فيه إلى العترة الطاهرة مما تلقته عنه عليه السلام بالرواية والوراثة ، وعلم النحو إنما ظهر منه ، ولهذا قال : لو كسرت الوسادة ، ثم جلست عليها لقضيت بين أهل التوراة بتوراتهم ، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم ، وبين أهل الزبور بزبورهم ، وبين أهل الفرقان بفرقانهم ، والله ما من آية نزلت فى بر أو بحر أو سهل أو جبل أو سماء أو أرض أو ليل أو نهار ، إلا وأنا أعلم فيمن نزلت ، وفى أى شىء نزلت اه .

فصل

فهؤلاء المفضلون لأبى بكر رضى الله عنه يصرحون مع ذلك بأعلمية على عليه السلام لأن الأفضلية كما قلنا لا تستلزم الأعلمية . ومن أعظم الأدلة على ذلك : قصة الخضر مع موسى عليهما السلام فإن القرآن أثبت أعلمية الخضر بالحقائق على موسى مع أن موسى أفضل منه بلا خلاف بين أحد نعرفه ، ويكفى أن الخضر نبى وموسى عليه السلام رسول ، بل من أفضل الرسل ولا يوجد من يقول بأن هناك نبى أفضل من بعض أولى العزم من الرسل عليهم السلام .

فصل

(الوجه الخامس) إن الحقائق لا تثبت بالدعاوى المجردة ، وحكاية الاتفقات الكاذبة ، وإلا لما قامت حجة ، ولا ثبتت حقيقة ، ولا كانت دعوى محق ، أولى من دعوى مبطل ، ولا دعوى أفضلية أبى بكر اولى من دعوى افضلية على ، فلو فرضنا صحة ما يفتريه ابن تيمية من الاتفاق على اعلمية ابى بكر رضى الله عنه لكان اتفاقا مردودا على من اتفقوا عليه لمخالفته للدليل ومعارضته للمحسوس المشاهد بالعيان .

أما الدليل فإن النبى صلى الله عليه وسلم لم يقل فى أبى بكر رضى الله عنه أنه (باب مدينة علمه) ولا أنه (أقضى أمته) ولا (أعلم أمته) ولا (إنه أكثرهم علما) ولا قال عند نزول قوله تعالى (وتعيها أذن واعية) سألت الله أن يجعلها أذنك يا أبا بكر فأنت إذن واعية لعلمى وفى أشباه هذا ونحوه مما تقدم معزو إلى مخرجيه ، وإنما قال ذلك لعلى عليه السلام ، مع أنه صلى الله عليه وسلم ذكر لأبى بكر رضى الله عنه فضائل عظيمة ، وأخبر عنه بمزايا جسيمة ، لا يشاركه فيها أحد من الصحابة رضى الله عنهم ، وكذلك الصحابة لم يكونوا يرجعون فى السؤال

عن النوازل ، وحل المشكلات إلى أبى بكر ، ولا كان عمر يتعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو بكر ، ولا شهد الصحابة لأبى بكر بأن عنده تسعة أعشار العلم ، وإن عنده علم الظاهر والباطن ، وأنه ورث العلم من النبى صلى الله عليه وسلم[(١)] دونهم وأنه أعلم الناس بالسنة وإنما كانوا يرجعون إلى على ويشهدون بكل ما ذكرنا له مع تعظيمهم لأبى بكر ، ومعرفتهم حقه ، وتفضيلهم إياه ، وإنزاله المنزلة السامية ، والمكانة العالية من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتأدبهم معه غاية الأدب وإجلالهم إياه غاية الإجلال ، فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعده ، وكذلك التابعون لم يقولوا : ما كان أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم من أبى بكر ، ولو قالوا : ما كان أحد من الناس يقول : سلونى غير أبى بكر ، وإنما قالوا ذلك فى على ، وأخبروا به عنه ، وهم أيضا أعلم الناس بفضل أبى بكر وعلو مقامه ومنزلته من الصحابة رضى الله عنهم أجمعين ، وأيضا لم يفتتن أحد بأبى بكر رضى الله عنه ، ولا ادعى فيه من رآه دعوى خارجة إلى حد الغلو والإفراط ، كما أدعاه بعض من رأى عليا عليه السلام ، وما ذلك إلا لكونهم رأوا فيه من خوارق العادات ، وبواهر العقول ، وسمعوا من المعارف والأسرار ، مادعاهم إلى ذلك. كما هى عادة الناس فى كل من رأوا منه أمرا خارقا للعادة ، وخارجا عن طوق أكثر البشر ، وتحقق بذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم لعلى كرم الله وجهه . (أن فيك مثلا من عيسى) مما لم يقل مثله لأبى بكر رضى الله عنه :

وأما المشاهدة فإن أثار على عليه السلام فى العلم ظاهرة للعيان ، وبطون الدفاتر عامرة بالنقل عنه فى التفسير والحديث والفقه والقضاء والفرائض وأحكام البغاة والحكم والأمثال والأداب واللغة والخطب والحقائق العرفانية والتوحيد والتاريخ

---

(١) وحديث « ماصب الله فى صدرى شيئا : إلا صب مثله فى صدر أبى بكر » موضوع لا أصل له .

والأخبار بالمغيبات عن العرش فما دونه من السموات والأرضين والملائكة والجن والأمم الماضية وأخبار الفتن والملاحم الآتية وإشراط الساعة وأخبار القيامة والموقف والجنة والنار وغير ذلك مما لا يوجد عشر عشره بالإضافة عشر مرات عن أبى بكر رضى الله عنه ، بل وسائر الصحابة رضى الله عنهم معه ، وقد أفردت حكمه وخطبه وأشعاره بالمؤلفات ، وجمعت أقواله فى الأحكام والقضايا والفروع الفقهية والفرائض فى مجلدات ، وهذا عبد الله بن عباس حبر الأمة وبحر علوم التفسير يخبران كل ما عنده من ذلك مأخوذ عن على ، وهؤلاء أهل بيته الأكرمين من زين العابدين والباقر والصادق والكاظم والرضى رضوان الله عليهم أجمعين ، قد ملأوا الدنيا علوما ومعارف وإسرار حتى افتتن بهم من افتتن ، وكل ذلك مما ورثوه عن جدهم الإمام على عليه السلام ، بل الإمام جعفر الصادق وحده نقلت عنه مئات المجلدات ، وهذه أخبار الملاحم والفتن وإشراط الساعة قد جمعت فى مجلدات كلها من علوم على وال بيته الكرام ، وقد ظهر مصداق جل ما فى تلك الأخبار ، ولا زالت حوادث الأيام تظهر صدق الباقى ، وكذلك أسرار الحروف والأسماء ، وعلوم الجداول والتصرف بها ، مما أفرد بالتأليف ، إنما نقلت عن على وآل بيته الكرام ، ولم ينقل فى شىء مما ذكر حرف واحد عن أبى بكر رضى الله عنه ، فضلا عما يملأ المجلدات ويفرد بالمؤلفات ، لا عنه ولا عن ذريته . نعم نقلت عنه كلمات فى المعرفة وحقائق الايمان ، هى دالة على علو كعبه ، ورسوخ قدمه ، فى المعرفة بالله تعالى على ما يليق بعظيم فضله ، وجليل منصبه ، ومكانته السامية من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنها قطرة من بحار علوم على كرم الله وجهه والمشاهدة اكبر دليل ، واعظم برهان ، وقد كان على عليه السلام يصرح بذلك ، تحدثا بنعمة الله ، وتعريفا للخلق بما عنده ، حتى يحصل الأقبال عليه ، والانتفاع به ، فكان يخبران عنده من علوم الحقائق والمعارف الإلاهية ما لم يجد له حملة من اهل عصره ، مع انه عصر الصحابة والتابعين ،

وعصر السلف الصالح ، وخير القرون بعد قرن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، على الإطلاق .

فقال كميل بن زياد : كنت مع أمير المؤمنين على فى مسجد الكوفة ، وقد صلينا عشاء الآخرة : فأخذ بيدى فأخرجنى إلى ناحية الجبانة[1] فلما أصحرنا تنفس الصعداء ، ثم قال : يا كميل بن زياد : القلوب أوعية فخيرها أوعاها ، احفظ عنى ما أقول لك ، الناس ثلاثة : عالم ربانى ، ومتعلم على سبيل نجاة ، وهمج رعاع أتباع كل ناعق ، يميلون مع كل ريح ، لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق ، يا كميل العلم خير من المال ، العلم يحرسك ، وأنت تحرس المال ، والعلم يزكو على الإنفاق ، والمال تنقصه النفقة ، يا كميل محبة العالم دين يدان به يكسبه العلم الطاعة لربه فى حياته ، وجميل الأحدوثة بعد وفاته ، ومنفعة المال تزول بزواله ، والعلم حاكم ، والمال محكوم عليه ، يا كميل مات خزان الأموال وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقى الدهر ، أعيانهم مفقودة ، وأمثالهم فى القلوب موجودة ثم تنفس الصعداء . فقال : ها ها إن ها هنا علما جما ، وأشار بيده إلى صدره ، لو أصبت له حملة الخ الوصية العجيبة المشهورة ، رواها جمع من الحفاظ منهم الطبرانى وأبو نعيم فى الحلية وأبو موسى المدينى والمرهبى فى العلم وابن عساكر فى التاريخ والمزى فى التهذيب والذهبى فى التذكرة ، إلا أنه لم يخل هذا الأثر أيضا من تنكيته الشامى . وطعنه الناصبى . فى فضائل علىّ ومزاياه . فقال بعد إيراده من طريق إسماعيل بن موسى الفزارى ، عن عاصم بن حميد الحناط ، أو رجل عنه . عن ثابت بن أبى صفية أبى حمزة الثمالى . عن عبد الرحمن بن جندب . عن كميل ما نصه : رواه ضرار بن صرد . عن عاصم بن حميد . ويروى من وجه آخر

(١) بتشديد الباء الصحراء . واصحر خرج إليها .

عن كميل وإسناده لين[1] اهـ . مع أنه أثر صحيح ، له طرق متعددة عن كميل ، ولكن نفس الذهبي لا تسمح بالسكوت على فضيلة لعليّ عليه السلام ، ولله در من قال : لو كان قوله تعالى : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) نازلا في حق عليّ ، لقال الذهبي إنها آية ضعيفة وقد اعتنى الأئمة والحفاظ بهذا الأثر وشرحوا غريبه واستخرجوا فوائده ، ومن آخر من رأيته أفرده بالتأليف في مجلدة لطيفة ، العلامة المحدث الشيخ محمد السفاريني الحنبلي صاحب المنظومة المتداولة في عقيدة السلف وشرحها ، فهذا العلم الذي أشار عليّ عليه السلام : أنه في صدره ولم يجد له حملة ، هو علم المعرفة ، وحقائق الإيمان ، الذي ينفيه عنه ابن تيمية كذباً وبهتانا ويقول الصوفية العارفون رضي الله عنهم : أن إمامهم فيه عليّ بن أبي طالب ، لا أبو بكر رضي الله عنه ، على أن علياً عليه السلام أعلم بعلم الظاهر والباطن كما قررناه ، وقد قال أبو الطفيل ، وهو من صغار الصحابة رضي الله عنهم : شهدت عليّ بن أبي طالب يخطب وهو يقول : سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلا أخبرتكم به ، وسلوني عن كتاب الله فوالله ما منه آية إلا وأنا أعلم بليل نزلت أم بنهار ، أم بسهل أم بجبل ، فقام ابن الكواء وأنا بينه وبين عليّ وهو خلفي ، فقال : أرأيت البيت المعمور ، ما هو ؟ فقال : ذاك الضراح[2] فوق سبع سموات ، تحت العرش ، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون فيه إلى يوم القيامة ، رواه الأزرقي في تاريخ مكة ، وله طرق متعددة ، وفيه إشارة إلى بعض علوم القرآن التي اخترع الكلام فيها بعض المتأخرين أهل القرن السادس والسابع فما بعدهما . فهو رضي الله عنه أول من فتح لهم الباب .

---

(١) اللين في عرف المحدثين ضعف خفيف ..
(٢) بضم الضاد المعجمة .

وروى عبد الرزاق فى مصنفه عن نصر بن عاصم ، قال : قال رجل : ليس على المجوس جزية . فأنكر ذلك المستورد بن عصمة ، فذهب إلى علىّ بن أبى طالب ، فذكرا ذلك له . فقال : اجلسا والله ما على الأرض اليوم أحد أعلم منى ، إن المجوس كانوا أهل كتاب ، ثم ذكر الحديث بطوله .

ولنختتم هذا الفصل بما أخرجه ابن دريد فى كتاب (المجتنى) فقال : حدثنا العكلى عن ابن عائشة عن حماد عن حميد عن أنس بن مالك ، قال : أقبل يهودى بعد وفاة النبى صلى الله عليه سلم ، حتى دخل المسجد فقال : أين وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فأشار القوم إلى أبى بكر ، فوقف عليه فقال : أريد أن أسألك عن أشياء لا يعلمها إلا نبى أو وصى نبى ، قال أبو بكر سل عما بدا لك ، قال اليهودى : أخبرنى عما ليس لله ، وعما ليس عند الله ، وعما لا يعلمه الله ، فقال أبو بكر : هذه مسائل الزنادقة يايهودى ، وهمّ أبو بكر والمسلمون باليهودى ، فقال ابن عباس ما أنصفتم الرجل ، فقال أبو بكر : أما سمعت ما يتكلم به ؟ فقال ابن عباس : إن كان عندكم جوابه ، وإلا فاذهبوا به إلى علىّ يجيبه ، فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعلى « اللهم اهد قلبه وثبت لسانه » فقام أبو بكر ، ومن حضر ، حتى أتوا علياً فاستأذنوا عليه ، فقال أبو بكر : يا أبا الحسن إن هذا اليهودى سألنى مسائل الزنادقة ، فقال علىّ ماتقول يا يهودى؟ فقال : أسألك عن أشياء لا يعلمها إلا نبى أو وصى نبى ، فقال له : قل ، فرد اليهودى المسائل ، فقال على رضى الله عنه : أما ما لا يعلمه الله فذلك قولكم ، يا معشر اليهود : إن العزير ابن الله ، والله لا يعلم أن له ولداً ، وأما قولك أخبرنى عما ليس عند الله . فليس عنده ظلم العباد . وأما قولك أخبرنى بما ليس لله فليس لله شريك ، فقال اليهودى : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . فقال أبو بكر والمسلمون لعلى يا مفرج الكروب .

فصل

ومن هذه الوجوه يعلم أيضاً بطلان قول ابن خلدون : إن علياً عليه السلام لم يختص من بين الصحابة بتخلية ولا طريقة فى لباس ولا حال ، وكذلك قوله عن الصحابة رضى الله عنهم لم يختص أحد منهم فى الدين بشىء يؤثر عنه بالخصوص فإنه كلام يدل على جهله التام بالسنة النبوية ، بل هو ضرب من الهذيان ، والكلام الفارغ ، الذى لاطائل تحته، لأنه إن أراد عدم اختصاص أحد من الصحابة بشىء من الدين يعمل به فى نفسه دون غيره ، فهذا باطل من جهة أن التصوف المنقول من طريق علىّ عليه السلام ، ليس هو أمراً خاصاً به ، ولا بمن أخذه عنه ، ونقل من طريقه ، حتى يرد بمثل هذا . لأن التصوف ليس شيئاً زائداً على العمل بالعلم على وجه الإخلاص ، مع الأخذ بالعزائم ، وترك الرخص ، وهذا أمر يشترك فيه المسلمون كافة ، فمن سلك منهم فى العمل هذا المنهاج سمى صوفيا ، ومن لا فلا . فأين الاختصاص الملصق بعلىّ والصوفية رضى الله عنهم ، والمنفىّ عنهم باشتراك سائر الصحابة وعدم اختصاص واحد منهم بشىء فى الدين ، وإن أراد عدم اختصاص أحد من الصحابة بشىء يؤثر عنه ويروى من طريقه دون غيره كما هو ظاهر عبارته ، فهو أبطل وأبطل ، بل هو كلام يدل على جهل تام بالدين ، وعدم معرفة شىء من طرق روايته ، ووصوله إلى المسلمين . لأنه ليس أحد من الصحابة إلا وقد اختص بنقل ما لم ينقله غيره فى الدين من أخبار التوحيد والإسلام والإيمان والإحسان وأحكام الحلال والحرام ، والزهد والرقائق وغير ذلك ، ولم يشترك الصحابة كلهم إلا فى نقل ما هو معلوم من الدين بالضرورة ، كأصول الإيمان والتوحيد وأركان الإسلام ، دون ما اشتملت عليه من الأحكام والفروع إذ لو اشتركوا فى ذلك ولم يختص بعضهم بشىء دون بعض ، لكانت الأمة متفقة غير مفترقة فرقا ومذاهب فى الأصول والفروع ، ولما اختلف الصحابة ذلك

الاختلاف الشديد فى الأحكام والفروع ، مع اشتراكهم فى الأخذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورؤيته ومجالسته ، ثم مع ثبوت هذا الاختصاص لكل فرد منهم نجد لآخرين منهم اختصاصا زائداً على هذا أيضا من جهة التفاوت فى الحفظ والفهم والمعرفة وفقاهة النفس والعناية بنوع خاص من الدين . كاختصاص بعضهم بعلم التفسير كعلىّ وابن عباس وابن مسعود ، واختصاص بعضهم بالقراءات كأبىّ بن كعب وابن مسعود ، واختصاص بعضهم بالحديث كأبى هريرة وأنس وعائشة وأبى سعيد وجابر وابن عمر وابن عمرو ، واختصاص بعضهم بالفرائض كعلىّ وزيد بن ثابت وابن مسعود ، واختصاص بعضهم بالفقه كعلىّ وعمر وابن عمر وابن مسعود ، واختصاص بعضهم بأخبار الفتن والملاحم وأشراط الساعة كعلىّ وحذيفة بن اليمان ، وقد اختص الثانى بمعرفة المنافقين دون غيره من الصحابة ، واختصاص علىّ بنواح متعددة كمعرفة أحكام قتال البغاة التى قال الإمام الشافعى وغيره من الأئمة ، ما استفدنا أحكام قتال البغاة إلا من محاربة علىّ لمعاوية والخوارج ، وكذلك علم الحقائق ومواجد القلوب المروية من طريقه بالتلقى والصحبة والاقتداء ، وقد قال أبو هريرة : حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين ، أما أحدهما فبثثته وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم . رواه البخارى ، وقال ابن عباس : لو حدثتكم بكل ما أعلم لرجمتونى بالبعر ، ثم ما ناظرتمونى . وقال فى قوله تعالى (الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن) لو أخبرتكم بتفسيرها لكفرتم ، وقال : كنا نتحدث أن النبى صلى الله عليه وسلم عهد إلى علىّ سبعين عهداً لم يعهده إلى غيره . وقال علىّ عليه السلام فى سلمان الفارسى رضى الله عنه : أوتى العلم الأول والآخر لا يدرك ما عنده . فكل هذا إشارة إلى علوم الحقائق التى اختص بها بعض الصحابة دون بعض ، وكانت اليد البسطى فيها لعلىّ عليه السلام . بل جل من نقل عنه شىء منها فهو من حزب علىّ عليه السلام : واختصاص بعض الصحابة بأنواع من العلم ، دون

بعض . أمر معلوم بالضرورة لمن عرف السنة ، وخالط علم الأخبار والآثار وسير الرجال .

قال الإمام العارف أبو نصر السراج الطوسى الزاهد شيخ الصوفية فى عصره ، المتوفى سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة فى كتاب (اللمع) ما نصه : باب ذكر جواز التخصيص فى علوم الدين ، وتخصيص كل علم بأهله ، والرد على من أنكر علما برأيه ، ولم يدفع ذلك إلى أهله ، وإلى من يكون ذلك من شأنه ، ثم قال : أنكرت جماعة من العلماء أن يكون فى علم الشريعة تخصيص ، ولا خلاف بين هذه الأمة أن الله تعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بإبلاغ ما أنزل عليه فقال (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) الآية وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال (لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً) فلو كان الذى علم مما لا يعلمون من العلوم التى أمره بالإبلاغ لأبلغ ، ولو جاز لأصحابه أن يسألوه عن ذلك العلم لسألوه ، ولا خلاف بين أهل العلم أن من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان مخصوصا بنوع من العلم ، كما كان حذيفة مخصوصا بعلم أسماء المنافقين ، كان قد أسره إليه رسول الله صلى عليه وسلم ، حتى كان يسأله عمر رضى الله عنه . فيقول : هل أنا منهم ؟ وروى عن على ين أبى طالب أنه قال علمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين بابا من العلم لم يعلم ذلك أحداً غيرى ، وقد ذكر هذا الباب بتمامه فى آخر الكتاب ، والمراد من تكرار هذا أن العلم المبثوث بين أصحاب الحديث والفقهاء والصوفية هو علم الدين . ولكل صنف من أهل العلم فى علمه دواوين ، ومصنفات ، وكتب وأقاويل ، ولكل صنف منهم أئمة مشهورون ، قد أجمع أهل عصرهم على إمامتهم ، لزيادة علمهم وفهمهم . ولا خلاف أن أصحاب الحديث إذا أشكل عليهم علم من علوم الحديث ، وعلل الأخبار ، ومعرفة الرجال ، لا يرجعون فى ذلك إلى الفقهاء ، كما أن الفقهاء لو أشكل عليهم مسألة فى الخلية والبرية والدور والوصايا لا يرجعون فى ذلك

إلى أصحاب الحديث ، وكذلك من أشكل عليه علم من علوم هؤلاء الذين تكلموا فى مواجيد القلوب ، ومواريث الأسرار ، ومعاملات القلوب ، ووصفوا الخواطر واستنبطوا فى ذلك بإشارات لطيفة ، ومعان جليلة ، فليس له أن يرجع فى ذلك إلا إلى عالم ممن يكون هذا شأنه ، ويكون ممن قد مارس هذه الأحوال ، ونازلها واستبحث عن علومها ودقائقها ، فمن فعل غير ذلك فقد أخطأ وليس لأحد أن يبسط لسانه بالوقيعة فى قوم لا يعرف حالهم ، ولم يعلم علمهم ، ولم يقف على مقاصدهم ومراتبهم ، فيهلك ويظن أنه من الناصحين اه .

والباب الذى أشار إليه هو قوله باب (تفسير العلوم وبيان ما يشكل على فهم العلماء من علوم الخاصة وتصحيح ذلك بالحجة) اعلم أن العلم أكثر من أن يحيط به فهم الفهماء ، أو يدركه عقول العقلاء ، وكفاك بقصة موسى والخضر عليهما السلام مع جلالة موسى عليه السلام وما خصه الله به من الكلام والنبوة والوحى والرسالة ، وقد ذكر الله تعالى فى المحكم الناطق على لسان نبيه الصادق عجز موسى عليه السلام عن إدراك علم عبد من عباده ، إذ قال تعالى : (عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما) حتى سأله فقال : (هل أتبعك على أن تعلمنى) الآية . مع تأييد موسى عليه السلام وشرفه وعصمته من الإنكار عليه على أن الخضر عليه السلام لم يلحق درجة موسى عليه السلام فى النبوة والرسالة والتكليم أبدا .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً ، ولما تلذذتم بالنساء ، ولا تقاررتم على فرشكم ، ولخرجتم إلى الصُّعدات تجأرون إلى الله تعالى . والله لوددت أنى كنت شجرة تعضد » . رواه إسرائيل عن إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن مورق عن أبى ذر عن النبى صلى الله عليه وسلم . وفى هذا الخبر دليل على أن قوله : (يا أيها الرسول بلغ

ما أنزل إليك من ربك) ولم يقل : ما تعرفنا به إليك . وقوله صلى الله عليه وسلم : « لو تعلمون ما أعلم » ، لو كان من العلوم التى أمر فيها بالبلاغ لبلغهم ، ولو صح لهم أن يعلموه لعلمهم ، لأن الله تعالى خص النبى صلى الله عليه وسلم بعلوم ثلاث : علم بين للخاصة والعامة ، وهو علم الحدود والأمر والنهى ، وعلم خص به قوم من الصحابة دون غيرهم ، وهو العلم الذى كان يعلمه حذيفة بن اليمان رضى الله عنه ، حتى كان يسأله عمر بن الخطاب رضى الله عنه مع جلالته وفضله ، ويقول يا حذيفة هل أنا من المنافقين ؟ وكذلك روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : علمنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبعين بابا من العلم لم يعلم ذلك أحدا غيرى . قال : وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا أشكل عليهم شىء يلتجئون فى ذلك إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه .

وعلم خص به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يشاركه فيه أحدمن أصحابه، وهو العلم الذى قال : « لو تعلمون ما أعلم » فمن أجل ذلك قلنا لا ينبغى لأحد أن يظن أنه يحوى جميع العلوم حتى يخطىء برأيه كلام المخصوصين ويكفرهم ويزندقهم وهو متعرٍ من ممارسة أحوالهم ، ومنازلة حقائقهم وأعمالهم ، وعلوم الشريعة على أربعة أقسام : فالقسم الأول منها علم الرواية ، والآثار ، والأخبار ، وهو العلم الذى ينقله الثقات عن الثقات والقسم الثانى علم الدراية ، وهو علم الفقه والأحكام ، وهو العلم المتداول بين العلماء والفقهاء . والقسم الثالث علم القياس والنظر والاحتجاج على المخالفين ، وهو علم الجدل وإثبات الحجة على أهل البدع والضلالة نصرة للدين . والقسم الرابع هو أعلاها وأشرفها ، وهو علم الحقائق والمنازلات ، وعلم المعاملات والمجاهدات ، والإخلاص والطاعات ، والتوجه إلى الله عز وجل من جميع الجهات ، والانقطاع إليه فى جميع الأوقات ، وصحة القصود [1] والإرادات،

---

(١) جمع قصد ، وهو من الجموع القليلة الاستعمال ، كخيور جمع خير .

وتصفية السرائر من الآفات ، والاكتفاء بخالق السموات ، وإماتة النفوس بالمخالفات ، والصدق فى منازلة الأحوال والمقامات ، وحسن الآداب بين يدى الله فى السر والعلانية فى الخلوات ، والاكتفاء بأخذ البلغة عند غلبة الفاقات ، والإعراض عن الدنيا وترك ما فيها طلباً للرفعة فى الدرجات ، والوصول إلى الكرامات ، فمن غلط فى علم الرواية غلطاً ، لم يسأل عن غلطه أحداً من أهل الدراية . ومن غلط فى علم الدراية شيئاً لا يسأل عن غلطه أحدا من أهل الرواية ، ومن غلط فى شىء من علم القياس والنظر ، فلا يسأل عن غلطه أحدا من أهل علم الدراية والرواية ، وكذلك من غلط فى شىء من علم الحقائق والأحوال فلا يسأل عن غلطه إلا عالما منهم ، كاملا فى معناه ، ويمكن أن توجد هذه العلوم كلها فى أهل الحقائق ، ولا يمكن أن يوجد علم الحقائق فى هؤلاء إلا ما شاء الله . لأن علم الحقائق ثمرة العلوم كلها ، ونهاية جميع العلوم وغايتها ، إلى علم الحقائق ، فإذا انتهى إليها وقع فى بحر لا غاية له ، وهو علم القلوب ، وعلم المعارف ، وعلم الأسرار ، وعلم الباطن ، وعلم التصوف ، وعلم الأحوال ، وعلم المعاملات ، أى ذلك شئت معناه واحد . قال الله تعالى : (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا) ألا ترى أن هؤلاء لا ينكرون شيئا من علومهم ، وهم ينكرون علوم هؤلاء ، إلا ما شاء الله ، وكل صنف من هؤلاء إذا تبحر فى علمه فصار متقنا فى فهمه ، فهو السيد لأصحابه ، لابد لهم من الرجوع إليه فيما يشكل عليهم ، فإذا اجتمعت هذه الأقسام الأربعة فى واحد ، فهو الإمام الكامل ، وهو القطب والحجة ، والداعى إلى المنهج والمحجة ، كما روى عن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال فى كلام له : لكميل بن زياد : اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم لله ، بحجة ، لئلا تبطل آياته ، وتدحض حجته ، أولئك الأقلون عددا ، الأعظمون عند الله تعالى قدرا اهـ .

وقال الحافظ محمد بن قاسم التركانى فى (القول المستحسن) فى الكلام على

حديث التلقين ما نصه : وقد نص القشاشى والكردى على أن السبب فى عدم اشتهار التلقين عند أوائل أهل الحديث ، أن هذا أمر خاص بخواص من أهل سلوك طريق العزيمة . وليس كرواية الأحاديث ، ونقل الأحكام الشرعية العامة حتى يقع لها الشهرة . قلت : ومما يدل على أن الأسرار خاصة ببعض دون بعض ، حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليًّا يوم الطائف فانتجاه ، فقال الناس : لقد طالت نجواه مع ابن عمه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أنا أنتجيته ولكن الله انتجاه » . رواه الترمذى ، وقال كما فى الرياض النضرة . حسن صحيح غريب ، وأبو يعلى والطبرانى فى الكبير وأبو نعيم .

وروى الطبرانى من حديث ناجية بن جندب قال : لما كان يوم غزوة الطائف ، قام النبى صلى الله عليه وسلم مع علىّ مليا من النهار ، فقال أبو بكر يا رسول الله لقد طالت مناجاتك عليًّا منذ اليوم ، فقال له : « ما أنا انتجيته ولكن الله انتجاه » . وقال الترمذى عقب حديث جابر يقول : إن الله أمرنى أن انتجى معه .

قال المظهر فى شرح المصابيح يعنى بلغته عن الله تعالى ما أمرنى أن أبلغه على سبيل النجوى ، فحينئذ انتجاه الله تعالى ، لا أنا انتجيته . وقال الطيبى ووافقه عبد الحق الدهلوى ، كان ذلك أسرارا إلهية وأموراً غيبية جعله من خزانها اه .

أما قول القارى فيه : أن الظاهر أن الأمر المتناجى به من الأسرار الدينوية المتعلقة بالأخبار الدينية من أمر الغزو ونحوه ، إذ ثبت فى صحيح البخارى أنه سئل كرم الله وجهه هل عندكم شىء ليس فى القرآن ؟ فقال : والذى خلق الحبة وبرأ النسمة ما عندنا إلا ما فى القرآن . إلا فهماً يعطى رجل فى كتاب الله ، وما فى هذه الصحيفة . قيل : وما فى الصحيفة قال : العقل[1] . وفكاك الأسير

---

(١) أى الدية .

وألاّ يقتل مسلم بكافر اهـ . فمعلول بأن الظاهر ، بل الحق الصريح كما يعلم من رواية البخارى عن يزيد التيمى ، قال علىّ ما عندنا كتاب نقرؤه إلاّ كتاب الله غير هذه الصحيفة . وفى لفظ : والله ما عندنا من كتاب يقرأ إلا كتاب الله وما فى هذه الصحيفة ، الحديث ، ومن رواية ابن منيع والترمذى وصححه عن أبى جحيفة ، قلت لعلى : يا أمير المؤمنين هل عندكم سوداء فى بيضاء ليس فى كتاب الله ، قال : والذى فلق الحبة وبرأ النسمة ما علمته إلا فهماً يعطيه الله رجلا فى القرآن ، وما فى الصحيفة ، الحديث . فهذا يدل أن محل السؤال والجواب شىء مكتوب يقرأ سوى ما فى القرآن كما تزعمه الشيعة ، لا بما ليس بمكتوب من الأحكام الظاهرة ، والأسرار الباطنة ، والعلوم اللدنية ، وقد صرح بهذا القارى نفسه . فقال فى شرح البردة ، بعد أن ذكر خبر علمنى ربى ليلة الإسراء علوماً شتى ، فعلم أخذ على كتمانه ، وعلم خيرنى فيه ، وعلم أمرنى أن أبلغه ، قال فكان يسر إلى أبى بكر وعمر وعثمان وعلى ما خير فيه . ذكره جمع من الشراح ولم أقف له على أصل فى كتب الحديث ، ما نصه : ولا ينافى ما رواه البخارى فذكر هذا الخبر ، ثم قال : لأن هذا فيما يتعلق بتبليغ الناس ، وذاك فى غيره ، كما هو ظاهر اهـ مع أن قول علىّ عليه السلام إلا فهماً يعطى رجل فى كتاب الله ، يتضمن جميع علوم الأسرار ، وفهوم الأخبار ، لقوله تعالى : (ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين) وقوله تعالى : (نزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شىء) .

قال ابن عباس : جميع العلوم فى القرآن لكن تقاصر عنه أفهام الرجال .

وروى سعيد بن منصور عن ابن مسعود قال : من أراد العلم فعليه بالقرآن فإن فيه خبر الأولين والآخرين ، قال البيهقى : يعنى أصول العلم .

وروى ابن جرير وابن أبى حاتم عنه قال : أنزل فى هذا القرآن كل علم ، وبين لنا فيه كل شىء ، ولكن علمنا يقصر عما بين لنا فى القرآن .

وروى سعيد بن منصور عن الحسن ، قال : أنزل الله مائة وأربعة كتب أودع علومها فى أربعة منها : التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ، ثم أودع علوم الثلاثة فى القرآن ، أى مع زيادات لا تنحصر .

وروى عبد الله بن أحمد فى زوائد المسند بسند صحيح عن ابن مسعود قال : تمارينا فى سورة من القرآن : فقلنا خمس وثلاثون آية ، ست وثلاثون آية ، فانطلقنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجدنا علياً يناجيه ، فقلنا له : إنا اختلفنا فى القرآن ، فاحمر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال علىّ : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم أن تقرؤا كما علمتم .

وقد مضى حديث أبى نعيم عن ابن مسعود : إن القرآن أنزل على سبعة أحرف ما منها حرف إلا وله ظهر وبطن ، وأن على بن أبى طالب عنده منه علم الظاهر والباطن .

وقال الطبرانى فى الصغير : حدثنا محمد بن سهل بن الصباح الصفار الأصبهانى ، حدثنا أحمد بن الفرات الرازى ، حدثنا سهل بن عبدويه السندى الرازى ، ثنا عمرو بن أبى قيس عن مطرق بن طريف عن المنهال بن عمرو ، عن التميمى ، عن ابن عباس ، قال : كنا نتحدث أن النبى صلى الله عليه وسلم عهد إلى علىّ رضى الله عنه سبعين عهداً لم يعهدها إلى غيره . قال الطبرانى لم يروه عن مطرق إلا عمرو بن قيس ، ولا عن عمرو إلا سهل بن عبدويه ، تفرد به أحمد بن الفرات ، واسم التميمى إربده اه .

قلت وبالنظر فى رجاله يعلم أنه حسن إن لم يكن صحيحاً .

وقد أخرجه أبو نعيم ، قال حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر ، حدثنا أحمد بن محمد الجمال ، ثنا أبو مسعود أحمد بن الفرات به .

وقال ابن عقدة : حدثنا أبو عوانة موسى بن يوسف بن راشد ، حدثنا عبد السلام بن عاصم ، ثنا إسحاق بن إسماعيل بن لاهوية ثنا عمرو بن قيس ، عن ميسرة بن حبيب ، عن المنهال بن عمرو ، قال : أخبرنى رجل من بنى تميم عن ابن عباس قال : كنا نتحدث أصحاب محمد أن النبي صلى الله عليه وسلم عهد إليه ثمانين عهداً لم يعهد شيئاً منها إلى أحد غيره ، وعن ابن عقدة رواه الجعابى والمفيد والطوسى فى مشيخته ، ومما يشهد للعهد أخباره بما يقع له ولأهل بيته من الفتن والمحن لا تغادر صغيرة منها ولا كبيرة ، وما رواه أحمد وابنه عبد الله وأبو يعلى كلهم قالوا : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، ثنا جرير بن عبد الحميد ، عن مغيرة ، عن أم موسى ، عن أم سلمة قالت : والذى أحلف به إن كان على لأقرب الناس عهدا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : كان عندنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، غداة بعد غداة ، وهو يقول : جاء على مرارا ؟ ؟ ولفظ أبى يعلى : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم قبض فى بيت عائشة فجعل رسول صلى الله عليه وسلم غداة بعد غداة يقول : (جاء علىّ) مراراً ، قالت : وأظنه كان بعثه فى حاجة ، قالت : فجاء بعد فظننا : أن له إليه حاجة ، فخرجنا من البيت فقعدنا عند الباب ، فكنت من أدناهم من الباب ، فأكب عليه علىّ فجعل يساره ويناجيه ، ثم قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من يومه ذلك ، زاد أحمد وابنه ، فكان أقرب الناس به عهداً .

وقال أبو يعلى : ثنا أبو خيثمة، ثنا جرير بن عبدالحميد ، عن مغيرة ، فذكره، وفيه ثلاث مرات فجاء قبل طلوع الشمس .

وأخرجه النسائى فى خصائصه ، قال : أخبرنى محمد بن قدامة ، ثنا جرير ، فذكره ، ومن جهة أحمد ، رواه الحاكم ، وقال صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، وكأنه لذلك دعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم رافعاً يديه ، وكان بعث جيشاً فيهم علىّ

« اللهم لا تمتنى حتى ترينى علياً » رواه أحمد والترمذى وحسنه من حديث أم عطية .

وقال عبد الحق الدهلوى : ليس كل العلوم والأسرار والمعارف مشتركة فيما بين الصحابة بأجمعهم ، ولا بد كان بعضهم مخصوصاً بما لم يكن عند غيره ، كحذيفة المشهور بصاحب السر إلاّ الأحكام الشرعية من الأوامر والنواهى فإنه لم يكتمها عن واحد ، ولم يخص بها بعضاً دون بعض .

ففى صحيح مسلم عن حذيفة أنه قال : والله إنى لأعلم الناس بكل فتنة هى كائنة فيما بينى وبين الساعة ؛ وفى الصحيحين : أن أبا الدرداء ، قال لعلقمة : أليس فيكم صاحب السر الذى لا يعلمه غيره ؟ وعند الترمذى ، وقال حسن صحيح : من قول أبى هريرة لخيثمة بن أبى سبرة أليس فيكم حذيفة صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ اه .

قلت : وهذا السر الذى خص به رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم حذيفة فى معرفة المنافقين ، وتفاصيل إخبار الفتن والملاحم الآتية إلى قيام الساعة ، لم يكن تعليمه إياها من طريق الظاهر ، والتحديث باللسان ، فإن حذيفة رضى الله عنه لم يكن يختلى برسول الله صلى الله عليه وسلم وقتاً طويلا دون الصحابة ، لأن ما كان يعلمه حذيفة من ذلك يستدعى أخذه وقتاً طويلا ، مع حفظ واسع ، أو كتابة كتاب ، ولم ينقل فى خبر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يختلى به وحده ، ويعقد له مجالس خاصة به للتحدث والمذاكرة ، فى هذا السر ، وإنما حصلت تلك الخصوصية من طريق السر الإلهى والمدد الباطنى الذى ينفتح به مقفل خزائن العلوم ، الكامنة فى سر العبد وتتفجر معه ينابيع المعارف من عيون قلبه ، فينظر بنور الله ، وينطق بأسرار توفيقه ، لأنه ممن أحبه الله ، فكان سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ومتى صار العبد يسمع بالله ويبصر به صار الغيب له شهادة ،

والمستقبل له حاضراً . فينطق بالمغيبات ، ويخبر عنها خبر من عاينها ، لا فرق بين الماضى والمستقبل ، ولا بين القريب والبعيد ، وإذا ثبت هذا فى حق حذيفة رضى الله عنه الذى خصه النبى صلى الله عليه وسلم بسر واحد فما بالك بعلىّ وارث علمه صلى الله عليه وآله وسلم ، ووصيه وخليفته الباطنى الذى أخبر عنه أنه : باب (مدينة علمه) وأنه أعلم أمته ، وبما سبق من الأحاديث والنصوص تعلم انطماس بصيرة ابن تيمية وابن خلدون . وعمى قلبهما وبصرهما عن رؤية خصوصية هذا الإمام الجليل رضى الله عنه وعنّا به ونفعنا بعلومه وأسراره آمين .

فصل

وقول ابن تيمية : فأين الحقائق القلوبية من لباس الأبدان ؟ هو مغالطة منه وتجاهل ، وتعام عن الحق وتغافل ، بل جحود وكتمان ، وقلب للحقائق والأعيان ، وبيان ذلك من وجوه :

(الوجه الأول) : أن المنقول عن علىّ عليه السلام هو لب الحقائق القلوبية وسر المعارف الإلهية التى هى نتيجة العمل بالشريعة المحمدية ، وهى القطبية العظمى ، والفردية الكبرى ، وما يندرج تحتها من مقامات المعرفة ، ومنازل الولاية ، فى القرب والوصول إلى الحضرة العلية ، والخرقة إنما هى اصطلاح وعلامة على الدخول فى الطريق ، وذلك عند بعض الصوفية . لا عند جميعهم ، فالشاذلية ليس لهم خرقة ، ولا هى عتبة للدخول فى طريقهم ، كما عند غيرهم ، بل أكثرهم لا سيما شيوخ المغرب منهم . من لا يعرفها ، بل ولا يسمع بها ، لعدم ذكرها فى كتب تربيتهم وسلوكهم ، بل وكذلك التلقين والأوراد والأذكار . فإنه شىء أحدثه متأخروهم ، قال : ابن عطاء الله فى لطائف المنن : سمعت شيخنا أبا العباس يعنى المرسى رضى الله عنه يقول : طريقتنا هذه لا تنسب المشارقة ولا لمغاربة ، بل واحد عن واحد إلى

الحسن بن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنهما ، وهو أول الأقطاب ، وإنما يلزم تعيين المشايخ الذين يستند إليهم طريق الأنساب ، من كانت طريقه بلبس الخرقة، فإنها رواية ، والرواية تتعين بتعين سندها . وهذه هداية ، وقد يجذب الله العبد إليه فلا يجعل عليه منة لأستاذ ، وقد يجمع شمله برسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون آخذاً عنه . وكفى بهذا منة اهـ ، ولما تكلم القسطلانى فى المواهب اللدنية على الخرقة . قال : وكثير من السادات يكتفى بمجرد الصحبة . كالشاذلى وشيخنا أبى إسحاق المتبولى ، وقال العارف الكبير أبو عبد الله محمد بن عراق فى كتاب له فى الخرقة ما نصه : والسادات الشاذلية لم يعتبروا فى طريقهم لبس الخرقة وإنما المعول عليه عندهم الصحبة الصادقة مع الاقتداء ، وأما تلقين الذكر وإرخاء العذبة ، فلهما عندهم أصل صحيح ، وكذا عند أستاذى ابن ميمون [1] . اهـ ولما سأل الشيخ زروق شيخه أبا العباس أحمد بن عقبة الحضرمى عن خرقته ، قال له : نحن لا نعرف شيئاً من هذا ولكن طريق أمى وسلفها تنتهى إلى الشيخ أبى مدين المغربى كما تقدم نقله عن الشيخ زروق ، وقال إمام الطريقة القطب الأشهر أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه فى كتابه (المجموع فى المعرفة ، على مراد الربوبية) فى باب الأوراد منه ما نصه : وسأل رجل أستاذى فقال : يا سيدى وظف علىّ وظائف وأوراداً فغضب منه الأستاذ ، وقال : أرسول أنا ؛ فأوجب الواجبات ، الفرائض معلومة ، والمعاصى مشهورة ، فكن للفرائض حافظاً ، وللمعاصى رافضاً ، واحفظ قلبك من إرادة الدنيا ، وحب النساء ، وحب الجاه ؛ وإيثار الشهوات ؛ وامتنع عن ذلك كله بما قسم الله لك ؛ إذا خرج لك مخرج

(١) هو الشيخ على بن ميمون الغمارى ، صاحب رسالة « غربة الإسلام بين صنفى المتفقهة والمتفقرة فى مصر والشام وما والاها من بلاد الاعجام » وهى مطبوعة بالمغرب وفيها تشديد هـ .

الرضى فكن شاكراً وإذا خرج لك مخرج السخط فكن عنه صابراً ؛ وحب الله قطب تدور عليه الخيرات ؛ وأصل جامع لأنواع المسرات ؛ وحصون ذلك كله أربعة : صدق الورع ، وحسن النية ، وإخلاص العمل ، وصحبة العلم ، ولا تتم لك هذه الجملة إلا بصحبة أخ صالح ، أو شيخ ناصح اهـ فهذا قطب الطريقة ، وشيخ إمامها يصرح بأن الأصل فى الطريق هو صحبة الشيخ الناصح المرشد إلى العمل بالشريعة على وجه الإخلاص وحسن النية ، وأنه ليس فيها أوراد ولا وظائف فضلا عن لبس الخرقة .

وقال العلامة الأديب الصوفى أبو الربيع سليمان بن محمد الحوات فى (البدور الضاوية فى أخبار أهل الزاوية الدلائية) لما ترجم لأبى بكر الدلائى ما نصه : وطريقته رضى الله عنه إنما هى شاذلية ، ولا تلقين فى الطريقة الشاذلية كما قال القسطلانى وقال والدنا الإمام العلامة سيدى محمد بن عبد الله الحوات الحسن العلمى الموسوى فى كتابه (تحفة المعاصر فى بعض صالحى تلامذة أبى عبد الله ابن ناصر) ما نصه : وسألت شيخنا الإمام العلامة أبا عبد الله من أحمد المشناوى عن هذا التلقين والورد المعطى للفقراء على الكيفية المعروفة ، فأجابنى بأنه لم يكن فى الصدر الأول ، وإنما أحدثه الشيخ أحمد بن يوسف الملياني فقيل له فى ذلك ، فقال : رأيت أن أشغل من الفقراء فى بعض الأوقات بعض الجوارح ، أو ما هذا معناه هـ

ويحكى أن الشيخ أبا العباس أحمد بن عبد الله صاحب المخفية سأل الشيخ سيدى أحمد بن ناصر بقوله: ما هذا الذكر الذى تعطيه للناس وتضربهم بعصا واحدة أو ما هذا معناه فأجابه بأنه لينبه الناس إلى ذكر الله هـ .

قلت: وفى المقصد الأحمد فى مناقب سيدى أحمد بن عبد الله المذكور لأبى محمد عبد السلام بن الطيب القادرى ما نصه: وليس من شأنه إعطاء الأوراد ولا توظيف الوظائف بل إذا خالطه أحد تركه حتى يشرق بباطنه التوحيد ، وتترشح فيه الأنوار ، فيهتدى إذ ذاك للاتباع والعمل ، وذكر الله عز وجل من غير كلفة ولا تعمل اهـ .

وقال القادرى فى الكتاب المذكور لما تكلم على الخرقة ما نصه : وقد تداول هذه الخرقة الأقدمون من الأكابر كلهم أو جلهم ، وليست عندهم للتبرك ، إذ لبسوا متشبهين ، وتعاطوها كثيرا فيما بينهم ، إلى أن ظهرت الشاذلية فانقطع ذلك ، فلا تجد فى أسانيدهم شيئا منها ، وكذلك التلقين ؛ وصفته : أن يقول الشيخ للمريد وهو يسمع : لا إله إلا الله ، ثلاث مرات رافعا بها صوته مغمضا عينيه ثم يقولها المريد كذلك اهـ .

وقال الصومعى فى (المعزى فى أخبار الشيخ أبى يعزى) وقد قدمنا أن هذا شأن الفقراء والشيوخ بالبلاد المشرقية ، وأهل المغرب إنما غالب أمرهم الصحبة والاقتداء اهـ .

قلت : وهو قد أدرك أصحاب الشيخ زروق رضى الله عنه . ولا يزال الأمر على ذلك بالمغرب إلى الآن لأن أكثر الطرق به شاذلية زروقية أو جزولية .

فصل

وكذلك نص النقشبندية فى كتبهم على أن العمدة فى طريقهم على الصحبة والاقتداء ، لا على لبس الخرقة . قال الإمام الربانى أحمد بن عبد الأحد السهرندى : وفى هذه الطريقة معنى النقشبندية الصوفية ، المشيخة والإرادة ، بتعليم الطريق وتعلمها لا بالقلنسوة والشجرة نقله عنه الخانى فى (البهجة السنية فى آداب الطريقة النقشبندية)

فصل

بل الأقدمون من الصوفية كلهم لا يعرفون الخرقة ، وإنما يعرفون الصحبة والاقتداء ، ومن قرأ كتبهم وكتب تراجمهم (كالرعاية) للحارث المحاسبى ، (والقوت) لأبى طالب المكى ، (والتعرف) للكلاباذى ، و(اللمع) لأبى نصر السراج الطوسى ، (والرسالة) للقشيرى ، (والحلية) لأبى نعيم ، و (سنن

الصوفية وطبقاتهم) لأبى عبد الرحمن السلمى ، ونحوها لا يجد فيها للخرقة ذكرا ، ولا لروايتها أثراً ، لأنها لم تكن مشهورة عندهم ، ولا متداولة فيما بينهم ، كاشتهارها وتداولها بين المتأخرين أهل القرن الخامس ، فمن بعدهم وأول ظهورها فى القرن الرابع ، فى زمن أصحاب الجنيد كالشبلى المتوفى سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة ، وابن خفيف المتوفى سنة أحدى وتسعين وثلاثمائة ، كما سيأتى عن الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربى رضى الله عنه ، ولذلك لم يروها الحفاظ المخرجون للسنن والآثار ، مع شدة اعتنائهم بالرواية وسعة حفظهم ، وكثرة بحثهم عن كل ما يتصل بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم ظاهرا من سنن وأحكام وأخلاق وآداب ، بل لما اشتهرت بين المتأخرين من الصوفية أنكرها عليهم أهل الحديث ، لعدم ثبوتها مروية فى كتب المتقدمين منهم ، وأول من علمته ذكرها واستدل لها الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسى التوفى سنة سبع أو ثمان وخمس مائة فى كتابه (سنن الصوفية) المعروف بكتاب (الصفوة) فقال فى كتاب اللباس منه : باب السنة فى لبسهم الخرقة من يد الشيخ ، ثم أخرج من طريق الحاكم ، ثم من حديث أم خالد بنت خالد قالت : أتى النبى صلى الله عليه وسلم بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة ، فقال (من ترون أكسو هذه) فسكت القوم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أئتونى بأم خالد) فأتى بى فألبسنيها بيده ، وقال (أبلى وأخلق) يقولها مرتين ، وجعل ينظر إلى علم فى الخميصة أصفر وأحمر ، ويقول (يا أم خالد هذا سناه) والسناه بلغة الحبشة : الحسن اه فاستدل لها بهذا الحديث ، ولم يرو لبسها مسلسلا من طريق الشيوخ ، لعدم اشتهار سندها . فى عصره بسند الخرقة ، وإنما كان معروفا بسند الصحبة والاقتـــداء ، نعم أفردها بالتأليف الحافظ أبو موسى المدينى المتوفى سنة إحدى وثمانين وخمسمائة فى جزء سماه (استدعاء اللباس عن كبار الناس) ولعله ذكر سندها المعروف فيه ، فإنا لم نقف عليه ، وقد أنكرها عصرية الحافظ

أبو الفرج بن الجوزى فى (تلبيس إبليس) وقال : إن سندها كذب ومحال ، وما كان من عادة رسول الله صلى الله على وآله وسلم الإلباس ، ولا فعل هذا أحد من أصحابه وتابعيهم الخ ما قال ، وهو جهل منه بالأصول التى تشهد لإلباس الخرقة من السنة الصحيحة دون حديث أم خالد الذى ذكره الحافظ أبو الفضل ابن طاهر المقدسى . واعترض عليه ابن الجوزى فيه ، وإنما الغرض الاستشهاد من كلامه بأنها لم تكن معروفة بين المتقدمين ، لا من الصوفية ولا من المحدثين

وقال الحافظ السخاوى : فى (المقاصد الحسنة) حديث لبس الخرقة الصوفية ، وكون الحسن البصرى ليسها من علىّ ، قال ابن دحية وابن الصلاح : أنه باطل ، وكذا قال شيخنا يعنى الحافظ أنه ليس فى شىء من طرقها ما يثبت ، ولم يرد فى خبر صحيح ولا حسن ولا ضعيف أن النبى صلى الله عليه وسلم ألبس الخرقة على الصورة المتعارفة بين الصوفية لأحد من أصحابه ، ولا أمر أحدا من أصحابه بفعل ذلك وكلما يروى فى ذلك صريحا فباطل اه المراد منه ، ونقل الحافظ السيوطى فى (زاد المسير عن الحافظ ابن الصلاح أنه قال : بعد ذكر سنده فى الخرقة وليس بقادح فيما أوردناه كون لبس الخرقة ليس متصلا إلى منتهاه على شرط أصحاب الحديث فى الأسانيد ، فإن المراد ما يحصل به البركة والفائدة باتصالها بجماعة من السادات الصالحين ه . وهو عكس ما نقله عنه السخاوى من الحكم ببطلانها ، وكأن ابن الصلاح يقصد فيما نقله عنه السخاوى ، وكذا عن الحافظ حديث الخرقة الباطل الموضوع الذى فيه إخراجها من الجنة من صندوق من النور ، كما هو مذكور فى الموضوعات ، وقال بعض من اختصر كتاب (بهجة الأسرار) فى مناقب مولانا عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه ، ما نصه : أعلم أن لفظ الصحبة فى هذه الطائفة كان من وقت النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى وقت شيخ الطائفة وأمام الأمة أبى القاسم الجنيد البغدادى رضى الله عنه ، ثم منه إلى الآن يستعمل مكانه لفظ الخرقة ه .

وقال الشيخ الأكبر رضى الله عنه فى « الفتوحات المكية » فى الباب الخامس والعشرين ، بعد حكاية ما جرى له مع الخضر عليه السلام ، وكونه لبس منه الخرقة ، ما نصه : ومن ذلك الوقت قلت بلباس الخرقة وألبستها الناس ، لما رأيت الخضر قد اعتبرها ، وكنت قبل ذلك لا أقول بالخرقة المعروفة الآن ، فإن الخرقة عندنا إنما هى عبارة عن الصحبة والأدب والتخلق ، ولهذا لا يوجد لباسها متصلا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن يوجد صحبة وأدب وهو المعبر عنه بلباس التقوى انتهى المراد منه . وقال فى رسالة « نسب الخرقة » بعد تمهيد سيأتى ما نصه : ولما تقرر هذا فى نفوس أهل الله أرادوا أن يجمعوا بين اللبستين ويتزينوا بالزينتين ، ليجمعوا بين الحسنين ، فيثابوا من الطرفين ، إلى أن قال : فظهر الجمع بين اللبستين من زمن الشبلى وابن خفيف ، إلى هلم جرا ، فجرينا على مذهبهم فى ذلك فلبسناها من أيدى مشايخ جمة سادات ، بعد أن صحبناهم وتأدبنا بآدابهم ، ليصح اللباس ظاهرا وباطنا اﻫ فصرح بأن أول ظهور لبس الخرقة كان فى زمن الشبلى وابن خفيف ، وهو القرن الرابع وأنه قبل ذلك لم يكن إلا الصحبة والاقتداء ، ولم يكن لباس الإبدان معروفا بينهم ، وهو الحق الذى لاشك فيه ، وإن تعقبه عليه الصفى القشاشى وتبعه بعض المغرمين بلباس الخرقة ، من الهنود المتأخرين بما لا طائل تحته ، وقال السهروردى فى (عوارف المعارف) ولا خفاء أن لبس الخرقة على الهيئة التى يعتمدها الشيوخ فى هذا الزمان لم يكن فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذه الهيئة والاجتماع لها والاعتداد بها من استحسان الشيوخ ، وأصله من الحديث ما رويناه يعنى حديث أم خالد السابق انتهى المراد منه ، ولما نقله العلامة المقرى صاحب (نفح الطيب) فى كتابه (زهر الكمامة فى أخبار العمامة) قال ما نصه : وكان طائفة من السلف الصالحين لا يعرفون الخرقة ولا يلبسونها المريدين اﻫ . وقال الشيخ زروق فى (عدة المريد الصادق) .

فصل

فى ذكر ظهور المشايخ والمشيخة وما يتبع ذلك من طريق الاقتداء ونحوها

اعلم : أن الأوائل من القوم لم يكن لهم ترتيب فى المشيخة معروف ولااصطلاح مألوف ، وإنما كانت المحبة واللقاء ، فكان الأدنى منهم إذا لقى الأعلى ، استفاد برؤيته أحوالا لأن من تحقق بحالة لم يخل حاضروه منها ، والأحوال موروثة فلذلك قال ابن العريف كيف يفلح من لم يخالط مفلحا وكان الصحابة رضى الله عنهم ينتفعون برؤيته عليه الصلاة والسلام حتى قال أنس رضى الله عنه : ما نفضنا التراب عن أيدينا من دفنه صلى الله عليه وسلم حتى وجدنا النقص فى قلوبنا ، كانت الصحبة عندهم بتعلم الأدب ، وأخذ العلم ، بوجه يعرف أحدهم بالتزام الوجه الذى يأخذ منه ، ويواليه موالاة من يرى فضله عليه ، ويشكر إحسانه إليه من غير زائد على ذلك ، وأصلهم فى ذلك قوله تعالى : (واتبع سبيل من أناب إلى) الآية ، فلما غلب الخبطُ على النفوس والتخليط على القلوب ، ظهر متأخرو الصوفية بالاصطلاح فى التربية ، وترتيب المشيخة على ما هو معلوم من شأنهم ، مستندين لما ذكرنا من قوله تعالى : (واتبع سبيل من أناب إلى) اهـ المراد منه . وهو غاية فى التحقيق ، فصرح بأن المشيخة على الهيئة المتعارفة اليوم ، لم تكن فى زمن الأقدمين من القوم ، فضلا عن الباس الخرقة الحادث عند بعضهم فى القرن الرابع .

فصل

فبان من هذا بطلان قول ابن تيمية : فأين الحقائق القلوبية من لباس الأبدان ؟ وأن المروى عن علىّ عليه السلام ليس هو الخرقة ولباس الأبدان ، بل المروى عنه هو المعرفة بالله تعالى ، وعلم الباطن الذى هو سر الاقتداء الذى هو نتيجة العمل على الإخلاص ، وأن إلباس الخرقة أمر حادث ، وشىء اصطلح عليه شيوخ الصوفية بعد وفاة علىّ عليه السلام بثلاثة قرون ، كما اصطلح الفقهاء وأهل الأصول على قواعد وضوابط ، واستنبطوا من النصوص أحكاماً وفروعاً ، وتوسعوا فى ذلك حتى ذكروا حكم المستحيل ، وما لا يتصور فى العادة وجوده ، وذلك بعد النبى صلى الله عليه وسلم بقرون وأزمان ، ثم نسبوا جميع ما استنبطوه إلى الشريعة ، وصرحوا بأنه حكم الله تعالى ، وحكم رسوله صلى الله عليه وسلم مع عدم ورود شىء منه ، لا فى كتاب الله تعالى ، ولا فى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، بل ولا عن الصحابة والتابعين رضى الله عنهم وعنا بهم آمين .

وإنما وردت أصول وثبتت أدلة ، فاستنبطوا منها تلك الفروع ، واستخرجوا منها تلك القواعد والأحكام ، وقاسوا عليها وعلى ما هو مقيس عليها أضعاف أضعافها ، فكان فى استنباطهم الحق والباطل ، والصواب والخطأ ، بقدر إحكام طرق الاستنباط ، وتحقيق العلل ، وتحرير المناط ، وعلى حسب العلم بالدليل والجهل به ، والقرب منه ، والبعد عنه ، بخلاف مسائل الصوفية رضى الله عنهم ، فإن غالبها مستخرج من نفس الكتاب والسنة ، لا من الأقيسة الفاسدة ، والشبه الباطلة ، والتقليد المحرم الممنوع ، فالخرقة وإن لم ترد عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالصفة المخصوصة ، والهيئة المتعارفة بين الصوفية المتأخرين ، أو من اختارها منهم إلا أنا وجدنا لمن استحسنها منهم لمصلحة المريدين ، أصولا هى أقرب من أصول الفقهاء ، فى أكثر فروعهم ، وأدلة أقوى من أدلة الفقهاء

فى جل أحكامهم ، فقد ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه عمم جماعة من أصحابه بيده الكريمة ، منهم علىّ بن أبى طالب الذى تروى الخرقة من طريقه . وكذلك كما أهل بيته الكرام ، وقال : « اللهم هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً » وهم الأقطاب الذين تروى من طريقهم المعارف الإلهية ، وتستقى من جهتهم الحقائق العرفانية ، بل كان صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا يولى والياً حتى يعممه .

قال الدولابى فى (الكنى والأسماء) : حدثنا عبد الصمد بن عبد الوهاب المعروف بصيدله ، حدثنا يحيى بن صالح الوحاظى ، حدثنا جميع بن ثوب ، حدثنا أبو سفيان الرعينى ، عن أبى أمامة ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يولى والياً حتى يعممه ، ويرخى له من جانب الأيمن حذاء الأذن . ومن هذا الوجه رواه أيضاً الطبرانى .

وأخرج أبو داود والبيهقى من حديث عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه ، قال : عممنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسدلها بين يدى ومن خلفى .

ورواه البزار والدارقطنى فى (الإفراد) وأبو نعيم فى (المعرفة) والبيهقى فى (شعب الإيمان) من طريق عطاء الخراسانى : أن رجلا أتى ابن عمر ، فسأله عن إرخاء طرف العمامة ، فقال له عبد الله : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية وأمّر عليها عبد الرحمن بن عوف ، وعقد له لواءاً ، وعلى عبد الرحمن بن عوف عمامة من كرابيس[1] مصبوغة بسواد ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فحل عمامته ،

---

(١) قطن ، والحديث حسن ، وهو أصح حديث فى تعيين قدر العذبة بأربع أصابع .

ثم عممه بيده وأفضل موضع أربع أصابع ، أو نحو ذلك ، فقال : « هكذا فأعتم فإنه أحسن وأجمل » .

ورواه ابن أبي شيبة وابن عساكر من حديث عائشة ، ولما ذكر الحافظ السيوطي في (زاد المسير) استدلال السهروردي للخرقة بحديث أم خالد ، قال : وقد استنبطت للخرقة أصلا من السنة أوضح مما تقدم ، ثم ذكر حديث عبد الرحمن ابن عوف ، ثم قال : فالاستدلال بهذا لإلباس الخرقة أنسب ، والله أعلم ، اهـ .

قلت : بل الأنسب هو الاستدلال بتعميم النبي صلى الله عليه وسلم لعليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وإلباس الكساء لآل بيته الأطهار ، لأن من جهتهم تروى الخرقة ، لا من جهة عبد الرحمن بن عوف .

قال الطبراني في الكبير : حدثنا بكر بن سهل ، حدثنا عبد الله بن يوسف ، حدثنا يحيى بن حمزة ، حدثنا أبو عبيدة الحمصي ، عن عبد الله بن بشر ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليّ بن أبي طالب إلى خيبر فعممه بعمامة سوداء ، ثم أرسلها من ورائه ، أو قال : على كتفه الأيسر ، وتردد فيه . وربما جزم بالثاني .

ورواه أيضاً الضياء في (المختارة) على ما في (سبل الهدى والرشاد) للشامي ، وحسنه الحافظ السيوطي والسخاوي على ما نقله القاري في (المقالة العذبة) .

وقال الطيالسي في مسنده : حدثنا الأشعث بن سعيد ، حدثنا عبد الله بن بشر ، عن أبي راشد الحراني ، عن عليّ ، قال : عممني رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غدير خُمّ(١) بعمامة سدلها خلفي ، ثم قال : « إن الله عز وجل أمدني

---

(١) بضم الخاء وتشديد الميم ، موضع فيه أثبت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ولاية على عليه السلام ، بحضور الصحابة .

يوم بدر وحنين بملائكة يعتمون هذه العمة) وقال : (إن العمامة حاجزة بين الكفر والإيمان) الحديث ورواه أيضاً ابن أبي شيبة فى (المصنف) وأحمد بن منيع فى (المسند) والبيهقى فى (السنن) هكذا أيضاً ، وروى أبو نعيم فى (المعرفة) من طريق إسماعيل بن عياش عن عبد الله بن بشر عن عبد الرحمن بن عدى البهرانى ، عن أخيه عبد الأعلى بن عدى : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعا على بن أبى طالب يوم غدير خم فعممه ، وأرخى عذبة العمامة من خلفه ، ثم قال : «هكذا فاعتموا فإن العمائم سيما الإسلام وهى حاجزة بين المسلمين والمشركين» وهو مرسل جيد . وله طرق أخرى ، منها : أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، كان له عمامة تسمى السحاب فوهبها لعلى . فربما طلع فيها ، فيقول النبى صلى الله عليه وسلم «آتاكم علىّ فى السحاب» رواه ابن عدى ، وأبو الشيخ ، من حديث جعفر بن محمد عن أبيه عن جده مرسلا ، وهو ضعيف جداً : كما يقول الحافظ العراقى فى (المغنى) ، وقد ألبس النبى صلى الله عليه وسلم جماعة آخرين أعرضنا عن ذكر أحاديثهم اختصاراً ، وأما حديث الكساء فسيأتى ، ولما نقل الصفى القشاشى فى (السميط المجيد) كلام الحافظ السخاوى فى (المقاصد الحسنة) تعقبه بقوله ، وأما قوله : لم يرد : أن النبى صلى الله عليه وسلم ألبس الخرقة على الصورة المتعارفة بين الصوفية لأحد من أصحابه فليس فيه إلا نفى ورود الكيفية المخصوصة لهم ، وأما الكيفية المخصوصة من فعله صلى الله عليه وسلم ، فقد فعلها بعلىّ بن أبى طالب ، وعبد الرحمن بن عوف ، فى إلباس العمامة ، وبالعباس ، وولده ، فحصل عند كل أحد من هؤلاء كيفية . فدل على الإطلاق ، وجواز الكيفية بعد ثبوت الإلباس بالعمامة والأنبجانية وغيرها . فنفى الكيفية كما ذكر غير قادح إذ لا يلزم من ذلك نفى أصل الإلباس بغير تلك الكيفية ، وهو ظاهر . ألا ترى أن الشيخ شهاب الدين السهروردى قد قال فى العوارف : ولا خفاء بأن لبس الخرقة على الهيئة التى يعتمدها الشيوخ فى هذا الزمان ، لم تكن فى زمان رسول

الله صلى الله عليه وسلم ، وهذه الهيئة والاجتماع لها . من استحسان الشيوخ . اه ، مع أنه لم يذكر هذا الكلام إلا بعد ما روى حديث أم خالد بسنده المثبت لأصل اللبس بكيفية ما ، مع أنه مخرج فى الصحيح ، فظهر أن عدم ورود الكيفية المخصوصة لا ينافي ورود أصل اللبس بغير تلك الكيفية . على أنه قد ثبت تعدد الإلباس منه صلى الله عليه وسلم بكيفيات مختلفة كما مر ، وهو دليل على أن الأمر فيه سعة ، وليس محصوراً فى كيفية خاصة . ولا فى ثوب خاص ، ولا مختص بالذكر ، ولا بالأنثى ، ولا بالصغير ، ولا بالكبير ، فقد مر أنه ألبس عليّ وابن عوف العمامة ، وأرخى للأول طرفها ، وللثانى طرفيها ، وكلاهما كيفية ، وثبت فى حديث أم خالد ، أنه ألبسها خميصة سوداء صغيرة بيده ، وقال : (أبلى وأخلقى) وثبت فى حديث ابن عباس عند الترمذى أنه صلى الله عليه وسلم ألبس عباساً وولده كساء ، ودعا لهم . وإذا ثبت ذلك، وأنه كان يفعل بما أراه الله بنور النبوة ما هو اللائق بالحال والشخص والثوب ، فكذلك الشيخ الوارث له أن يفعل ما أراه الله بنور الولاية لائقاً بحال الشخص وزمانه ومكانه ، وهو فى كل ذلك متبع للسنة ، لما عرفت من عدم الحصر فى كيفية ، والله أعلم . وحيث أن الخرقة كما قال السهروردى فى (العوارف) عتبة الدخول فى الصحبة . والمقصود الكلى هو الصحبة، وبالصحبة يرجى كل خير للمريد اهـ . كان الظن بهم أنهم ما اختاروا هذه الهيئة ، إلا لكونها فى زمانهم أنفع للمريد ، فيما هو المقصود منه ، من التخلق بأخلاقهم ، والتأدب بآدابهم ، وكل ما يكون وسيلة إلى المطلوب فهو مطلوب ، وإن لم يكن وارداً بخصوصه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اهـ . وفيه اعتراف منه بحدوث إلباس الخرقة ، وأنه لم يكن فى السلف الصالح إلا الصحبة والاقتداء ، كما قال السهروردى والشيخ الأكبر فى (الفتوحات المكية) ولكن القشاشى لما نقل كلامه تعقبه بما قدمناه سابقاً وتعقبناه والعلم عند الله تعالى .

فصل

الوجه الثانى : من أوجه الرد على ابن تيمية فى قوله : فأين الحقائق القلوبية من لباس الأبدان ؟ إن القائلين بالخرقة من الصوفية لم يجعلوها أصلا فى طريقهم حتى تكون هى الغاية المقصودة ، والنتيجة المطلوبة ، بل جعلوها علامة على الدخول فى طريقهم . والانخراط فى سلكهم ، كما يجعل الملوك الخلع علامة على الولاية ، ولباس الجند علامة على الدخول فى الجندية . وخدمة الدولة ، والمقصود منها إعطاء البيعة على التوبة والإقلاع عن المعاصى ، والإقبال على الآخرة بالعمل الصالح ، والإعراض عن الدنيا بالزهد فيها ، وترك التشوف إليها ، والاشتغال عنها بذكر الله وعمارة الوقت بطاعته ، كما هو شأن أهل تلك الخرقة والمرقعة ، قال الشيخ الأكبر فى رسالة (نسب الخرق) بعد مقدمة ستأتى : ولما تقرر هذا فى نفوس أهل الله ، أرادوا أن يجمعوا بين اللبستين ، ويتزينوا بالزينتين ليجمعوا بين الحسنيين فيثابوا من الطرفين ، فسنوا لباس هذه الخرقة على الهيئة المعلومة عندهم ، ليكون تنبيهاً على ما يريدونه من لباس بواطنهم ، وجعلوا ذلك صحبة وأدباً . اهـ .

وقال السهروردى فى (عوارف المعارف) : لبس الخرقة ارتباط بين الشيخ وبين المريد ، وتحكيم من المريد للشيخ فى نفسه . والتحكيم سائغ فى الشرع لمصالح دنيوية ، فماذا ينكر المنكر للبس الخرقة على طالب صادق فى طلبه ، يتقصد شيخاً بحسن ظن وعقيدة ، يحكمه فى نفسه ؛ لمصالح دينه يرشده ويهديه ، ويعرفه طريق المواجيد ، ويبصره بآفات النفوس ، وفساد الأعمال ، ومداخل العدو ، فيسلم نفسه إليه ، ويستسلم لرأيه واستصوابه فى جميع تصاريفه ، فيلبسه الخرقة إظهاراً للتصرف فيه فيكون لبس الخرقة علامة التفويض والتسليم ودخوله فى حكم الشيخ دخوله فى

حكم الله تعالى وحكم رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، وإحياء لسنة المبايعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . أخبرنا أبو زرعة قال : أخبرنى والدى الحافظ المقدسى ، قال : أنا أبو الحسين أحمد بن محمد البزار ، قال : أنا أحمد بن محمد أخى ميمى ، قال : ثنا يحيى بن محمد بن صاعد ، قال : ثنا عمرو بن علىّ قال : سمعت عبد الوهاب الثقفى ، يقول : سمعت يحيى بن سعيد ، يقول : ثنى عبادة بن الوليد ابن عبادة بن الصامت ، قال : أخبرنى أبى عن أبيه ، قال : بايعنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره ، وأن لا ننازع الأمر أهله . وأن نقول بالحق حيث كنا ، ولا نخاف فى الله لومة لائم ، ففى الخرقة معنى المبايعة والخرقة عتبة الدخول فى الصحبة ، والمقصود الكلى هو الصحبة . وبالصحبة يرجى للمريد كل خير . اه .

وقال الإمام العارف نجم الدين البكرى بعد الاستدلال للخرقة ، بحديث الكساء : وهذه حقيقة الخرقة فإنها علامة الانسلاك فى سلك التطهير والتنوير . وقال العارف ابن عراق فى رسالته فى الخرقة : واعلم أن أخذ العهد ولبس الخرقة وإرسال العذبة ، قد استحسنها السلف الصالح ، فمن أجلهم سيدى الشيخ عبد القادر الجيلى قدس الله سره ، قال : الأصل فى أخذ العهد ولبس الخرقة عندى ، والله أعلم : أن المريد يوسم بزى أهل الخير حتى يستحى بسبب لبس الخرقة فلا يرجع إلى ما كان فيه من الذنوب ، فهى قيد له عن الدخول فيما لا يليق به . اه .

وقال العلامة الأمير فى (فهرسته) : واعلم أن الخرقة وعلم الراية والحزام ونحو ذلك ، ليست هى المقصود الأصلى من الطريق ، بل مدار أصل الطريق مجاهدة النفس وإلزامها بالشريعة والسنة المحمدية فى الباطن والظاهر ، ولذلك لما سئل الإمام مالك رضى الله عنه عن علم الباطن ؟ قال للسائل : اعمل بعلم الظاهر يورثك

الله علم الباطن . لكن مستند القوم أن جهاد النفس هو الجهاد الأكبر ، وقد ورد تعميم النبي صلى الله عليه وآله وسلم لبعض أصحابه فى الجهاد ، وعقده اللواء له اغتفاره إنشاد الشعر والتبختر بين الصفين ، كما قال : (إنها لمشية يبغضها إلا فى مثل هذا الموضع) وجعل الشعار فى القوم ليجتمع بعضهم على بعض ، فكذلك القوم تبركوا بإلباس الخرقة ، وإنما الأعمال بنياتها ونشروا الأعلام ، واغتفروا هز الجسم فى الذكر والإنشاد ، إعانة على المجاهدة وليجتمع بخرقتهم أصحاب طريقتهم الذين هم يتعاونون بحال واحد ، من غير عصبية ولا بغض لغير خرقتهم ، بل على حد ما قيل :

فنادمنى بمثل لسان حالى   تربحنى واطرب من قريب

والمدعون اليوم افسدوا الأوضاع ، واقتصروا على الصور الظاهرية .

واعلم بأن طريق القوم دارسة

وحال من يدعيها اليوم كيف ترى ؟

فالمقصود من الخرقة ما وراءها . لا مجرد لباسها ، ولذلك شرطوا على لابسها للارادة والتحكيم شروط السير والسلوك ، قال الشيخ الأكبر فى رسالة (نسب الخرقة) أما بعد : فإن مما جاء به الرسول الكريم من العلى الحكيم فى الكتاب المنزل الذى هو القرآن العظيم : (يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يوارى سوآتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير) فالضرورى من اللباس الظاهر ما ستر السوآت ، وهو لباس التقوى من الوقاية ، والرياش ما يزيد على ذلك مما تقع به الزينة التى هى زينة الله التى أخرج لعباده من خزائن غيوبه ، وجعلها خالصة للمؤمنين فى الحياة الدنيا ويوم الإقامة فلا يحاسبون عليها . وإذا لبسوها وتزينوا بها من غير هذه النية ، ولا هذا الحضور ، ولبسوها فخراً وخيلاء ، فتلك زينة الحياة الدنيا ، فالثوب واحد ، ويختلف الحكم عليه باختلاف المقاصد ، ثم أنزل

فى قلوب العباد لباس التقوى ، وهو خير لباس ، وهو على صورة لباس الظاهر سواء فمنه لباس ضرورى يوارى سوأة الباطن وهو تقوى المحارم مطلقا ومنه ما هو مثل الريش فى الظاهر ، وهو لباس مكارم الأخلاق ، مثل نوافل العبادات ، كالصفح والإصلاح ، وإن كان الشارع قد أباح لك أخذ حقك ولكن تركه مما يزين به الرجل فى باطنه ، فهى زينة الله فى الباطن ، وهو كل لباس ندبك الشارع إليه ، فقد تحقق لباس الباطن أنه على صورة الظاهر شرعاً ، وكما يختلف الظاهر بالمقاصد والنيات ، كذلك يختلف لباس الباطن بالغيات والمقاصد ، ولما تقرر هذا فى نفوس أهل الله أرادوا أن يجمعوا بين اللبستين ويتزينوا بالزينتين ، ليجمعوا بين الحسنيين فيثابوا من الطرفين ، فسنوا لباس هذه الخرقة على الهيئة المعلومة عندهم ، ليكون تنبيها على ما يريدونه من لباس بواطنهم ، وجعلوا ذلك صحبة وأدباً وأصل هذا اللباس عندى على ما ألقى فى سرى أن الحق لبس قلب عبده المؤمن . قال : ما وسعنى أرضى ولا سمائى ، ووسعنى قلب عبدى المؤمن . فإن الثوب وسع لابسه فظهر الجمع بين اللبستين فى زمان الشبلى وابن خفيف إلى هلم جرا ، فجرينا على مذهبهم ، فلبسناها من أيدى مشايخ جمة سادات ، بعد أن صحبناهم وتأدبنا بأدبهم ، ليصح اللباس ظاهراً وباطناً ، فذكر جملة ستأتى ، ثم قال :

وشروط هذه الخرقة المعروفة على صورة ما أظهرها الحق من ستر السوأة . فتستر سوأة الكذب بلباس الصدق ، وتستر سوأة الخيانة بلباس الأمانة ، وسوأة الغدر بلباس الوفاء ، وسوأة الرياء بخرقة الإخلاص ، وسوأة سفا سف الأخلاق بخرقة مكارم الأخلاق ، وسوأة المذام بخرقة المحامد ، وكل خلق دنى بخرقة كل خلق سنى ، وترك الأسباب بتوحيد التجريد ، والتوكل على الأكوان بالتوكل على الله ، وكفر النعمة بشكر المنعم ، ثم تتزين بزينة الله . من ملابس الأخلاق المحمودة ، مثل الصمت عما لا يعنيك ، وغض البصر عما لا يحل النظر إليه ،

وتفقد الجوارح بالورع ، وترك سوء الظن بالناس ، وتصفح ما مضت به الأيام من أفعالك وما سطرته أقلام الكتبة الكرام عليك ، والقناعة بالموجود ، وعدم التشوف إلى طلب المزيد إلا من أفعال الخير ، وتفقد أخلاق النفس ، ومعاهدة الاستغفار ، وقراءة القرآن ، والوقوف مع الآداب النبوية ، وتعرف أخلاق الصالحين ، والمنافسة فى الدين ، وصلة الرحم ، وتعاهد الجيران بالرفق ، وبذل العرض ، وقد رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك بقوله : « ألا يستطيع أحدكم أن يكون كأبى ضمضم ؟ كان إذا أصبح يقول : اللهم إنى تصدقت بعرضى على عبادك » وسخاوة النفس وهو أن يبذلها فى قضاء حوائج الخلق ، وصنائع المعروف ، مع الصديق والعدو ، والتواضع ، ولين الجانب ، واحتمال الأذى ، والتغافل عن زلل الإخوان ، وعدم الخوض فيما شجر بين الصحابة ، ومن تقدم من الأكابر ، وترك مجالسة الغافلين ، إلا أن نذكرهم ، أو نذكر الله فيهم ، والكف عن الخوض فى الاعتراض فى آيات الله ، وترك الطعن على الملوك والمذنبين من أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وترك الغضب إلا عند انتهاك محارم الله ، وترك الحقد والغل من الصدور ، والصفح عن المسيء ، وهو أن لا تغضب لنفسك ، وإقالة عثرات أهل المروآت ، ذوى الهيئات والإبقاء على أهل الستر ، وتعظيم العلماء ، وأهل الدين ، وإكرام ذى الشيبة ، وإكرام كريم القوم ، كانوا من كانوا ، من مسلم أو كافر ، كل ذلك على الحد المشروع مما يجوز لك أن تكرم به ذلك الشخص ، وحسن الأدب مع الله تعالى ، ومع كل أحد من حى وميت ، وحاضر وغائب ، ورد الغيبة عن عرض المسلم ، وإيَّاك والتصنع ، والتشدق فإن كثرة الكلام يؤدى إلى سقطه ، وتوقير الكبير ، والرفق بالضعيف ، والرحمة بالصغير ، وتفقد المحتاجين ومواساتهم ، بالبر والصلة ، وميسور القول ، والهداية ، وقرى الضيف ، وإفشاء السلام ، والتحبب إلى الناس على الحد المشروع ، ولا تكن لعَّاناً ولا طعَّاناً ولا عيَّاباً ولا سخاباً ، ولا تجزىء

أحداً بالسيئة فى حقك ، إلا إحساناً ، والنصيحة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولأئمة المسلمين وعامتهم ، ولا تنتظر الدوائر بأحد ، ولا تسب أحداً من عباد الله على التعيين من حى ولا ميت ، فإن الحى لا يعرف إن كان كافراً بما يختم له ؟ وإن كان مؤمناً بما يختم له ؟ ولا تعير أحداً من أهل الشهوات بشهواتهم ، ولا ترد الرياسة على أحد ، ولا تواطىء[1] عقبك خدمة عن أمرك ، وإياك أن تترك الناس أن يبولوا فى أذنك بنقل ما يسوءك عنك ، وعن غيرك ، ولتحب المؤمنين كلهم مسيئهم إليك ومحسنهم ، لحبهم الله ورسوله ، ولا تبغضهم لبغضهم إياك ، أو من[2] كان غير الله ورسوله . فبهذا أوصانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فى رؤيا رأيتها فى حق شخص وقع فى بعض شيوخى ، فأبغضته ، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام ، وقال لى : لم أبغضت فلاناً ؟ فقلت له : لبغضه ووقوعه فى شيخى ، فقال عليه الصلاة والسلام : ألست تعلم أنه يحب الله ويحبنى ؟ قلت له : بلى ، قال : فلم لا تحبه بحبه إياى ؟ وأبغضته لبغضه شيخك ؟ فقلت له : يا رسول الله من الساعة فما أحسنك من معلم ! لقد نبهتنى على أمر كنت عن مثله غافلا . ولا تفرح بما ينتشر فى العامة من ذكرك بما تحمد ، وإن كنت عليه ، فإنك لا تدرى هل يبقى عليك ؟ أو يسلب عنك ؟ ولا تتميز بين المؤمنين بخلق غريب محمود يعرف منك ، إلا إن كنت ممن يقتدى به ، ولا تظهر الخشوع فى ظاهرك بجمع أكتافك وأطرافك إلى الأرض ، إلا أن تكون فى باطنك كذلك ، ولا تحب التكاثر من الدنيا ، ولا تبالى بجهل من جهل قدرك ، بل لا ينبغى أن يكون لنفسك عندك قدر ، ولا ترغب فى إنصات الناس لكلامك ،

---

(١) أى لا تدع خادماً لك يمشى خلفك , فان ذلك شأن المتكبرين والجبارين .

(٢) أى أو بعضهم أى أحد كان ، غير الله ورسوله . فلا يستحق البغض إلا من أبغضهما ، وأبغض ما يتعلق بهما.

ولا تجزع من الجواب بما لا يسرك فى حقك ، واصبر للحق ومع الحق ، (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا ، وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) وانصف من نفسك . ولا تطلب الإنصاف من أحد فى حقك ، وسلم على المؤمنين ابتداء ، ورد السلام على من سلم عليك ، وإياك والطعن على الأغنياء إذا بخلوا ، وعلى أبناء الدنيا إذا تنافسوا فيها ، ولا تطمع فيما فى أيديهم ، وادع للملوك وولاة الأمر ، ولاتدع عليهم . وإن جاروا ، وجاهد نفسك وهواك ، فإنه أكبر أعدائك ، ولا تكثر الجلوس فى الأسواق ولا المشى فيها ، وكف ضررك عن أئمة الدين ، واترك الشهادة على أهل القبلة بما يؤدى عندالسامعين إلى الخروج عنها ، وعليك بالإمساك عن الخوض فى الأموات ، فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا ، وترك المراء فى القرآن والقدر ، وترك مجالسة أهل الأهواء والبدع القادحة فى الدين ، وعليك بإخراج الحرص والحسد والعجب من قلبك ، بأن تصرف هذه الصفات فى غير مواطنها المشروعة . وعليك بالدخول فى الجماعة ، فإن الذئب لا يأكل إلا القاصية ، وإياك والعجلة فى أمرك ، إلا فى خمس : فى الصلاة لأول وقتها ، والحج عند وجود الاستطاعة ، وتقديم الطعام للضيف قبل الكلام ، وتجهيز الميت ، وتجهيز البكر إذا أدركت(١) ، وبذل المجهود فى نصح عباد الله من مسلم وكافر ومشرك ، وقطع أسباب الغفلة ، والمحافظة على إقامة الصلوات ، وتحسين نشأتها، والقيام على النفس بالحسبة ، والخروج من الجهل لطلب العلم ، وأن تستوصى بطالب العلم خيراً ، والندم على التفريط فى استعمال الخير ، والتجافى عن الشهوات ، ودار الغرور ، واعتقاد مقت النفس ، فإن النفس فى اعتقاد أهل الله كل خاطر مذموم،

---

(١) يضاف إليها التوبة وأداء الدين إذا حل أجله .

ورد المظالم ، وإصلاح الطعمة ، والسعى فى إصلاح ذات البين ، فإن الله تعالى يصلح بين عباده يوم القيامة ، وإسقاط الريب ، والحذر الدائم والخشية ، والهم فى الله ، والحب والبغض فى الله ، والمودة فى قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وموالاة الصالحين ، وكثرة البكاء ، وَالتضرع إلى الله تعالى ، وَالابتهال ليلا ونهاراً ، والهرب من طريق الراحات ، وَالتذلل فى كل حال إلى الله تعالى ، ومراقبة الكمد وتنغيص العيش، بالفكر فيما يتعين عليك من شكر المنعم فيما أنعم به عليك، والقصد إلى الله تعالى فى كل حال، وَالتعاون على البر والتقوى ، وإجابة الداعى ، ونصرة المظلوم، وإجابة الصارخ ، وإغاثة الملهوف،وتفريج الكرب عن المكروب، وصوم النهار ، وقيام الليل ، وإن كان بالتهجد فهو أولى ، وذكر الموت ، وتعاهد زيارة القبور ، وأن لا تقول وأنت فيها هجراً ، والصلاة على الجنائز ، واتباعها ، إن كنت ماشياً فأمامها ، وإن كنت راكباً فمن خلفها ، ومسح رءوس اليتامى ، وعيادة المرضى ، وبذل الصدقات ، ومحبة أهل الخير ، ودوام الذكر ، والمراقبة ومحاسبة النفس على أفعالها الظاهرة والباطنة ، والأنس بكلام الله، وأخذ الحكمة من كلام كل متكلم ، بل من نظرك فى كل منظور ، والصبر على أحكام الله ، فإنك بعينه ، كما قال لك :(واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا) والإيثار لأمر الله ، والتعرض لكل سبب يقرب إلى الله تعالى ، واستفراغ الطاقة فى محاب الله ومراضيه ، والرضا بالقضاء ، لا بكل مقضى ، بل بالقضاء به ، وتلقى ما يرد من الله تعالى بالفرح ، وموالاة الحق بأن تكون معه ، فإن الله مع عباده أينما كانو ، ودر مع الحق حيثما دار ، والتبرى من الباطل ، والصبر فى مواطن الامتحان ، والزهد فى الحلال ، والاشتغال بالأهم فى الوقت ، وطلب الجنة بالشوق إليها ، لكونها محل رؤية الحق تعالى ، ومجالسة أهل البلاء بالاعتبار ، ومحادثة المساكين ، والقعود معهم فى محال فقرهم ، ومعونة من يطالبك حاله بإعانته ، وسلامة الصدر والدعاء للمسلمين بظهر الغيب ، وخدمة الفقراء ، وأن تكون مع الناس على نفسك ، فإنك

إذا كنت عليها فأنت لها ، والسرور بصلاح الأمة ، والغم بفسادها ، وتقديم من قدمه الله ورسوله ، وتأخير من أخره الله ورسوله فيما قدمه ، وفيما أخره ، فإذا لبست هذه الملابس ، صح لك أن تقعد فى صدور المجالس عند الله تعالى ، وتكون من أهل الصفوف الأولى ، فهذه ملابس أهل التقوى التى هى خير لباس ، فاجهد أن تكون هذه ملابسك ، أو أكثرها فعليه الجماعة ، وعليه ألبس شقيق البلخى حاتم الأصم وأمثاله ، ولم يكن به صمم ، وإنما كلمته امرأة ، فخرج منها صوت يعنى ضرطت ، فخجلت من الشيخ ، فقال لها وهى تحدثه : ارفعى صوتك جداً ، يظهر أنه لا يسمع فزال خجلها ، وقالت : ما سمعنى فسمى لذلك حاتم الأصم . فعلى مثل هذه الأخلاق درجوا ، وهى لباسهم وحليهم ، وعليها لبست وألبست من ألبسته لله الحمد على ذلك اهـ . كلام الشيخ الأكبر رضى الله عنه ، وقد ذكر غيره شروطاً أخرى للبس الخرقة تركنا ذكرها اختصاراً مع أنها فى الحقيقة راجعة إلى ما ذكره الشيخ الأكبر رضى الله عنه ، وهى شروط جامعة لجميع خصال الخير ، وأصول طريق القوم ، وهى المقصود من الخرقة المروية عن علىّ عليه السلام ، لا مجرد لباس الأبدان ، كما يقوله ابن تيمية عدو أهل الله ، وآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فصل

ويؤيد ذلك كون الخرقة متعددة ، بتعدد الشيوخ المؤسسين للطرق ، ومختلفة باختلاف مشاربهم فى التربية والتسليك ، من تشديد وتخفيف ، وتنويع للعبادة والأوراد والوظائف والأذكار ، مع اختلاف فى الكيفيات ، واختيار للخلوات ، بحسب ما أداهم إليه النظر والاجتهاد ، وما تلقاه كل شيخ ، وسلك عليه ، وحصل له به الفتح والوصول إلى الله تعالى ، ولو كان القصد مجرد اللباس لما وقع هذا الاختلاف مع اتحاد السند والمخرج ، كما لم يقع ذلك فى المصافحة والمشابكة

وغيرها من المسلسلات المروية بقصد التبرك ، لأن المراد من المصافحة عينها ، وهى غير مختلفة إلا من جهة الإسناد والنسبة ، إلى من رويت من طريقه ، كالأويسية والخضرية والمعمرية الملثمية والحبشية وغيرها ، بخلاف الخرقة . فإن المراد شروطها وأصولها وهى مختلفة باختلاف شيوخها ، كاختلاف المذاهب إلى مالكى وشافعى وحنبلى وحنفى وظاهرى وأوذاعى وثورى وجريرى وزيدى وأمامى وغيرها . مع اتحاد الدين والشريعة والكتاب والسنة والإمام الأعظم الذى يستقى منه الجميع وينتهى إليه استناد الكل ، وهو النبى صلى الله عليه وآله وسلم .

فكذلك اختلفت الطرق المعبر عنها فى اصطلاح المتأخرين بالخرق إلى شاذلية وقادرية ورفاعية وسهروردية وخلوتية ونقشبندية وجشتية وكبروية ومولوية وعيدروسية وغيرها .

مما هو معروف مع اتحاد السند والمخرج الذى هو علىّ بن أبى طالب عليه السلام ، واتحاد الأصل والمنبع الذى هو سيد الأكوان صلى الله عليه وآله وسلم لا يقال : فلعل اختلاف أسماء الخرق لاختلاف أسماء الشيوخ المروية من طريقهم كاختلاف أسماء المسلسل بالمصافحة . لأن المصافحة ليس لها شرط أصلا ، وشروط الخرق معروفة مفردة بالمؤلفات من أئمة كل طريق ، وذلك دليل قاطع على أن المراد بالخرق شروطها ، وأصول السير والسلوك فى كل طريق .

فصل

ويؤيد ذلك أيضاً اختلافهم فى التعبير عن المروى بسند الخرقة . فبعضهم يروى به : الخرقة واللباس ، وبعضهم يروى : الصحبة والاقتداء ، وبعضهم يروى به : الأدب والسلوك ، وبعضهم يروى التلقين ، بالنون أى تلقين الذكر ، وبعضهم يروى به : التلقيم بالميم ، أى كل واحد أطعم من دونه وجعل فى فيه لقمة ، وبعضهم يروى به : المصافحة ، وبعضهم يروى به : البيع وأخذ العهد ، وبعضهم يعبر بالأخذ ولا يذكر بيعه ، وبعضهم يجمع الجميع فيقول : لبست وتلقنت

وصاحبت واقتديت بفلان ، كما لبس هو وتلقن وصحب واقتدى بفلان . وبعضهم يروى به الأسماء الأدريسية الأربعين . فالسند واحد من جهة الحسن البصرى عن علىّ عليه السلام ، وأكثره من طريق الجنيد عن خاله السرى عن معروف الكرخى بسنديه المعروفين ، والمروى به مختلف بالتعبير عنه ، وإن كان المراد به واحداً ، وهو مطلق الأخذ وانتفاع التلميذ من الشيخ واستفادة الأدنى من الأعلى ، إلا أنها لما كانت الاستفادة مختلفة وطرقها متنوعة ، عبر كل واحد بحسب طريقه واستفادته ، كما أن الشريعة واحدة ، والسنة المنقولة عن النبى صلى الله عليه وسلم متحدة ، ولما كانت طرق استفادة الأحكام منها مختلفة باختلاف أصول الأئمة وأفهامهم.

روى كل فريق عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم مذهبهم الخاص المنسوب إلى إمامهم مالك أو الشافعى أو ابن حنبل أو أبى حنيفة أو غيرهم ، مع أن المنقول عنه واحد ، وهو الكتاب والسنة ، فكذلك أهل الخرق ، فمن صحب شيخاً وسلك على يديه حتى فتح له ، روى عنه بطريق الصحبة والاقتداء ، ومن صحب شيخاً وتأدب بأدبه ، ولم يسلك على يديه عبر بقوله تأدبت بفلان ، ومن كان أول دخوله الطريق بلباس الخرقة عبر باللباس ، ومن كان أول دخوله بتلقين الذكر ، روى الإسناد باسم التلقين ، ومن اجتمع بشيخ عارف وتبرك به وأطعمه لقمة ، روى عنه التلقيم . ومن أخذ عنه طريقة الأسماء والاختلاء بها روى عنه الأسماء . فاختلفت جهات النفع والاستفادة مع اتحاد السند والمخرج ، وهذا وإن كان فيه تساهل على طريقة أهل الحديث من جهة عدم تعيين المروى وتحديده ، إلا أنه غير معتبر عند الصوفية كل ما هو معتبر عند الفقهاء والمحدثين ، ولكل قوم اصطلاح يخصهم ، وأصول يعتمدون عليها فى فنهم ، فلا يعترض على الصوفية باصطلاح المحدثين ، كما لا يعترض على المحدثين باصطلاح الصوفية ، على أن الواقع فى سند القوم ليس منكراً ولا مردودا على طريقة المحدثين أيضاً ، لأنه من باب الرواية بالمعنى التى لا يكاد يخلو منها حديث ، لا سيما الطوال ، إلا على سبيل

الندرة ، وكم حديث فى الصحيح مخرجه واحد[١] وألفاظ متعددة متباينة ، مع قيام الدليل على أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، لم ينطق بذلك الحديث إلا مرة واحدة فى قصة واحدة ، مما يستحيل معه أن يكون النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، نطق بجميع تلك الألفاظ ، لا سيما مع اتحاد الراوى عنه ، بل كثيراً ما يقع مثل هذا الاختلاف بالنسبة إلى شيخ واحد كالزهرى وشعبة ومالك والثورى ، فيروى الحديث عن واحد منهم عشرة من أصحابه أو ثمانية وكل واحد منهم يذكره بلفظ مخالف للآخر . إما فى النقص والزيادة ، وإما فى الألفاظ التى يختلف الحكم باختلافها ، ومع ذلك يحكم أهل الحديث بصحة الجميع ، أو قبوله .

فسند أهل الطريق من ذلك القبيل ، بل هو أقرب إلى الصحة وأولى بالقبول ، لعدم ترتب الأحكام الشرعية عليه من جهة ، وكونه متفقاً فى المعنى من جهة أخرى . وقد قرر علماء الأصول أن الخبر إذا تعددت قيوده ، يحمل على المطلق عكس ما إذا لم تعدد القيود فإن المطلق حينئذ يحمل على المقيد بقيد واحد ، كما حلوا

---

(١) كحديث « إنما الاعمال بالنيات » روى هكذا . وروى « الاعمال بالنيات » وروى « العمل بالنية » وروى « وإنما لامرىء مانوى » وروى « وإنما لكل امرىء مانوى » وروى « ومن كانت هجرته إلى امرأة يتزوجها » وروى « ينكحها » مع أن مخرجه من طريق علقمة بن وقاص الليثى عن عمر رضى الله عنه . لم يرو فى الصحيحين وغيرهما بالسند الصحيح الامن هذا الطريق . وكحديث « بنى الاسلام على خمس » روى بتقديم الصيام على الحج ، وبالعكس . وهو فى الصحيحين فى رواية السكسكى عن ابن عمر رضى الله عنهما . وحديث الحوفى ، روى بلفظ « ليذادن رجال » « قوم » رهط « اناس » وكلها فى الصحيحين . بل من الرواية بالمعنى مايحكيه القران الكريم من أقوال الرسل والامم السابقة الذين لم تكن لغتهم العربية ، ولهذا جوز الجمهور رواية الحديث بالمعنى ، للعالم بمدلولات الالفاظ ، وبما لايحيل المعنى . إلا ماتعبد بلفظه كالاذان والأقامة فلا تجوز روايته بالمعنى . ومع هذا فقد كان الامام مالك يتشدد فى رواية الحديث فى الياء والتاء ونحوهما . حكاه عنه الترمذى فى العلل باسناد صحيح وكان على طريقته فى التشديد الامام أحمد وكثير فى الحفاظ .

فى حديث الابتداء بالبسملة الوارد بلفظ (الحمد) ولفظ (البسملة) ولفظ (الصلاة على النبى صلى الله عليه وآله وسلم) ولفظ (الذكر) فقالوا : تحمل الروايات المقيدة على المطلقة وهى ذكر الله تعالى ، لاشتمالها على جميع الروايات المقيدة وهكذا ، سند القوم ، فإن مقيده يحمل على مطلقه ، وهو الأخذ الشامل لجميع الأنواع .

فصل

بل صرحوا بأن المراد من الخرقة هو الصحبة سواء كان هناك إلباس خرقة أم لا . وقالوا : إن التعبير من زمن النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى الجنيد ، كان بلفظ : الصحبة ، ومن بعده صار يستعمل لفظ : الخرقة واللباس ، مكان الصحبة والاقتداء . والجميع صحبة ، وإنما اختلف التعبير باختلاف الأزمان ، وتغير الأحوال ، والأعراف ، كما كان يعبر فى السلف الصالح عن العلم بالفقه ، ثم صار التعبير بالفقه خاصاً بالفروع التى استنبطها الأئمة ، وكانت السنة تشمل ما هو أعم من الفرض والمندوب ، ثم خصها اصطلاح أهل الفقه والأصول بما ليس بواجب وكم لهذا من نظير ، وقع كثير من الفقهاء بسبب الجهل به فى أغلاط فاحشة فى الفقه والفتوى ، كما نبه عليه القرافى فى الفروق ، وابن القيم فى إعلام الموقعين ، والشوكانى فى نيل الأوطار ، وآخرون .

فصل

الوجه الثالث : أن الصوفية الذين اتخذوا الخرقة (مع كونهم جعلوها عتبة للدخول فى الطريق وعلامة على بداية الصحبة والاقتداء) لم يكن ذلك أيضاً مجرد قصدهم ، بل قصدوا ما يقترن باللباس من سريان حال الشيخ وبركته وسره إلى المريد ، وتلبسه بعده بحال لم يكن على مثلها من قبل ، فيكون ذلك سببا فى جذب قلبه إلى الطريق ، وتعلقه بالله ، ورغبته الكلية الصادقة فى السلوك ، وإعراضه عن الدنيا وشهواتها ، وقد يفتح عليه بالعلوم الوهبية ، والمعارف الإلاهية بمجرد الإلباس ، واتصال شىء من الشيخ بالمريد ، متى كان الإستعداد حاصلا من

الطرفين ، كما وقع لكثير من الأولياء كأبى يعزى فإنه تفل عند احتضاره فى فم ولده يعزى ففتح عليه فى الحال ، وكسيدى محمد وفا ، فإنه لما دنت وفاته ، خلع منطقته على الإبزارى صاحب الموشحات وقال : هى وديعة عندك حتى تخلعها على ولدى على ، فعمل أيام كانت المنطقة عنده الموشحات الظريفة إلى أن كبر سيدى على ، نخلعها عليه ، فانتقل السر إلى سيدى على ، فصار الإبزارى لا يعرف شيئا ولا يقدر على قول الموشحات ، وكبهاء الدين نقشبند ، فإن سبب إقباله على الله تعالى ، كان بسبب وصول قلنسوة بعض العارفين إليه فى حكاية طويلة . وكذلك سيدى العربى الفَشْتَالى مع العارف الكبير سيدى عبد العزيز ووالدته ، وكانت ابنة أخته ، فقال لهما : هذه أمانة الله عندكما حتى يولد لكما ولد اسمه عبد العزيز ، فأعطوه هذه الأمانة ، وكانت شاشية وسباطا كتابيا أسود ، لأنه كان هو الملبوس فى ذلك الزمان ، وكان ذلك سنة تسعين وألف ، فأخذت المرأة الأمانة وصانتها فولد لها بعد ذلك بنت ، ثم بعدها ولد العارف سيدى عبد العزيز فلما كبر وبلغ الحلم ، دفعت إليه أمه الأمانة ، قال : فأخذت الشاشية وجعلتها على رأسى ، ولبست السباط فى رجلى ، فحصلت لى سخانة عظيمة حتى دمعت عيناى ، وعرفت ما قال لى سيدى العربى ، وفهمت إشارته . وكان ذلك سبب إقباله واشتغاله ، وبداية تعلقه وفتحه . وكالشيخ بابا فرج التبريزى مع نجم الدين الكبرى حيث تلبس الأول بحالة عظمت فيها صورته ، وكان يتلألأ كالشمس ، وانشق ثوبه الذى كان عليه ؛ فلما سرى عنه قام فألبس ذلك الثوب الشيخ نجم الدين الكبرى ، وكان ذلك فى أيام طلبه للحديث ، قال فتغير على الحال ، وانقطع تعلق باطنى عما سوى الحق سبحانه وتعالى ، فى كثير من أمثال هذه الحكايات التى ثبتت أصولها وشواهدها من الكتاب والسنة كقصة يوسف مع أبيه يعقوب عليهما السلام ، فإن يعقوب ارتد بصيرا بقميص يوسف عليه السلام ، إما لكونه من ثياب الجنة كما قيل ، أو لتلبس يوسف عليه السلام حين لبسه بحال تنفعل

له المكونات فيه ، فلما اتصل بيعقوب عليه السلام أثر فيه بقوة سريان ذلك الحال فارتد بصيرا ، ولو شاء الله تعالى لرد عليه بصره بدون ذلك ، ولكن اقتضت حكمته ، وسبقت إرادته ، أن تقع المسببات فى هذا الكون غالبا عن أسبابها المتنوعة إلى مادية ، وروحية وحسية ، ومعنوية ، فكذلك الشيخ الكامل ، إذا نزع ملبوسا من جسمه بعد تلبسه بالحال ، وألبسه المريد ، سرى ذلك إليه ، فارتد بصيرا بعد عمى بصيرته بالجهل وظلمة رؤية الأكوان ، وكقصة بقرة بنى إسرائيل فإن الميت ضرب بلحمها فعاد حيا بعد طول المدة ، فسر الإحياء ليس فى البقرة ولا فى لحمها ، وإنما هو فى التجلى الذى قابلها من ذات موسى ، وبواسطته عليه السلام ، وتخصيص البقرة بهذا الأمر ، وخصوصا بتلك الأوصاف ، إنما هو لنفع صاحبها البار بوالدته ، وإظهار فضل بر الوالدين . وكذلك إنفلاق البحر وانفجار الحجر بالمياه عند ملاقاة عصى موسى بهما هو أيضا من هذا القبيل ، وكذلك حديث اختصام الملأ الأعلى الذى حسنه[1] الترمذى من حديث ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأيت ربى فى أحسن صورة ، فقال لى : يامحمد . قلت : لبيك ربى وسعديك . قال : هل تدرى فيم يختصم الملأ الأعلى . قلت : لا أدرى فوضع يده بين كتفى حتى وجدت بردها بين ثديى . أو قال فى نحرى فعلمت ما فى السموت وما فى الأرض ، أو قال ما بين المشرق والمغرب ، قال : يامحمد أتدرى فيم يختصم الملأ الأعلى ، قلت نعم فى الدرجات والكفارات ونقل الأقدام إلى الجماعات وإسباغ الوضوء فى السبرات وانتظار الصلاة بعد الصلاة ومن حافظ عليهن عاش بخير ومات بخير وكان من ذنوبه كيوم ولدته أمه الحديث وفى رواية أحمد

(١) بل هو صحيح ، لأن من طرقه الكثيرة عند أحمد والبزار والطبرانى ، ماهو على شرط الصحيح ، كما فى مجمع الزوائد وللحافظ ابن رجب فى شرحه رسالة مطبوعة ، اسمها اختيار الأولى .

(فرأيته وضع كفه[١] بين كتفي حتى وجدت برد أنامله في صدري فتجلى لي كل شيء وعرفت) ومن هذا حديث علي عليه السلام قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن قاضيا ، فقلت : يا رسول الله إني شاب ، ولا علم لي بالقضاء ، فوضع يده على صدري ، وفي رواية : فضرب بيده على صدري ، وقال : (اللهم ثبت لسانه واهد قلبه) فما شككت في قضاء بين اثنين حتى جلست مجلسي هذا ، وفي رواية : فما شككت في قضاء بعد ، رواه ابن سعد في (الطبقات) وابن جرير في (تهذيب الآثار) والحاكم في (المستدرك) وقال : صحيح على شرط الشيخين ، وأقره الذهبي . وحديث أبي هريرة في الصحيح قال : حضرت مع النبي صلى الله عليه وسلم مجلس فقال : (من يبسط رداءه حتى أقضي مقالتي ثم يقبضه إليه فلن ينسى شيئا سمعه مني) فبسطت بردة علي ، حتى قضى حديثه ، ثم قبضتها ، فوالذي نفسي بيده ، مانسيت[٢] شيئا سمعته منه بعد ، وحديث الكساء السابق إذا جلل به النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة والحسن والحسين وأباهما عليا عليهم السلام ، فإن السر فيه هو ما فاض فيه النبي صلى الله عليه وسلم من المعارف والإسرار والعلوم

---

(١) من سقطات ابن تيمية ـ وما أكثر سقطاته ـ دعواه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم اتخذ العذبة صبيحة الليلة التي رأى فيها هذه الرؤية ليغطي موضع كف الله من كتفه ! ! وهذا هو التجسيم بعينه ، تعالى الله عنه علوا كبيرا . وليس معنى وضع الكف أو اليد (منه سبحانه) إلا عبارة عن التجلي الخاص بصفة العلم ، لأن الرؤيا من عالم المثال الذي تظهر فيه المعاني بصور محسوسة ، وهذا كما أول النبي صلى الله عليه وسلم رؤيا شرب اللبن ، بالعلم ولبس القميص بالدين . أما العذبة فهي عادة عربية ، كالعمامة . كان العرب يستعملوها لمصالح ، منها اتقاء حر الشمس وسن لنا لبسهما . لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم استعملها ، وحض عليهما .

(١) أراد مروان وهو وال على المدينة من قبل معاوية أن يختبر حفظ أبي هريرة فدعاه ، فسأله عن حديث ، فحدثه به فكتبه من غير علمه ، وبعد سنة ، دعاه ، وزعم له أنه نسي الحديث ، فحدثه به ثانيا : فعرضه على ما كتبه ، فوجده لم يخرم منه حرفا .

اللدنية فأراد إيصالها إلى آل بيته الأطهار وتطهيرهم من كل رجس وجهل ودنس ولذلك لم يقبل دخول غيرهم من أزواجه صلى الله عليه وسلم معهم ، إرادة لأختصاصهم بتلك المعارف والأسرار ، فكانوا بحور العلم . وجبال المعرفة ، حتى كان الصحابة يقولون ، فى الحسن والحسين عليهما السلام وهما شابان : إن ولدى رسول الله صلى الله عليه وسلم يغران العلم(٢) غراً ، إلى غير هذا مما يطول تتبعه ، ولا يمكن استقصاؤه لا سيما من حكايات الأولياء المتواترة بنحو هذا ، قال الشيخ الأكبر فى رسالة « نسب الخرقة » ومذهبنا فى لباس مريدى التربية هو على غير ما هو عليه الأمر اليوم ، وذلك أن الشيخ المربى ينظر فى حال المريد الذى يريد أن يلبسه ، فأى حال يكون للمريد فيه نقص ، فإن الشيخ يتلبس بذلك الحال ، حتى يتحقق به ويغمره فتسرى قوة ذلك الحال فى الثوب الذى يكون على الشيخ فيجرده فى الحال ويكسوه ذلك المريد ، فيسرى فيه سريان الخمر فى أعضائه ، فيغمره ويتم له الحال وهذا اليوم عزيز ه ، وقال فى (الفتوحات المكية) فى الباب الخامس والعشرين ، بعد ما ذكر أنه كان لا يقول بالخرقة حتى رأى الخضر عليه السلام يلبسها للناس ، ما نصه : فجرت عادة أصحاب الأحوال إذا رأوا أحدا من أصحابهم عنده نقص فى أمر ، وأرادوا أن يكملوا له حاله ، يتحد به هذا الشيخ ، فإذا اتحد به ، أخذ ذلك الثوب الذى عليه فى حال ذلك الحال ، ونزعه وأفرغه على الرجل الذى يريد تكملة حاله ، ويضمه فيسرى فيه ذلك الحال ، فيكمل له ذلك الأمر فهذا هو اللباس المعروف عندنا والمنقول عن المحققين من شيوخنا .

وقال أيضا فى الفتوحات لما تكلم على أسرار الأقطاب العيسويين : منها إذا إنهم أرادوا أن يعطوا حالا من الأحوال التى هم عليها ، وهى تحت سلطانهم

---

(١) غره بالعلم ، أى لقمه إياه . يقال غر الطائر فرخه إذا زقه .

لما يرون فى ذلك الشخص من الاستعداد إما بالكشف وإما بالتعريف الإلاهى ، فيلمسون ذلك الشخص ، أو يعانقونه ، أو يقبلونه ، أو يعطونه ثوبا من لباسهم ، أو يقولون له أبسط ثوبك ، ثم يغرفون له مما يريدون أن يعطوه ، والحاضر ينظر أنهم يغرفون له من الهواء ، ويجعلونه فى ثوبه على قدر ما يجد لهم من الغرفات ، ثم يقولون له ضم ثوبك إلى صدرك ، أو ألبسه على قدر الحال الذى يحبون أن يهبوه إياها ، فبأى شيء فعلوا من ذلك ، سرى ذلك الحال فى ذلك الشخص المأمور المراد به من وقته ، لا يتأخر ، قال : وقد شكى جرير بن عبد الله البجلى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لا يثبت على ظهر الفرس ، فضرب فى صدره بيده ، فما سقط عن ظهر فرس بعد ، ونخس رسول الله صلى الله عليه وسلم مركوبا كان تحت جابر بن عبد الله ، بطيئا يمشى به فى آخر الناس ، فلما نخسه لم يقدر صاحبه على إمساكه ، وكان يتقدم على جميع الركاب ، وشكى أبو هريرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سوء حفظه ، فقال يا أبا هريرة أبسط رداءك ، فبسط أبو هريرة رداءه ، فاغترف رسول الله صلى الله عليه وسلم غرفة من الهواء أو ثلاث غرفات ، وألقاها فى رداء أبى هريرة ، وقال « ضم رداءك إلى صدرك » فضمه إلى صدره فما نسى بعد ذلك شيئا سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهذا كله من هذا المقام « ه » .

وقال السهروردى فى « عوارف المعارف » : وسر الخرقة أن الطالب الصادق إذا دخل فى صحبة الشيخ وسلم نفسه ، وصار كالولد الصغير مع الوالد يربيه الشيخ بعلمه المستمد من الله تعالى بصدق الافتقار ، وحسن الاستقامة ، ويكون للشيخ بنفوذ بصيرته ، الإشراف على البواطن . فقد يكون المريد يلبس الخشن كثياب المتقشفين المتزهدين ، وله فى تلك الهيئة من الملبوس هوى كامن فى نفسه ليرى بعين الزهاد . فأشد ما عليه لبس الناعم ، وللنفس هوى واختيار فى هيئة مخصوصة من الملبوس فى قصر الذيل والكم وطوله . وخشونته ونعومته على قدر

حسبانها وهواها ؛ فيلبس الشيخ مثل هذا الراكن لتلك الهيئة ثوبا يكسر لذلك على نفسه هواها وغرضها ، وقد يكون على المريد ملبوس ناعم أو هيئة فى الملبوس تشرئب النفس إلى تلك الهيئة بالعادة ، فيلبسه الشيخ ما يخرج النفس من عادتها وهواها ، فتصرف الشيخ فى الملبوس ، كتصرفه فى المطعوم ، وكتصرفه فى صوم المريد وإفطاره ، وكتصرفه فى أمر دينه إلى ما يرى له من المصلحة من دوام الذكر ، ودوام التنفل فى الصلاة ، ودوام التلاوة ودوام الخدمة ، وكتصرفه فيه برده إلى الكسب أو الفتوح أوغير ذلك ، فللشيخ إشراف على البواطن ، وتنوع الاستعدادات ، فيأمر كل مريد من أمر معاشه ومعاده بما يصلح له ، والمريد الصادق الملتهب باطنه بنار الإرادة فى بدء أمره ، وحدة إرادته ، كالملسوع الحريص على من يرقيه ويداويه فإذا صادف شيخا انبعث من باطن الشيخ صدق العناية به لإطلاعه عليه وينبعث من باطن المريد صدق المحبة بتألف القلوب ، وتشام الأرواح ، وظهور سر السابقة فيهما ، لاجتماعهما لله وفى الله وبالله ، فيكون القميص الذى يلبس المريد خرقة تبشر المريد بحسن عناية الشيخ به ، فيعمل عند المريد عمل قميص يوسف عند يعقوب عليهما السلام ، وقد نقل أن إبراهيم الخليل عليه السلام ، حين ألقى فى النار ، جرد من ثيابه ، وقذف فى النار عريانا ؛ فأتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة وألبسه إياه ، وكان ذلك عند إبراهيم عليه السلام ، فلما مات ورثه إسحاق ، فلما مات ورثه يعقوب ، فجعل يعقوب عليه السلام ذلك القميص فى تعويذ وجعله فى عنق يوسف فكان لا يفارقه ، فلما ألقى فى البئر عريانا جاءه جبريل ، وكان عليه التعويذ . فأخرج القميص منه وألبسه إياه .

أخبرنا الشيخ العالم رضى الدين أحمد بن إسماعيل القزوينى إجازة . قال : أنا أبو سعد محمد بن أبى العباس. قال : أنا القاضى محمد بن سعيد. قال : أنا أبو إسحاق أحمد بن محمد . قال : أخبرنى ابن فنجويه الحسين بن محمد . قال : حدثنا مخلد

ابن جعفر . ثنا الحسن بن علويه . ثنا إسماعيل بن عيسى . ثنا إسحاق بن بشر . عن ابن السدى ، عن أبيه ، عن مجاهد ، قال كان يوسف أعلم بالله تعالى من ألا يعلم أن قميصه لايرد على يعقوب بصره ، ولـكن ذاك كان قميص إبراهيم ، وذكر ما ذكرناه . قال : فأمره جبريل أن أرسل بقميصك ، فإن فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى أو سقيم إلا صح وعوفى ، فتـكون الخرقة عند المريد الصادق متحملة إليه عرف الجنة لما عنده من الاعتداد بالصحبة ، ويرى لبس الخرقة من عناية الله به وفضل من الله ، اهـ . وقال بعض من اختصر (بهجة الأسرار) للشطنوفى : واعتقادى أن المراد بالخرقة نوع من تصرف الصالحين لمن ألبسوه ذلك . كما تصرف النبى صلى الله عليه وسلم بضربه فى صدر جرير ، حتى يثبت على الفرس ، ولم يكن يثبت قبل ذلك . وأنه صلى الله عليه وسلم أخذ شيئا وأعطاه أبا هريرة ، فصار بعد ذلك لا ينسى شيئا . وكان بخلاف ذلك ، وكما ينقلون عن الشيخ على الطواسى أنه ركض اليافعى نفع الله بهما ، وحاشا الشريعة مجرد لبس الخرقة قربة موصلة إلى الله تعالى يحافظ عليها بسند ينتهى إلى رب العالمين ، وإن ألبس النبى صلى الله عليه وسلم جماعة فهو لفوائد أخر على وجه التصرف والدعاء ، ولو كان مجرد لبس الخرقة من مستحبات الشرع ، لـكان علماء الشريعة أولى بذلك فهم ورثته صلى الله عليه وسلم هـ .

وقال : العارف الشعرانى فى (مدارج السالـكين) واعلم يا أخى أن السر فى لبس الخرقة عند الـكمل من العارفين ، أنهم يخلعون على المريد الصادق جميع الأخلاق المحمدية ، حين إلباسهم له قلنسوة ، أو قميصا ، أو ينزعون منه حال أمرهم له ينزع قلنسوته مثلا ، جميع الأخلاق الردية ، فلا يحتاج المريد بعد ذلك اللباس إلى معالجة خلق من الأخلاق الشريفة ، بل تصير سجيته تعطى الأخلاق الحسنة من غير تـكلف . وأما إلباس الخرقة لغير العارفين ، فإنما ذلك تبركا وتشبها بالقوم لا غير هـ .

وقال السيد شيخ بن محمد الجفرى فى (كنز البراهين الكسبية) بعد نقل كلام فى الخرقة ما نصه : فالمريد الصادق إذا دخل تحت حكم الشيخ وصحبته ، وتأدب بأدبه ، سرى من باطن الشيخ إلى باطن المريد سر كسراج يقتبس من سراج ، قال الرداد : وقد أجمل المشايخ فى ذكر الخرقة ، فمنهم من قال : هى خرقة إرادة ، وخرقة تشبه ، وخرقة تبرك ، ومنهم من قال : هى خرقتان خرقة تعريف ، وخرقة تشريف ، ومنهم من قال : خرقة إرادة ، وخرقة تشبه ، وقال سيدى الشيخ أبو بكر العيدروس رضى الله عنه : الخرقة فى حقيقتها خرقة واحدة ، وإن تعددت بأيدى المتمسكين بها ، فإنها سبب بين الله وبين العباد ، لا تعدد حقيقة كالعروة للمتمسكين ، والحبل للمعتصمين ، وهى من حيث تفاوت الناس فى معناها لا تتناهى ، كالمناهج للسالكين ، والمعارج للمريدين ، والمدارج للعارفين ، والمباهج للمحققين ، لأنها من السبل الموصلة ، والناس فى هذه المعانى يتفاوتون على حسب ما هم به مع الحق ، وما هو به معهم ، والشيخ يد الله فى أهل إرادته ، وسره بين أهل طاعته ، قال الله تعالى : (يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه) ومن حيث رسوم الأحكام هى خرق ثلاث مجازية ، وهى خرقة التأليف ، وجوازية وهى خرقة التعريف ، وإجازة وهى خرقة التصريف ، فالمجازية للمحبيين المتشبهين ، وبها يتألفون مشاهد الطريق ، والجوازية للمريدين المتمسكين ، وبها يتعرفون شواهد الهداية والتوفيق ، والإجازية للهداة الداعين ، وبها يتصرفون فى معاقد أحكام العلم والتحقيق ، فالخرقة الأولى لطلابها رعاية ، والثانية لأصحابها هداية ، والثالثة لأربابها ولاية اهـ ، وقال السيد عيدروس بن عمر الحبشى فى (عقد اليواقيت الجوهرية) قال سيدنا عبد الله الحداد : إذا قيل فلان أخذ عن فلان ، ليس معناه أنه أخذ عنه فى كتاب ، إنما معناه أنه اقتدى به فى سيرته ، بأخلاقه وأفعاله وأقواله ، فإذا فعل ذلك ، فذلك له شيخ ، وهو له مريد اهـ ، ولبس الخرقة فى عرف السادة الصوفية واصطلاحهم عبارة عن الصحبة وأخذ العهد وتلقين

الذكر ، وحقيقته تصرف الشيخ فى المريد بل تصرفه فى قلبه ، وسريان روحه فى روح المريد ، وتربيته بالباطن ه ، وقال البديرى فى (ثبته المسمى بالجواهر الغوالى فى الأسانيد العوالى) نقلا عن العارف الشعرانى : ولا تظن يا مسكين ، أنها خرقة بلغة أو خضراء أو حمراء أو زرقاء توضع على الأكتاف ، مع وجود ارتكاب أردى الأوصاف ، وَإنما هى عبارة عن لبس يضعه على جسده الشيخ الواصل الطاهر الأنفاس برهة من الزمان ، ثم ينزعه وَيلبسه حالا لذلك المريد ، فيزول ما كان عنده من وَصف ذميم ، وَيبدل بوصف حميد ، وَخلق كريم اه .

وَقال الصفى القشاشى فى (السمط المجيد) وسر إلباس الخرقة إذا كان لبسها للإرادة لا للتبرك فقط ، أن ينظر الشيخ المربى فى حال المريد الذى يريد أن يلبسه فأى حال يكون للمريد فيه نقص فإن الشيخ يتلبس بذلك الحال ، حتى يتحقق به ، ويغمره فتسرى قوة ذلك الحال فى الثوب الذى يكون على الشيخ فيجرده فى الحال ويكسوه ذلك المريد فيسرى فيه سريان الخمر فى أعضائه فيغمره ، ويتم له الحال ، ولا عجب من أمر الله كما وقع لسيدنا يوسف عليه السلام مع أبيه يعقوب عليه السلام كما وقع للشيخ نجم الدين الكبرى مع بابا فرج التبريزى ، فذكر حكايته السابقة ، ثم قال : وهذا وإن كان عزيزا اليوم . لكن سيدنا على لكونه من أكابر الورثة المحمديين من الصحابة ، فلا ينبغى أن يشك فى أنه من أهل هذا الشأن العلى ، والفيض السارى ، والحسن البصرى أيضاً لا يليق التوقف فى كونه فى ذلك الوقت من أهل الإرادة ، الاحقاء بهذا الإلباس الخاص فخبر ذلك مسترسل ، ولكل منهم نصيب بقدره ه .

فصل

فهذا سر إلباس الخرقة عند أول من استحسنها من الشيوخ العارفين ، لكنها

لما اشتهرت بين المتأخرين من الصوفية والمتشبهين بهم ظن من ليس منهم أنها رواية لباس مجرد عن الشروط والأداب وسلوك طريق الوصول إلى الله تعالى ، خال عن السر والحكمة ، فتهافتوا على روايتها وصار يلبسها ويلبسها من ليس من أهلها ، وإن قلت من العمل والسلوك ، إلى السند والرواية ، وخرجت من يد المشايخ العارفين وانتظمت فى أثبات الراوين ومعاجم المحدثين ، فظن من لا علم له بأصولها وشروطها أن لبسها وروايتها واتصال السند المسلسل بها هى الغاية القصوى ، والنهاية العظمى منها . وهو خاطىء فى ظنه ، كاذب فى دعواه ، كابن تيمية وابن خلدون . ولهذا لما رأى المشايخ العارفون أنه قد شاركهم فى لبسها وإلباسها من ليس منهم ، قسموها إلى خرقة إرادة لأهل السلوك ، وخرقة تبرك لأهل الرواية ، والتبرك كما ذكره السهروردى فى (العوارف) ومن جاء بعده من المصنفين فى الخرقة والمتكلمين عليها فى كتبهم .

فصل

ومما يؤيد شرف الخرقة وفضلها ، وأن المراد منها ما ذكره العارفون ، وكونها عتبة الدخول فى طريق أهل الله مع ما يسرى من الشيوخ إلى المريدين بواسطتها من الحال الجاذب للبواطن إلى الحضرة الإلهية ، كون النبى صلى الله عليه وسلم ألبسها جماعة فى المنام واليقظة أيضا ، منهم العارف الكبير أبو البيان بشاء بن محمد ابن محفوظ القرشى المتوفى سنة إحدى وخمسين وخمسمائة الذى تنسب إليه الطريقة البيانية ، فقد ألبسه النبى صلى الله عليه وسلم الخرقة يقظة . وبقيت عنده مدة حياته وبعد وفاته . وكان الناس يزورونها ويتبركون بها كما رواه جماعة منهم الحافظ أبو الفتوح أحمد الطاوسى فى كتابه (جمع الفرق لرفع الخرق) ومنهم العارف الكبير سيدى إبراهيم المتبولى ، وتلميذه سيدى على الخواص ، وأبو المواهب الشناوى .

قال الصفى القشاشى : رأيت فى بعض مجاميع شيخنا أبى المواهب قدس سره بخطه . قال : وأخذت عن عمى عبد الوهاب هو الشناوى والشيخ حسن الدنجيهى والشيخ أحمد بن قاسم ، عن سيدى على الخواص ، عن سيدى إبراهيم المتبولى ، عن النبى صلى الله عليه وسلم بالكيفية المعهودة بين القوم ، ولم يمت الخواص حتى أخذ ذلك ، ووصله إلى ذلك كثرة الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، حتى كان يصلى خمسين ألف صلاة كل يوم .

قال القشاشى : وقد ذكر شيخنا رضى الله عنه أنه لم يمت حتى أخذ عن النبى صلى الله عليه وسلم يقظة كالمتبولى ، قلت : وقد ذكر هذا العارف الشعرانى فى كتابه (الأنوار القدسية فى بيان قواعد الصوفية) لما أورد سند التلقين فقال : ولى طريق آخر بينى وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان فقط ، وذلك أنى أخذت عن سيدى على الخواص وهو أخذ عن الشيخ سيدى إبراهيم المتبولى . وهو أخذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة ومشافهة بالكيفية المعلومة عند القوم ، فى عالم الروحانيات ثم إن سيدى عليا الخواص لم يمت حتى أخذ عن النبى صلى الله عليه وسلم من غير واسطة ، كما أخذ سيدى إبراهيم المتبولى هـ .

وقال : الحافظ الصوفى أبو الحسن على بن يوسف الشطنوفى فى (بهجة الأسرار) أخبرنا قاضى القضاة شيخ الشيوخ شمس الدين أبو عبد الله المقدسى قال : سمعت الأشياخ الثلاثة الشيخ العارف أبا الحسن على بن سليمان البغدادى ،المعروف بالخباز . والشيخ الصالح أبا زكريا يحيى بن يوسف بن يحيى الصرصرى ، والشيخ العالم كمال الدين أبا الحسن محمد بن محمد بن وضاح الشهربانى . قالوا : سمعنا الشيخ الجليل أبا محمد على بن إدريس اليعقوبى ، يقول : سمعت شيخنا الشيخ القدوة على ابن الهيتمى رضى الله عنه ، يقول سمعت شيخنا الشيخ القدوة تاج العارفين أبا الوفا رضى الله عنه ، يقول سمعت شيخنا الشيخ القدوة أبا محمد الشنبكى ، يقول : كان شيخنا الشيخ أبو بكر بن هوار رضى الله عنه ، شاطرا يقطع الطريق بالبطائح ، ومعه

رفقاء ، وكان مقدمهم ، وكانوا يجلسون على تلك المعابر يقتسمون أموال الناس ، فسمع ليلة امرأة تقول لزوجها أنزل ههنا لئلا يأخذنا ابن هوار وأصحابه ، فاتعظ وبكى ، وقال : الناس يخافونى وأنا لا أخاف الله تعالى ، وتاب فى وقته ذلك ، وتاب أصحابه معه ، وانقطع مكانه متوجها إلى ربه عز وجل على قدم الصدق والإخلاص فى إرادته ، فوقع عنده أن يسلم نفسه إلى من يوصله إلى ربه عزوجل ، ولم يكن بالعراق يومئذ شيخ مشهور من أهل الطريق ، فرآى فى منامه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضى الله عنه فقال له : يارسول الله ألبسنى خرقة ، فقال له : يا ابن هوار ، أنا نبيك ، وهذا شيخك . وأشار إلى الصديق رضى الله عنه ، ثم قال : يا أبا بكر ألبس سميك ابن هوار كما أمرت ، فألبسه الصديق رضى الله عنه ثوبا وطاقية وأمر يده على رأسه ومسح على ناصيته ، وقال : بارك الله فيك ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا بكر بك تحيا سنن أهل الطريق من أمتى بالعراق بعد موتها ويقوم منا أرباب الحقائق من أحباب الله تعالى بعد دروسها ، وفيك تكون المشيخة بالعراق إلى يوم القيامة ، وقد هبت نسمات الله تعالى بظهورك ، وأرسلت نفحات الله بقيامك ، ثم استيقظ فوجد الثوب والطاقية بعينهما عليه ، وكانت على رأسه ثواليل فلم يرها ، وكأنه نودى فى الآفاق إن ابن هوار ، وصل إلى الله عز وجل . فهرع إليه الخلق من كل قطر ، وبدت علامات قربه من الله عز وجل الخ .

وقال أيضا فى ترجمة الشيخ على الهيتمى وكانت عنده الخرقتان اللتان ألبسهما أبو بكر الصديق رضى الله عنه أبا بكر بن هوار رضى الله عنه فى النوم ، واستيقظ فوجدهما عليه وهما ثوب وطاقية ، وأعطاهما ابن هوار لمريده الشيخ أبى محمد الشنبكى رضى الله عنه : وأعطاهما الشنبكى لمريده تاج العارفين أبى الوفا ، رضى الله عنه ، وأعطاهما تاج العارفين لمريده الشيخ على بن الهيتمى رضى الله عنه ، وأعطاهما ابن الهيتمى لمريده الشيخ على بن إدريس رضى الله عنه ، فقدتا من بعده هـ .

وذكر أيضا فى ترجمة الشيخ على بن وهب السنجارى بسنده إليه أنه رآى أيام طلبه للعلم أبا بكر الصديق رضى الله عنه فى النوم ، فقال لى : يا على قد أمرت أن ألبسك هذه الطاقية ، وأخرج من كمه طاقية ووضعها على رأسى قال : فاستيقظت والطاقية بعينها على رأسى ، وذكر حكاية طويلة فى رؤيته الخضر عليه السلام ، ثم النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم رؤية الحق سبحانه وتعالى ، وأمره اياه بالإرشاد . فكان لبس الخرقة بداية الفتح .

وذكر بسنده عن الشيخ الجليل العارف أبى عبد الله محمد بن أحمد البلخى أحد أصحاب الشيخ مولانا عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه : أنه وقع له مثل ذلك يقظة مع على بن أبى طالب عليه السلام ، وذلك فى أول ليلة من اجتماعه بمولانا عبدالقادر رضىاللهعنه ، وكان مع علىّ عليه السلام بعض الملائكة ، فى قصة طويلة وكم لهؤلاء من نظير ، لا سيما من لبسها من يد المشايخ العارفين بعد الانتقال ، بطريق المنام ، والاجتماع الروحانى فى اليقظة ، وكل ذلك مما يدل على اعتبارها وشرفها وبركة ما أودع من السر فيها .

فصل

أما حديث الخرقة الذى يروونه عن النبى صلى الله عليه وسلم : أنه نزل بها من الجنة ليلة المعراج بعدما لبسها من يد جبريل عليه السلام ، فباطل موضوع (١) وإن ذكره بعض الصوفية وصححه كابن عراق ، فإنه قال فى رسالته فى الخرقة : وليعلم أنه لا شك أن اليد كانت فيما بين يدى النبى صلى اللهعليه وسلم إلى زمن

(١) وكذلك ما يقال له : أن صلاة الفاتح نزلت فى ورقة خضراء من الجنة تحت وسادة أحمد التيجانى ، كذب سخيف وصلاة الفاتح من إنشاء البكرى كما هو معلوم .

سيد الطائفة أبى القاسم الجنيد ، يد عهد ولبس وتحكيم ، وصحبة وأدب ، خلافاً لما ذهب إليه جماعة من المتفقهة ، فإنهم يزعمون أنه لم يكن إلا مجرد الصحبة دون ما ذكر أين هم عما رواه الإمام العلامة قدرة العلماء العاملين ولسان العارفين مربى المريدين ومرشد السالكين أبو السرى أحمد بن القاضى الكبير أبى بكر محمد البكرى القرشى فى كتاب (تلخيص القواعد الوفية فى أصل حكم خرقة الصوفية) قال : رحمه الله هذا الاعتراض وهم من قوم ، وقلة علم من آخرين ، بل الصحيح المعروف عند الجم الغفير المتضلعين من متفرقات العلوم والأخبار ، المطلعين على غوامض الأسرار ، أنه لبس محقق متصل لانزاع فيه ، وقد صح أن جبريل ألبس النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو عليه الصلاة والسلام ألبس جمعا من الصحابة رضى الله عنهم ، كأبى بكر وعمر وعلى و بلال وعمار وصهيب وحذيفة وعائشة ، وحفصة وسودة وأم خالد وغيرهم ، فأما لبسه صلى الله عليه وآله وسلم من جبريل ، فرواه الإمام العلامة أبو السرى أحمد المشار إليه ، بسنده المتصل بالحافظ الإمام الحجة أبى طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفى الأصفهانى ، قال : أخبرنى الشيخ فلان عن فلان بأسانيد صحيحة متصلة إلى الإمام أحمد بن حنبل قال : أخبرنا الإمام موسى الكاظم ، قال : أخبرنا أبى جعفر الصادق ، قال : أخبرنا الإمام محمد الباقر ، قال : أخبرنا الإمام على زين العابدين ، قال : أخبرنا الإمام الحسين ابن على ، قال : أخبرنا أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لما عرج بى إلى السماء السابعة أمسك جبريل بيدى بعد المناجاة وأدخلنى الجنة فرأيت فيها قصرا من ياقوتة حمراء ، فيه صندوق من نور عليه قفل من نور فقلت : يا أخى جبريل ما فى هذا الصندوق ؟ فقال : فخرك وفخر أمتك من بعدك إلى يوم القيامة ، ثم فتح الصندوق وأخرج منه خرقة الفقر وألبسنيها ، وقال : ياحبيب رب العالمين يا محمد قد أمرنى الحق سبحانه وتعالى أن ألبسها لك) قال الإمام رضى الله عنه ، فلما جال بها النبى صلى

الله عليه وسلم فى الجنة قال الفقر فخرى وبه افتخر وفى رواية (فخرى وفخر أمتى من بعدى) .

قلت : وكل هذا باطل لا أصل له ، وإن بالغ فى إثباته هذا العارف رضى الله عنه ، ومن نقل عنه تصحيحه أيضاً وهو أبو العباس الرداد صاحب كتاب (تلخيص القواعد الوفية) ويحسن أن أذكر هنا ما قاله ابن حجر الهيتمى فى (فهرسته) إذ اختصر فيها رسالة الخرقة المذكورة لأبن عراق ، وقال : قبل إيراد الرسالة مانصه : لى فى لبس الخرقة وإرخاء العذبة وتلقين الذكر طرق أخرى تلقيتها عن الشيخ العارف قطب الوقت محمد بن عراق رضى الله عنه المهاجر إلى المدينة الشريفة ، فجاور فيها مدة مديدة على أكمل أحوال القوم ، وتوفى بمكة سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة ، وقد أجمع أهل عصره على أنه لم يكن فى عصره ولا قبله بأزمان ولا بعده من يدانيه فضلا عن أن يساويه ، فى كونه ملزما على السنة وآدابها وكمالاتها وأحوالها الباهرة . وعلى أنه لو كان فى زمن أبى القاسم القشيرى لذكره من جملة رجال رسالته ، وعلى أنه وصل من الورع والزهد والإرشاد والتربية وكرم الأخلاق وكثرة الكرامات إلى ما لم يصل إليه أحد من أهل عصره ، وهو وإن لم ألقه لكن شيخنا الإمام العالم الصالح الشيخ محمد الحطاب الكبير أخذ عنه جميع مروياته ومجازاته ، ونحن أخذنا ذلك عن شيخنا المذكور ، وله أعنى العارف ابن عراق كتاب مؤلف (فى لبس الخرقة) وماذكر معه ذكر فيه لها خمس طرق بأسانيده المشتملة على كثير مما لا يراه أئمة الحديث ، وسننبه على بعضه ، وإنما ذكرناها مع ذلك تبركا بالقوم ، لا سيما على رأى من يقول الإلهام حجة ، فأهل الطريق والجمع المعتبرون منهم إذا أطبقوا على شىء فغير بعيد أن يكون من جملة ما ألهموه ، فيكون حقا فى باطن الأمر ، وإن كان علماء الظاهر لا يقيمون له وزنا . ثم لما وصل ابن حجر فى التلخيص إلى هذا الموضع . قال عقبة : هكذا ساق الشيخ هذه المعضلات كما ذكر وكان الأولى به

بل المتعين عليه ترك هذا كله ، فإنه من أقبح الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أجمعوا على أن تعمد الكذب عليه صلى الله عليه وسلم من أكبر الكبائر ، بل بالغ الإمام الجليل والد إمام الحرمين أبو محمد الجوينى فقال : إنه كفر يخرج به الإنسان من الإسلام إلى الكفر ، فتفطن لذلك . ثم قال ابن حجر قال : الشيخ يعنى ابن عراق تفريعاً على ذلك الحديث الموضوع الذى التبس عليه حكمه ، حتى ظنه صحيحاً ، وحتى غلط بعض الفقهاء الذين أنكروه ، كل ذلك لعدم معرفته بفن الحديث ، فلما كان الحال كما ذكر ، لبس الخرقة سادات القوم من أيدى سادات التابعين ، كأويس القرنى ، والحسن البصرى ، وأجل قصدهم التزين بزى أهل السنة ، والحرص على الاتصال بمن أخذت عنه هـ .

قلت : ومن عدم معرفته بالحديث كونه أورد الحديث بدون إسناد مع قوله عن السلفى أنه قال : حدثنا فلان عن فلان ، ولو كان له إلمام بالفن لأورده بسنده حتى يبرأ من عهدته ، ويعرف الناظر فيه مرتبته من معرفة حال رجاله .

وقد أورده السيد شيخ ابن عبد الله العيدروس فى كتابه (فى التصوف) مسنداً من جهة الرداد صاحب تلخيص القواعد الوفية .

قال : السيد شيخ : أخبرنا شيخنا الفقيه جمال الدين محمد بن أحمد أبو الفضل ، أخبرنا شيخنا القاضى العلامة جمال الدين محمد بن مسعود الأنصارى ، أخبرنا الشيخ القاضى الإمام جمال الدين محمد بن سعيد المعروف بابن كثير القرشى ، أخبرنا الولى الصالح العلامة شهاب الدين أحمد بن أبى بكر الرداد الصوفى الصديقى ، أخبرنا الشيخ أبو الحسن على بن أبى بكر المقرى إجازة ، أخبرنى الشيخان الأكبران الفقيه شهاب الدين أحمد بن أبى الخير بن منصور الشماخى ، وتقى الدين عمر بن على ابن عبد الله بن محمد بن أبى الخير الشعبى ، قالا : أخبرنا القاضى الكبير فخر الدين إسحاق بن أبى بكر بن محمد بن إبراهيم الطبرى المكى سماعاً عليه للشعبى ،

وإجازة للشماخى ، قال الرداد : وأخبرنى الصالح جمال الدين محمد بن عمر الحاجر قراءة منى عليه بالمدرسة الغربية بزبيد ، وأجازنى عن القاضيين الإمامين العالمين برهان الدين إبراهيم بن عمر العلوى ، وموفق الدين على بن أبى بكر بن شداد المقرى ، عن أبى الخير الشماخى وابن أبى الخير الشعبى ، عن القاضى فخر الدين ، قال : أخبرنا الشيخ الإمام القدوة سلطان أهل الحقيقة والشريعة فخر الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أحمد أبى الفوارس الحيرى الفارسى ، قال : أخبرنا الإمام الحافظ شيخ الإسلام أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفى ، الأصبهانى . قال : أخبرنى أبو الحسن المقرى ، قال : أخبرنا البقال ، قال : أخبرنا القاضى السعيد أبو عبد الرحمن عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل ، قال : أخبرنا الإمام موسى الـكاظم ، فذكر بسنده السابق وهو سند مجهول من فوق السلفى إلى عبد الله بن أحمد بن حنبل ، وفيه انقطاع .

وقد نص جمع من الحفاظ على بطلان حديث (الفقر فخرى وبه افتخر) .

فصل

الوجه الرابع : أن الخرقة تروى أيضاً من جهة أبى بكر رضى الله عنه ، وإن كانت روايتها من جهته نادرة ، فما قاله ابن تيمية فى روايتها عن علىّ ، فهو بعينه وارد فى روايتها عن أبى بكر ، فإن كان المراد بها الأحوال العرفانية ، وحقائق القلوب ، فهما فى ذلك أعنى عليـًا وأبا بكر رضى الله عنهما سواء ، وإن كان المراد بها مجرد لباس الأبدان فهما أيضاً فيه سواء ، والحديث الذى ذكره ابن تيمية شامل لهما معاً ، فإن الخرقة الطيفورية الشامية المنسوبة إلى الشيخ طيفور الشامى ، وهى المعروفة بالهند بالمدارية ، ويقال الشاهمدارية نسبة إلى شاه مدار،أحد رجالها ، ويقال لها الصديقية ، تروى من طريق الشيخ محمد علاء الدين فاضل الشاه مدارى ، عن حسام الدين الشاه مدارى ، عن الشيخ بديع الدين الشامدار الذى تنسب إليه

الطريق ، عن الشيخ طيفور الشامى الذى تنسب إليه أيضاً عن يمين الدين الشامى عن الشيخ عبد الله حامل راية النبى صلى الله عليه وسلم ، عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه . هكذا ذكره جماعة تبعاً للغوث فى (كتابه الدرجات) ولا يخفى ما فيه ، قال العجيمى : ولا يبعد أن يكون بعضهم أخذ بالروحانية عن بعض ، فيكون متصلا .

قلت : الطرق التى تروى من جهة أبى بكر رضى الله منه كلها منقطعة من جهة الظاهر ، وإنما تروى من جهة الاجتماع الروحانى .

فإن الطريقة المشهورة التى تروى من جهته رضى الله عنه هى النقشبندية ، وهى منقطعة الإسناد فى موضعين من جهة الظاهر ، متصلة فيهما من جهة الأخذ الروحانى ، وفى موضع ثالث من جهتهما معاً ، فإن بهاء الدين محمد بن محمد البخارى المعروف بنقشبند ، أخذ عن الشيخ أمير كلال ، عن الخواجة محمد بابا السماسى ، عن الخواجة على الراميتنى ، عن الخواجة الأنجير فغنوى ، عن الخواجة عارف الريوكرى عن الخواجة عبد الخالق الغجدوانى ، عن الخواجة يوسف الهمدانى ، عن أبى علىّ الفارمدى ، عن أبى القاسم الكركانى الطوسى ، عن أبى الحسن الخرقانى ، وهو من روحانية أبى يزيد البسطاسى ، وهو من روحانية الإمام جعفر الصادق ، وهو من القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق : وهو من سلمان الفارسى ، وهو من أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وفى أخذ القاسم بن محمد عن سلمان الفارسى رضى الله عنه انقطاع لا يمكن اتصاله لا من جهة الظاهر ، ولا من جهة الاجتماع الروحانى ، لأنه عند وفاة سلمان الفارسى كان القاسم صغيراً ابن سنتين أو ثلاث ، لا يتصور منه الأخذ من الجهتين ، فلذلك قال الأئمة من أهل الطريق إن سند الطريقة النقشبندية راجع أيضاً إلى علىّ عليه السلام ، لأن انتفاضة جعفر الصادق الحقة إنما هى عن والده عن أجداده إلى علىّ عليه السلام .

وأما الطريقة الصديقية فإنها روحانية محضة ، وغالباً من تلقاها عن أبى بكر رضى الله عنه ، فى القرن الرابع والخامس وما بعدهما كأبى بكر بن هوارى ، وأبى عبد الله الهزميرى ، وغيرهما .

وذكر صاحب (المنح البادية فى الطريقة الملامتية) سنداً متصلا بأبى بكر الصديق رضى الله عنه من جهة جابر بن عبد الله رضى الله عنهما ، إلا أنه من جهة أهل الظاهر ، ثم هو مع ذلك لا يصح ، فإنه أورده من طريق المراغى ، عن القطب إسماعيل الجبرتى ، عن جمال الدين محمد بن أبى بكر الضجاعى ، عن البرهان إبراهيم بن عمر العلوى ، عن تقى الدين عمر بن على الشعبى ، عن أحمد بن موسى الحموى ، عن أبى اليمن بن عساكر ، عن تقى الدين أبى عمر بن الصلاح ، عن أبى الحسن المؤيد بن محمد الطوسى ، عن أبى الأسعد هبة الرحمن بن عبد الواحد ، عن جده أبى القاسم القشيرى ، عن أبى عبد الرحمن السلمى محمد بن الحسين الصوفى ، عن محمد بن حمدون بن مالك البغدادى ، عن الحسن بن أحمد بن المبارك عن أحمد بن صبيح الفيومى ، عن ذى النون واسمه ثوبان بن إبراهيم المصرى ، عن الفضيل بن عياض ، عن حميد بن حية ، عن أبى رجاء العطاردى ، عن جابر بن عبد الله الأنصارى ، عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وهو سند باطل مركب ملفق من فوق أبى القاسم القشيرى ، فقد ذكره ابن الصلاح نفسه على خلاف هذا ، فقال : ولى فى الخرقة إسناد عال جداً . ألبسنى الخرقة أبو الحسن المؤيد ابن محمد الطوسى ، قال : أخذت الخرقة من أبى الأسعد هبة الرحمن بن عبد الواحد بن أبى القاسم القشيرى ، قال : أخذت الخرقة من جدى الإمام أبى القاسم ، وهو أخذها من أبى على الدقاق . وهو أخذها من أبى القاسم إبراهيم بن محمد بن حمويه النصراباذى . وهو أخذها من أبى بكر الشبلى . وهو أخذها من الجنيد ، وهو أخذها من السرى السقطى . وهو أخذها من معروف الكرخى . وهو أخذها

من داود الطائى . وهو أخذها من حبيب العجمى . وهو أخذها من الحسن البصرى . وهو أخذها من علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه . وهو أخذها من النبى صلى الله عليه وسلم .

ولما أورد هذا السند الحافظ السيوطى فى (زاد المسير) قال: بعده وأخبرنى بهذا الطريق العالى محمد بن مقبل . إجازة عن الصلاح ابن أبى عمر عن الفخر ابن البخارى . عن المؤيد الطوسى به اهـ .

وأيضاً من إبن لابن الصلاح والمؤيد الطوسى وأمثالها من المذكورين فى السند . أخذ طريق الملامتية ، بل ولا الطريق من أصلها . لولا قصدهم التبرك بأخذ الخرقة كما صرح به ابن الصلاح . فقال عقب ذكره للسند المتقدم : وليس بقادح فيما أوردناه كون لبس الخرقة ليس متصلا إلى منتهاه على شرط أصحاب الحديث فى الأسانيد ، فإن المراد ما يحصل من البركة والفائدة باتصالها بجماعة من السادة الصالحين اهـ .

وذكر الساحلى فى (البغية) سند طريقتهم متصلا بأبى بكر الصديق رضى الله عنه ، فقال : أما والدى وهو أبو عبد الله الساحلى فصحب شيخه أبا القاسم المريد وصحب أبو القاسم المريد شيخه أبا على الحرار ، وصحبا معاً شيخهما أبا عمران البرادعى ، وصحب أبو عمران شيخه أبا عبد الله التاودى ، وصحب التاودى شيخه أبا الحسن بن حرزهم ، وصحب أبو الحسن عمه أبا محمد بن حرزهم ، وشيخه أبا بكر بن العربى ، وصحب أبو محمد شيخه وجيه الدين ، وصحب وجيه الدين والده محمد بن عمويه ، وصحب محمد والده عمويه ، وشيخه أبا العباس الدينورى ، وصحب عمويه والده سعداً ، وصحب سعد والده الحسين ، وصحب الحسين والده القاسم ، وصحب القاسم والده النضر ، وصحب النضر والده القاسم ، وصحب القاسم والده محمد ، وصحب محمد والده عبد الله ، وصحب عبد الله والده عبد الرحمن ، وصحب عبد الرحمن والده القاسم ، وصحب القاسم والده أبا بكر

الصديق ، وصحب أبا بكر سول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ذكر السند الثانى من طريق الجنيد ، عن السرى ، عن معروف ، بسنديه . ثم تكلم على رجاله بالاختصار . وقال فى ترجمة أبى محمد بن حرزهم : ووقع عندى إشكال فى أخذه عن وجيه الدين ، أو عن ابن أخيه ضياء الدين أبى النجيب عبد القاهر بن عبد الله والأقوى عندى أنه إنما أخذه عن وجيه الدين ، لقرائن قامت عندى مقام التحقيق ، لكنى أبرأ من عهدته ، وبالله التوفيق .

قال : وأما الشيخ وجيه الدين فهو عمر بن محمد بن عمويه أبو حفص السهروردى القرشى البكرى التيمى ، وليس بأبى حفص عمر بن محمد شهاب الدين صاحب (عوارف المعارف) إنما هو عم عمه ضياء الدين أبى النجيب عبد القاهر ابن عبد الله المذكور ، شيخ الشيوخ ، إمام التربية أخذ عن عمه وجيه الدين وعلى يديه سلك ، وشهاب الدين صاحب العوارف الواعظ أخذ عن عمه ضياء الدين أبى النجيب المذكور ، وعلى يديه سلك هـ .

وذكر هذا السند صاحب (المنح البادية) فى الطريقة السهروردية — ببعض اختلاف . وذكره أبو عيسى الفاسى فى تحفة (أهل الصديقية) نقلا عن (بغية السالك) للساحلى كما نقلناه ، ثم قال : وما تقدم فى عمود نسب عبد الله عمويه ، هو الذى فى بغية السالك وغيره ، والذى فى ابن خلكان غير ذلك ، وهو أن عبد الله عمويه بن سعد بن الحسين بن القاسم بن علقمة بن النضر بن معاذ بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه . ثم قال : وقال محب الدين بن النجار فى تاريخ بغداد نقلت نسب الشيخ أبى النجيب من خطه ، وهو عبد القاهر بن عبد الله بن محمد بن عمويه ، واسمه عبد الله بن سعد بن الحسين القاسم بن النضر بن القاسم بن سعد بن النضر بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

وإذا كان بخطه هكذا ، فهو أصح مما ذكرته فليعتمد عليه هـ . والذى فى ابن خلكان فى نسب الحافظ أبى الفرج بن الجوزى موافق لما فى (بغية السالك) فى نسب عمويه ، وهو : أنه جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أبى الحسن على ابن محمد بن على بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبد الله ابن عبد الرحمن بن القاسم بن القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه . فابن الجوزى والشيخ وجيه الدين وأخوه والد الشيخ ضياء الدين وهو جد صاحب العوارف شهاب الدين فى مرتبة واحدة ، يلتقى ابن الجوزى معهم فى القاسم بن النضر ، وبينهم وبين القاسم المذكور أربعة آباء هـ .

وأنا لست على يقين من اتصال الخرقة والصحبة والتأدب فى الطريق بهذا العمود ، ولم يذكره فروع الطريقة السهروردية وليس هو مشهوراً بل ولا معروفاً بينهم ، فلا أدرى مستند الساحلى فيه والله أعلم .

والمقصود إثبات وجود رواية الخرقة عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وأن ما يقوله ابن تيمية فى خرقة علىّ عليه السلام ، هو وارد عليه فى خرقة أبى بكر رضى الله عنه .

فصل

وقول ابن تيمية : ويقال ثانياً الخرق متعددة أشهرها خرقتان خرقة إلى عمر وخرقة إلى على ، فخرقة عمر لها إسنادان إسناد إلى أويس القرنى ، وإسناد إلى أبو مسلم الخولانى ، وأما الخرقة المنسوبة إلى علىّ ، فإسنادها إلى الحسن البصرى إلخ جوابه من وجوه : الوجه الأول أن الخرقة التى تروَى عن عمر رضى الله عنه إنما تروَى من طريق أويس القرنى ، وهو لبسها من عمر وعلىّ معاً ، لا من عمر وحده . وأما طريق أبو مسلم الخولانى فهو لقاء مجرد ، لا خرقة فيه ، مع انقطاع سنده أيضاً . فعاد الأمر فيها إلى علىّ عليه السلام ، وشاركه عمر رضى الله عنه فى

روايتها وإلباسها وفيما يريد ابن تيمية أن يحط به من شأنها وهو كونها لباساً مجردا لا فضل فيه ، فتعرضه لذكر الخرقة التى تروى عن عمر رضى الله عنه لا يفيده المطلوب من إخراجها عن دائرة علىّ وسلب المزية بها عنه عليه السلام ، فقد اتفق كل من ذكرها من طريق أويس على أنه لبسها من عمر وعلىّ معاً رضى الله عنهما .

قال الشيخ الأكبر محى الدين بن العربى رضى الله عنه فى رسالة نسب الخرقة ولبستها أيضاً من يد أبى عبد الله محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التميمى الفاسى ، ومن يد تقى الدين عبد الرحمن بن على بن ميمون بن أبى التوزرى وقالا لى إنهما لبساها من يد أبى الفتح محمد بن أحمد بن محمود المحمودى ، ولبسها المحمودى من يد أبى الحسن على بن محمد البصرى ، ولبس البصرى من يد أبى الفتح ابن شيخ الشيوخ وَلبس أبو الفتح من يد أبى النخشبي وَصحب أبا تراب إسحاق بن شهريار المرشد ، ولبس المرشد من يد حسن أو حسين الأكار ، ولبس الأكار من يد أبى عبد الله بن خفيف ، وابن خفيف صحب جعفر الحذاء ، وصحب الحذاء شيخه أبا عمرو الاصطخرى ، وصحب أبو عمرو شيخه أبا تراب شيخه شقيق البلخى ، وصحب شقيق إبراهيم بن أدهم ، وصحب إبراهيم موسى بن زيد الراعى ، وصحب الراعى أويسا القرنى ، وصحب أويس عمر بن الخطاب وعلىّ ابن أبى طالب ، وصحب عمر وعلىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأخذا عنه وتأدبا بأدبه . اه .

وقال الصفى القشاشى فى (السمط المجيد) لبست الخرقة من يد شيخنا أبى المواهب أحمد بن على القرشى العباسى الشناوى قدس سره ، وهو لبسها من والد على بن عبد القدوس . وهو من الشيخ عبد الوهاب بن أحمد الشعرانى ، وهو من يد شيخ الإسلام القاضى زين الدين أبى يحيى زكريا الأنصارى وأرخى له العذبة ، وذلك فى محرم الحرام سنة أربع عشرة وتسعمائة ، وهو لبسها من الشيخ

شهاب الدين أحمد بن الفقيه على بن محمد الدمياطى ، الشهير بالزلبانى وهو من الشيخ زين الدين أبى بكر بن محمد الخوافى وهو من الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد السلام القرشى الشبريسى ، ثم القاهرى ، وهو من الشيخ ابن المحاسن جمال الدين يوسف بن عبد الله الكورانى العجمى ، وهو من الفقيه حسن الشمشيرى ، والشيخ نجم الدين محمود بن سعد الله الأصفهانى ، بلباس أولهما عن ثانيهما ، وكذا عن الشيخ بدر الدين محمـــود الطوسى ، وهما لبسا من الشيخ نور الدين عبد الصمد الطنزى ، وهو من الشيخ نجيب الدين على بن برغش الشيرازى ، وهو من الشيخ شهاب الدين عمر بن محمد بن عبد الله السهروردى ، وهو من عمه الشيخ ضياء الدين أبى النجيب عبد القاهر بن عبد الله بن محمد السهروردى ، وهو من عمه الشيخ وجيه الدين عمر بن محمد المعروف بعمويه السهروردى ، وهو من والده الشيخ المعمر محمد بن عمويه عبد الله بن سعيد السهروردى ، ومن الشيخ أخى فرج الزنجانى ، كلاهما يد أحدهما مشاركة اليد الآخر ، فأما عمويه فمن الشيخ أحمد الأسود الدينورى ، وهو من الشيخ ممشاد على الدينورى ، وأما فرج الزنجانى فمن الشيخ أبى العباس النهاوندى ، وهو من شيخ مشايخ وقته أبى عبد الله محمد بن خفيف الشيرازى ، وهو من الشيخ أبى محمد رويم بن أحمد البغدادى ، وهما أى ممشاد ورويم لبسا من سيد الطائفة أبى القاسم الجنيد ، وهو من جعفر الحذاء ، وهو من أبى عمرو الاصطخرى ، وهو من أبى تراب عسكر بن الحصين النخشبى ، وهو من أبى على شقيق بن على بن إبراهيم البلخى ، وهو من أبى إسحاق إبراهيم بن أدهم بن منصور العجلى ، وقيل التميمى البلخى ، وهو من موسى بن زيد الراعى ، وهو من أبى عمرو أويس ابن عامر القرنى ، وهو من عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما ، وقدس أسرارهم أجمعين اه .

ورواها الفخر محمد بن إبراهيم الفارسى العارف الصوفى المحدث فى كتابه

فى التصوف ، عن والده عن نصر بن خليفة البيضاوى ، عن إبراهيم بن شهريار ، عن أبى على الحسين بن محمد الأكار ، بسنده السابق عند الشيخ الأكبر ، وفيه أن عمر رضى الله عنه ألبس أويسا القرنى قميصه بعرفات بحضور على عليه السلام ، وأن عليًّا ألبسه رداءه حينئذ ، ثم ألبسه قميصه بصفين ، وهما لبسا من النبى صلى الله عليه وسلم .

(الوجه الثانى) : أن جزمه بسند خرقة عمر مع الطعن فى سند خرقة على ، يفيد أن سندها عن عمر صحيح ثابت ، بخلاف سندها عن على ، وأن ذلك هو رأيه فيها ، وهو تدليس منه وتلبيس ، فإن سند خرقة عمر رضى الله عنه متكلم فيه ، وقد صرح ابن تيمية نفسه بأنه منقطع .

قال البرزلى فى (جامع نوازله) قال ابن تيمية ، وقد تكلم على لباس الخرقة : أنه يحتاج إلى أصل من الأثر يعتمد عليه ، فيخرجه من البدعة ، أو من مقاطع الاجتهاد والرأى ، فإنه منقطع الإسناد ، فإن له إسنادين . أحدهما الإسناد المتصل بأويس عن عمر بن الخطاب ، وإسناد الحسن عن علىّ معلوم عند أهل العلم ، وهو أشهر من الأول ، فأحد طرقه طريق الشيخ عبد القادر عن أبى السعادات الحربى فذكره إلى معروف ، عن داود الطائى ، عن حبيب العجمى ، عن الحسن البصرى عن علىّ بن أبى طالب ، قال ونقله معروف أيضاً عن على بن موسى الرضى ، والرضى عن أبيه ، فذكره ثم قال ومن طريق آخر إلى جابر بن عبد الله الأنصارى ، قال : فأما السند إلى معروف فمتصل ، فإن الأشياخ لقى بعضهم بعضاً . وانتفع به ، ومن بعد معروف منقطع ، إذ لا تعرف له صحبة عن داود الطائى ، ولا لعلى بن موسى الرضى ، وصحبة معروف معروفة لبكر بن حنيس ، وعنه يروى أحاديث الزهد ، وما يرويه غير أهل العلم والمعرفة فالخطأ فيه كثير ،

وإن كانوا ذوى فضل وصلاح ، ثم قال وصحبة داود لحبيب العجمى فيها نظر ، وأما صحبة الحسن لعلى فباطلة باتفاق أهل العلم بهذا الشأن ، ولم يختلفوا فى عدم اجتماع الحسن بعلىّ ، والأثر المروى أن عليا دخل المسجد وسأله ما صلاح الدين ؟ قال: الورع ، قال: ما فساده ؟ قال : الطمع ، فأقره فى المسجد ، فهذا الأثر كذب . ثم ذكر غير هذا من وجوه عدم لقائه له ، وأنه ولد بالمدينة لسنتين بقيتا من خلافة عمر ابن الخطاب . ونشأ بها إلى قتل عثمان ، ورأى عثمان على المنبر ، فحمل إلى البصرة وعلىّ إذ ذاك بالكوفة والحسن فى سن الاحتلام ، وإنما أخذ عمن كان بالبصرة مثل عمران بن حصين وسمرة بن جندب وابن سمرة[1] وغيرهم من متوسطى الصحابة ، وقد جمع الحافظ ابن عبد الواحد المقدسى مصنفا فيمن لقيه الحسن من الصحابة ، وجمع أبو الفرج بن الجوزى فى مناقب الحسن ، كما جمع فى عمر بن الخطاب وابن عبد العزيز وغيرهم . وإسناد أويس أكثر انقطاعا . وأما إسناد جابر ففى غاية الانقطاع .

لكن هؤلاء المشايخ الذين رووا الخرقة أعلام ؛ كلهم لقى أشياخا غير هؤلاء والمعول عليه إنما هو التواصى على البر والتقوى ، ومن شهد له بالخير ، لقوله صلى الله عليه وسلم أنتم شهداء الله فى أرضه[2] الحديث ﻫ .

ثم تعقبه البرزلى على ذلك بلسان الفقهاء ، لا بلسان أهل العلم والنظر . فلذلك تركت نقل كلام ، والمقصود إعتراف ابن تيمية بأن سند أويس منقطع ، وكأنه قال ذلك فى كلام له فى ابطال الخرقة . أو جواب من سأله عن سندها . فلذلك تكلم بكل ما يعتقده فيها بخلاف كلامه هنا ، فإن الغرض منه نفى الفضيلة

---

(١) هو عبد الرحمن بن سمرة ، وهو غير سمرة بن جندب الذى قبله .

(٢) هو فى الصحيحين فى قصة الثناء على ميت بخير ، وعلى آخر بشر .

عن عليّ ، وسلب مزاياه وإثباتها لغيره ، كما هو معروف من حالة ابن تيمية فإنه لا يتكلم بالعلم والإنصاف ساعة الرد والمناظرة أصلا ، بل يكون جل قصده إثبات دعواه ، والإنتصار على الخصم بأى سبيل ولو بطريق الكذب والتدليس والتزوير والتلبيس . ولذلك كثر الإضطراب فى أقواله ، والتناقض فى أنقاله ، فتارة يجزم ببطلان حديث ، ونفى وروده أصلا ، وتارة يصرح بوجوده ، ويذكر مخرجه ، وربما سكت عنه ، موهما ثبوته إذا كان الغرض فى ذلك . وتارة يحكى الإتفاق على مسألة ، وأحيانا يحكى فيها الخلاف ، ويؤيد قول المخالف وينصره . فالرجل ديدنه نصرة رأيه وهواه ، لا غرض له إلا ذلك ، فلذلك لم ينفع الله تعالى بكتبه وعلمه ، بل جعلها وبالا عليه ، فكم ضل من المخلوقات بسبب النظر فيها ، والاغترار بمؤلفها ، لا بارك الله فيه ، ولا فى كتبه[1] وأنصاره .

وقال على القارى فى (موضوعاته) لما تكلم على الخرقة ونقل كلام

---

(١) إلا كتاب « الصارم المسلول على شاتم الرسول » — صلى الله تعالى عليه وآله وسلم — ، و « كتاب اقتضاء الصراط المستقيم » فقد اعتدل فيهما كثيراً ، بل لم يؤلف فى الحقيقة غيرهما على كثرة ما ألف . ولما أعيد طبع الكتاب الثانى فى مطبعة أنصار السنة ، حرفوا فيه بعض العبارات ، وجدوها صريحة فى مخالفتهم ، وموافقة جماعة المسلمين ، ومثل هذا حصل فى كتاب « أهوال القبور » للحافظ ابن رجب . فقد طبع بمكة المكرمة ، وحذف منه القائمون على طبعه جملة أيد بها المؤلف رحمه الله حديث عرض أعمال الأمة على نبيها صلى الله عليه وآله وسلم .

ومثل هذا وذاك ما حصل فى تفسير « البحر المحيط » عند طبعه ، فإن مؤلفه أبا حيان عرض فيه لابن تيمية ، وذمه وذم بدعته ، فحذف المشرف على تصحيحه بمطبعة السعادة ذلك الكلام من أصله ، ولم يترك له فى التفسير أثراً يدل عليه . فماذا أعد الله لهؤلاء الخائنين لامانة العلم ؟ الجانين على كتبه ؟ إنه سبحانه المنفرد بعلم ذلك ، والمجازى كل نفس بما كسبت هنالك ، و « كل امرىء بما كسب رهين » ، =

السخاوى فيها ، ما نصه : وكذا نسبة التلقين المتعارف بين الصوفية ، لا أصل له وكذا نسبة المصافحة المتصلة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليس له أصل عند العلماء الأعلام ، وكذا نسبة الخرقة إلى أويس وأنه عليه السلام أوصى بخرقته لأويس وأن عمر وعليا سلماها إليه ، وأنها وصلت إليهم منه فغير ثابت ، ولو ذكره بعض المشايخ فالمدار على طريق الصحبة ، ومتابعة الكتاب والسنة ، ومجانبة الهوى ، ومقاربة الهدى ، والمراقبة للتقوى ، هـ .

وقال : أيضا فى (المعدن العدنى فى فضائل أويس القرنى) وأعلم أن ما إشتهر على ألسنة العامة من أن أويسا قلع جميع أسنانه لشدة أحزانه ، حين سمع أن النبى صلى الله عليه وسلم أصيب يوم أحد ، ولم يعرف خصوص أى سن كان بوجه

= كما فعل فى مسألة المطلقة ثلاثا بلفظ واحد . فإن الصحابة أجمعوا على قول عمر : لا تحل لزوجها حتى تنكح زوجا غيره . وأخذ به الأئمة لأحاديث وردت به أيضاً ، ولكن ابن تيميه لم يعترف بهذا الاتفاق ، واعتبرها تطليقة واحدة ورد عليه التقى السبكى وغيره ، وأعجب من هذافى تمسكه برأيه وإن خالف الحق والواقع. أن ابن حزم عقد فى كتابه « مراتب الاجماع » بابا للاجماع الذى يكفر مخالفه بإجماع ، وصدره بحكاية الاجماع على أن ما سوى الله مخلوق ، فكتب ابن تيمية يناقشه فى هذا الإجماع الذى يدرك بالبداهة ، ونفى أن يكون ورد عن الصحابة تصريح — بحدوث ما سوى الله تعالى . وحاور وداور ، لكنه هاب أن يصرح برأيه الذى أنكر لاجله الاجماع المذكور ، وهو : أن العالم قديم بالنوع ، وهذا من مستشنع المسائل المنسوبة إليه كما قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى ، بل بلغت به الجرأة فى الانتصار لهذا الرأى الشنيع أنه ادعى — فى حديث البخارى « كان الله ولم يكن شىء غيره » وفى رواية « ولم يكن شىء معه » أنه من تصرف الرواة ، وأن أصل الحديث « كان الله ولم يكن شىء قبله » لأنه يعتقد أن الله لم يكن شىء قبله ، لكن لا يعتقد أنه لم يكن شىء معه ، فلهذا أنكر الاجماع والحديث ، انظر كتاب مراتب الاجماع ، وباب وكان عرشه على الماء فى كتاب التوحيد من فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، وكلاهما مطبوع .

معتمد فلا أصل له عند العلماء ، مع أنه مخالف للشريعة الغراء ، ولذا لم يفعله أحد من الصحابة الكبراء ، على أن فعله هذا عبث لا يصدر إلا عن السفهاء ، وكذا لا يثبت نسبة الخرقة النبوية إليه ، ومنه إلى بعض المشايخ بما لا يعتمد عليه ه .

قلت : يشير بوصاية النبي صلى الله عليه وسلم بالخرقة إلى أويس ، وإلباس عمر وعلى إياه بأمره صلى الله عليه وسلم ، إلى ما ذكره أبو الفتوح الطاوسى فى رسالته (جمع الفرق لرفع الخرق) أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى عمر وعليا رضى الله عنهما بلقاء ، أويس والتبرك بدعائه ، وتبليغ السلام منه إليه ، وأعطاهما خرقة ليلبساها إياه ، فوافياه بوادى أراك ، بعرفات ، وتقربا إليه وألبساه إياها وهذا باطل جزما .

وقال الحافظ فى اللسان : موسى بن زيد الراعى أبو عمران الديلمى . نزيل بلخ لم أجد له ذكرا ، وأظن أن بعض من فى إسناد خبره اختلقه ، فإنه أسندت عنه خرقة التصوف ، فزعم أو من اختلقه . أن أويسا القرنى ألبسه الخرقة لما قدم بلاد الديلم ، ومات بها ، وأن عمر ألبسه قميصه بعرفات بحضور علىّ ، وأن عليا ألبسه رداءه ، ثم ألبسه قميصه بصفين ، وهما لبسا من النبي صلى الله عليه وسلم ، ذكره الفاخر الفارسى وهو محمد بن إبراهيم عن أبيه عن نصر بن خليفة البيضاوى عن إبراهيم بن شهريار عن أبى محمد الحسين الأكار الشيرازى ، ووقع فى اللسان الأبار بالباء ، والصواب الأكار كما تقدم ، عن محمد بن خفيف ، عن أبى عمرو الأصطخرى عن أبى تراب النخشبى عن أبى عمران المذكور ، وفى السياق أن كلا من هؤلاء ألبس الذى دونه وهذا خبر باطل مشوش ، وأويس قتل بصفين كما ذكرته فى ترجمته ، وقيل مات قبل ذلك فالله اعلم .

ومن اظرف ما يذكر هنا واغربه ان بعض فضلاء الهند المتأخرين نقل كلام الحافظ المذكور ، ثم تعقبه بقوله ، قد اختلف فى زمان موته يعنى اويسا ومحله على

أقوال متباينة ، فإن ثبت موته كما قال الحافظ ، فهو لامحالة مات مرة فى موضع ، ثم حيي فى آخر ، ثم مات ، ثم حيي ، ولا يشك فيه من يؤمن بكرامات الأولياء وقد تكلم الربيع بن حراش[1] بعد موته وكذا أخوه ربعى كما ذكره ابن حبان فى الثقات ، وأخوه مسعود كما رواه المدينى . وزيد بن خارجة الأنصارى . كما رواه جماعات ولابن أبى الدنيا كتاب (من عاش بعد الموت) وقد ساق السيوطى أخبار من حيي بعد الموت فتكلم ثم مات أو بقى حيا من الصحابة ومن بعدهم فى (شرح الصدور) وإشار إلى شىء من ذلك (فى الخصائص الكبرى) وهلم جرا ، إلى طبقة شيوخنا ، فحكى عنه حكاية ، ثم قال : وروينا من وجوه حسنة كثيرة أن الولى الكبير السيد الشهير لفاية الله الحسينى الحبشى مات ودفن بحيدر أباد قاعدة مملكة الدكن ، ثم ظهر حيا بلكنو قاعدة مملكة أوده ، فبينا هو يقرأ القرآن يوما إذ مر عليه رجل من التجار ، كان قد شهد دفنه بالدكن فوقف متعجبا من أمره ، فلما فرغ الشيخ من قراءته ، قال له ما ترى ؟ قال : شهدتك بالدكن ، إذ مت ودفنت ، قال : نعم . ولكننى أحببت أن أكون أياما فى الدنيا فظهرت هنا ؟ قال : فأنا أموت هنا بعد زمان ، ثم أظهر بالصين ، إن شاء الله تعالى ، ولا تكون لى حينئذ أنملة الخنصر من يدى ، فمات ثمة بعد زمان ولقيه الرجل بعد مدة بالصين ، فكان كما قال ، وهذه القصة مشهورة ببلاده ، ولقد سمعتها مرارا من شيخى شيخ الإسلام الإمام الهمام علم الكمال فى العلم والعمل والحال مولانا الحافظ محمد على الحسينى الرضوى الجشتى أفاض الله علينا من فيوضاته آمين هـ .

قلت ومن هذا القبيل ما فى ترجمة محمد الحليق التركى المتوفى سنة تسعين

---

(١) بالحاء المهملة المكسورة .

وستمائة ، وكان بماردين له اتباع وفقراء ، وكان صاحب ماردين كثير الإنكار عليه وعلى أصحابه ، فاجتمع به مرة فعاتبه الشيخ فقال : له أنا معذور وأنت ظاهر موله ، ويبدو منك ومن أصحابك أشياء يقع الإنكار فيها فأرنا شيئا يكون آية ظاهرة حتى نسلم إليكم حالكم ، فقال : بسم الله أنا أموت الساعة ، وأنت أدفنى كيف شئت وأنا أظهر بعد مائة وخمسين يوما خمسة أشهر ، فقال : رضيت ومات الشيخ لوقته ، فقضى حقه وجهز له بئرا عميقا عدة قامات ، ودفنه أسفله ، وعمل عليه ضريحا بحجارة متقنة عمارة متعنت ممتحن ثم ردم البئر ، وعمل فى أعلاه ضريح خشب ، ورسم عليه رجالا كثيرين لا ينامون ، بل يسهرون بالنوبة ، فما ظهر الشيخ بعد المدة ، فطلب الجماعة وانتقم منهم ، بأنواع الأذى ، ثم بعد عشرين يوما ، ظهر الشيخ ، فجاءه الملك نادما معتذرا عما فعل بأصحابه ، وقال يا سيدى ما ظهرت فى التاريخ الذى عينته ؟ فقال يا بعيد الذهن فى تلك المدة كنت فى حبس الله تعالى ، وأما الزيادة فكنت فى حبسك ، لأن جميع ما صرفته فيما أعددته من الإمتحان والتعنت كان حراما . فقال : صدقت ، ثم صار من أكبر المحبين للشيخ والمعتقدين له .

والمقصود أن سند خرقة عمر رضى الله عنه مطعون فيه بالجهالة والانقطاع وعدم الثبوت من جهة كون أويس مات قبل الوقت الذى زعم موسى بن زيد الراعى : أن أويسا ألبسه فيه ، فإعراض ابن تيمية عن هذا ، وذكره للسند بطريق الجزم مع طعنه فى سند خرقة علىّ . من قلبه للحقائق ، وتدليسه بل من كذبه وتزويره .

(الوجه الثالث) أن قوله فى خرقة عمر رضى الله عنه لها سندان ، وخرقة على تنسب إلى الحسن ، يريد أن يفهم أن خرقة عمر متعددة السند مشهورة ، وأن خرقة علىّ ليس لها إلا سند واحد عن الحسن البصرى ، ومع ذلك فهو مطعون

فيه ، وذلك كذب منه وتدليس ، فإن خرقة علىّ تروى من طرق متعددة غير طريق الحسن البصرى ، كرواية الحسن السبط عليه السلام ، ومن جهته يتصل سند أبى الحسن الشاذلى عن ابن مشيش الذى هو طريقة التحكيم والإرادة له كما سيأتى .

ورواية الحسين الشهيد عليه السلام ، ومن جهته تتصل الطريقة العلوية الحضرمية وغيرها . بل هو أحد السندين لمعروف الكرخى كما سبق ويأتى .

ورواية كميل بن زياد ، ومن جهته تتصل الطريقة الكبروية والحبشية وغيرهما .

ورواية أبى الدرداء ، ومن جهته تتصل الطريقة السهلية .

ورواية أويس القرنى كما سبق ، فهى أكثر طرقا من خرقة عمر رضى الله عنه ، وأثبت وأشهر ، كما اعترف به ابن تيمية نفسه فى كلامه السابق من نقل البرزلى عنه .

(الوجه الرابع) أن قوله أيضا فى خرقة عمر لها إسنادان ، وأما خرقة على فتنسب إلى الحسن ، يفيد أن خرقة عمر ثابتة عنه ، وأن خرقة علىّ إنما تنسب إلى الحسن وليست هى ثابتة عنه ، مع أن الأمر بالعكس ، فإن خرقة عمر رضى الله عنه تنسب إلى أويس القرنى ، والذى انفرد بها عنه رجل مجهول . لا يعرف حاله ولا عدالته لأنه لا ذكر له فى شىء من كتب رجال الحديث إلا بالضعف والطعن من جهة الجهالة وغرابة ما أتى به ، لا من جهة معرفته ، والا فهو غير معروف اصلا ، لا بعدالة ولا غيرها ، ويؤيد ضعفه وبطلان روايته ما ذكره الحافظ من ان اويسا مات بصفين مع علىّ عليه السلام ، او قبل ذلك على الخلاف فى وفاته ، وموسى بن زيد ذكر انه البسه الخرقة فى بلاد الديلم ، وانه بها كانت وفاته ، وايضا فقد قدمنا نصوص اهل الحديث والصوفية واكابر الأولياء العارفين : كالشيخ الأكبر محى الدين بن العربى والسهروردى وامثالهما على ان الخرقة

بالهيئة المعروفة لم تكن فى زمن الصحابة والتابعين ، وانما كان عندهم الصحبة والاقتداء والتأدب . وايضا لم تذكر لموسى بن زيد الراعى هذا ترجمة فى كتب الصوفية وطبقاتهم ولاعرف به أحد منهم ، مع أن من دونه كلهم معروفون مشهورون نخرقته باطلة جزما من جهة قواعد الرواية الظاهرة التى من جهتها أيضا يبطل ابن تيمية ومن يوافقه خرقة علىّ المروية من طريق الحسن البصرى ، مع بيان خطئهم فى ذلك وظهور بطلان قولهم فيه على حسب القواعد المقررة ، بخلاف خرقة أويس ، فإن ذلك فيها واضح جلى لاشبهة فيه .

وأما خرقة الحسن فرواتها كلهم أئمة مشاهير لا تحوم رائحة الطعن والجهالة حول حمى واحد منهم ، فضلا عن أن ينبذ بشىء من ذلك ، بل هم أئمة المسلمين ، وسادات السلف الصالح باتفاق المسلمين ، فإنها تروى عن الجنيد سيد الطائفة عن السرى السقطى . عن معروف الكرخى . عن داود الطائى . عن حبيب العجمى عن الحسن ، ثم عن الجنيد رواها عدد التواتر من أكابر الزهاد الاتقياء وأئمة الورع والدين والمعرفة ، فمن يا ترى من هؤلاء الأئمة افتعل ذلك السند ، ونسبه إلى الحسن البصرى ؟ هل عدد التواتر من أصحاب الجنيد ، وطبقتهم ممن يستحيل عادة تواطؤهم على ذلك أو توافقهم عليه ، لما كانوا عليه من التقوى والورع والخشية والعلم بالله تعالى ومعرفته ، أم الجنيد سيد الطائفة وأمامها ، القائل : ما أخرج الله إلى الأرض علما وجعل للخلق إليه سبيلا إلا وجعل لى فيه حظا ونصيبا ، والقائل لو أقبل صادق على الله ألف ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة لكان ما فاته أكثر مما ناله ، والقائل : ما أخذنا التصوف عن القيل والقال ، لكن عن الجوع وترك الدنيا ، وقطع المألوفات والمستحسنات ، والذى كان ورده كل يوم فى حانوته أربعمائة ركعة قبل ان يعود إلى بيته ، مع ثلاثين الف تسبيحة ، دون ورده من الليل ، والذى قال عن نفسه : ما نزعت ثوبى للفراش منذ اربعين سنة ، ومكث عشرين سنة لا يأكل إلا من اسبوع لأسبوع ، وقيل له . من

أين استفدت هذا العلم ؟ قال : من جلوسى بين يدى الله ثلاثين سنة تحت تلك الدرجة ، وأومأ إلى درجة من داره . أم السرى بن مغلس السقطى الذى قال فيه الجنيد : ما رأيت أعبد من السرى ، أتت عليه ثمان وسبعون سنة ما رؤى مضطجعاً إلا فى علة الموت . وقال عنه الجنيد أيضاً : سألنى السرى يوماً عن الصحبة ، فقلت : قال قوم · هى الموافقة . وقال قوم · الإيثار . وقال قوم : كذا وكذا . فأخذ السرى جلدة ذراعه ومدها ، فلم تمتد ، ثم قال : وعزته تعالى لو قلت إن هذه الجلدة يبست على هذا العظم من محبته ، لصدقت . ثم غشى عليه ، فدار وجهه كأنه قمر مشرق ، وكان السرى به أدمة . وقال : منذ ثلاثين سنة أنا فى الاستغفار من قولى : الحمد لله ، مرة . قيل : وكيف ذلك ؟ فقال : وقع ببغداد حريق ، فاستقبلنى رجل ، فقال : نجا حانوتك . فقلت : الحمد لله ، فمنذ ثلاثين سنة ، أنا نادم على ما قلت ، حيث أردت لنفسى خيراً مما حصل للمسلمين .

وقال الجنيد : دخلت يوماً على السرى السقطى وهو يبكى ، فقلت له : وما يبكيك ؟ فقال : جاءتنى البارحة الصبية ، فقالت : يا أبتِ هذه ليلة حارة ، وهذا الكوز علقه ههنا ، ثم إنى حملتنى عيناى فنمت ، فرأيت جارية من أحسن الخلق ، قد نزلت من السماء ، فقلت : لمن أنت ؟ فقالت : لمن لا يشرب الماء المبرد ، فى الكيزان . فتناولت الكوز فضربت به الأرض فكسرته . قال : فرأيت الخزف لم يرفعه ولم يمسه حتى عفا عليه التراب . أم معروف بن فيروز الكرخى ، الذى كان مستجاب الدعوة . وكان أهل بغداد يقولون · قبر معروف الترياق المجرب لقضاء الحوائج ، والذى قال تلميذه السرى السقطى : رأيت معروفا الكرخى فى النوم كأنه تحت العرش ، فيقول الله عز وجل لملائكته · من هذا ؟ فيقولون : أنت أعلم يا رب . فيقول : هذا معروف الكرخى ، سكر من حبى فلا يفيق إلا بلقائى . وقال يعقوب بن أخى معروف ، قال لى عمى : يا بنى إذا كانت لك إلى الله حاجة ، فسله بى .

وقال عبيد بن محمد الوراق : جاء رجل من الشام إلى معروف يسلم عليه ، وهو ببغداد . فقالوا له ، فقال : إنى رأيت فى المنام يقال : اذهب إلى معروف فسلم عليه ، فإنه معروف فى أهل الأرض ، معروف فى أهل السماء .

وقال إسماعيل بن شداد المقرى ، قال لنا سفيان بن عيينة : من أين أنتم ؟ قلنا : من بغداد . قال : فما فعل ذلك الحبر ، قلنا : من ؟ قال : معروف . قال : لا تزالون بخير ما دام فيكم . وكان يقول : طلب الجنة بلا عمل ، ذنب من الذنوب ، وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور ، وارتجاء رحمة من لا يطاع جهل وحمق . أم داود بن نصير الطائى ؟ الذى قال فيه محارب بن دثار : لو كان داود فى الأمم الماضية لقص الله علينا من أخباره . وكان يقول بالليل : إلا هى همك عطل على الهموم الدنيوية ، وحال بينى وبين الرقاد . وقالت له دايته : أما تشتهى الخبز ؟ فقال : بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية . وقال له رجل : يا أبا سليمان ، ألا تسرح لحيتك ؟ قال : إنى عنها مشغول . وأخباره فى الزهد والعبادة عجيبة جداً . ولما مات دخل عليه ابن السماك الواعظ فقال : داود سجنت نفسك قبل أن تسجن ، وعذبت نفسك قبل أن تعذب ، فاليوم ترى ثواب ما كنت له تعمل ، وكسرت تحته سراير من شدة ازدحام الخلق ، وتبركهم بنعشه ، كلما يعيدونه إلى موضعه . أم حبيب بن محمد العجمى الفارسى ؟ الذى كان يرى بالبصرة يوم التروية ، ويرى بعرفة عشية عرفة ، وصدرت على يديه كرامات عجيبة ، حتى جاء كتاب من الحق تعالى بتصديقه فى شراء قصر فى الجنة لبعض المحسنين .

قال أبو نعيم فى (الحلية) : ثنا أبو أحمد محمد بن أحمد الجرجانى ، ثنا الحسن ابن سفيان ، ثنا غالب بن وزير الغزى ، ثنا ضمرة ، ثنا السرى بن يحيى ، قال : قدم رجل من أهل خراسان وقد باع ما كان له بها ، وهم بسكنى البصرة ومعه

عشرة آلاف درهم ، فلما قدم البصرة ، وهم بالخروج إلى مكة هو وامرأته ، سأل لمن يودع العشرة آلاف درهم ؟ فقيل لحبيب أبى محمد ، فأتاه فقال له · إنى حاج وامرأتى ، وهذه العشرة آلاف درهم أردت أن أشترى بها منزلا بالبصرة ، فإن وجدت منزلا ويخف عليك أن تشترى لنا بها فافعل . وسار الرجل إلى مكة ، فأصاب الناس بالبصرة مجاعة . فشاور حبيب أصحابه أن يشترى بالعشرة آلاف دقيقاً ، ويتصدق به . فقالوا له · إنما وضعها لتشترى بها منزلا . فقال · أتصدق بها وأشترى له بها منزلا من ربى عز وجل فى الجنة ، فإن رضى وإلا دفعت إليه دراهمه . قال · فاشترى دقيقاً وخبزه وتصدق به . فلما قدم الخراسانى من مكة أتى حبيباً فقال · يا أبا محمد أنا صاحب العشرة آلاف ، فما أدرى اشتريت لنا بها منزلا أو تردها علىّ ؟ فأشترى أنا . فقال : لقد اشتريت لك فيه قصوراً وأشجاراً وثماراً وأنهاراً ، فانصرف الخراسانى إلى امرأته . فقال : أرى قد اشترى لنا أبو محمد حبيب منزلا أراه كان لبعض الملوك . قد عظم أمره . وما فيه . قال : ثم أقمت يومين أو ثلاثة . فأتيت حبيباً فقلت له : يا أبا محمد المنزل . فقال : قد اشتريت لك من ربى منزلا فى الجنة بقصوره وأنهاره ووصفائه . فانصرف الرجل إلى امرأته . فقال لها : إن حبيباً إنما اشترى لنا من ربه المنزل فى الجنة . فقالت : يا فلان أرجو أن يكون قد وفق الله حبيباً . وما قدر ما يكون لبثنا فى الدنيا ؟ فارجع إليه فليكتب لنا كتاباً بهذه المنزل . قال : فأتيت حبيباً . فقلت له : قبلنا ما اشتريت لنا ، فاكتب لنا كتاب عهدة . فقال : نعم . فدعا من يكتب له الكتاب ، فكتب ·

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما اشترى حبيب أبو محمد من ربه عز وجل لفلان الخراسانى . اشترى له منزلا فى الجنة ووصفائه ووصيفاته بعشرة آلاف درهم . فعلى ربه تعالى أن يدفع هذا المنزل إلى فلان الخراسانى . ويبرىء حبيباً من عهدته .

فأخذ الخراسانى الكتاب ، وانطلق إلى امرأته فدفعه إليها . فأقام الخراسانى نحواً من أربعين يوماً ، ثم حضرته الوفاة . فأوصى إلى امرأته إذا غسلتمونى وكفنتمونى فادفعى هذا الكتاب إليهم يجعلوه فى أكفانى ، ففعلوا ودفن الرجل ، فوجدوا على ظهر قبره مكتوباً فى رق كتاباً أسود فى ضوء الرق - براءة لحبيب أبى محمد من المنزل الذى اشتراه لفلان الخراسانى ، بعشرة آلاف درهم ، فقد دفع ربه إلى الخراسانى ما شرط له حبيب ، وأبرأه منه ، فأتى حبيب بالكتاب فجعل يقرؤه ويقبله ويبكى ، ويمشى إلى أصحابه ويقول : هذه براءتى من ربى عز وجل.

وتصدق حبيب فى بداية إقباله على الله بأربعين ألفاً ، فى أربع دفعات ، تصدق بعشرة آلاف فى أول النهار ، فقال : يا رب اشترت نفسى منك بهذا ، ثم اتبعه بعشرة آلاف أخرى ، فقال : يا رب هذه شكراً لما وفقتنى له ، ثم أخرج عشرة آلاف أخرى ، فقال : ربى إن لم تقبل منى الأولى والثانية فاقبل هذه ، ثم تصدق بعشرة آلاف أخرى ، فقال : رب إن قبلت منى الثالثة فهذه شكراً لها . وقال ابن حبان : كان عابداً فاضلاً ورعاً تقياً من المجابى الدعوة .

فهذا بعض البعض من أحوال رجال خرقة الحسن البصرى ، وتراجمهم مطولة فى (الحلية) لأبى نعيم ، وغيرها من كتب الزهاد والصوفية ، بل ومن كتب رجال الحديث . فإن هؤلاء كلهم من الرواة وكلهم ثقات على طريقة المحدثين ، بخلاف سند خرقة عمر فإن راويها عن أويس مجهول لا يعرف ونكرة لا تتعرف ، والحفاظ طعنوا فيها من جهته ، ومن جهة بطلان ما قال ، وعدم موافقته للتاريخ ، بخلاف سند خرقة الحسن ، فإنهم ما تكلموا فيها إلا من جهة الانقطاع بين الحسن وعلىّ ، ومع ذلك فلم يتكلموا فيها بعلم ، ولا دليل أصلا ، وإنما هو نقل مجرد ، وتقليد لأول من غلط فى ذلك كما سيأتى ، ومن هنا تعرف مقدار أمانة ابن تيمية فى النقل ، وصدقه فى الكلام على توهين الأخبار والآثار ، وتتحقق بأنه يتكلم بهواه ، غير مبال بمخالفته للواقع . ولا بكذبه الواضح البين . نسأل الله العافية.

(الوجه الخامس) أن الخرقة المروية عن عمر رضى الله عنه من طريق أبى مسلم الخولانى باطلة بدون شك ، بل هى مركبة مفتعلة ، وأبو مسلم الخولانى قد قال ابن حبان : إنه أسلم فى زمن معاوية ، وعلى الصحيح من أنه أسلم قبل ذلك ، فلم تصح له رواية . إلا عن أبى عبيدة ومعاذ بن جبل ، وأما عمر فلم تصح له عنه رواية ، وإن ذكر أنه روى عنه ، ثم على فرض ثبوت ذلك . فهى رواية مجرده ، ومطلق أخذ ولقاء ، لا خصوص المعنى الذى يقصده الصوفية ، لأمرين :

أحدها : أن خرقة أبى مسلم الخولانى نادرة شاذة لا تـكاد تذكر بين القوم ، ولا يعرفها منهم أحد ، وإنما ذكرها بعض أهل الفهارس والاثبات ، تبعاً لقول ابن تيمية هذا . وأخذ من مجرد الاجتماع واللقاء . فذكرها من طريق إبراهيم بن أدهم ، عن مالك بن دينار ، عن أبى مسلم الخولانى ، عن عمر رضى الله عنه .

ثانيهما : أن أكثر الأولياء العارفين وأقطاب الأمة المحمدية إنما تخرجوا من طريق خرقة علىّ عليه السلام ، ومن رواية الحسن البصرى عنه ، وصرحوا بأن علياً عليه السلام هو إمامهم ومرجعهم ، لا عمر ولا أبو بكر رضى الله عنهما . وهذه الخرقة القادرية والرفاعية والبدوية والسهروردية والـكبروية والجشـتية والعلوية والشاذلية والخلوتية والمدينية والنقشبندية والمحمدية والقشيرية والهروية والغزالية والدسوقية والساحلية وغيرها ، وفروع الجميع التى تزيد على المائة كلها تتصل بعلى عليه السلام ، إما من طريق الحسن البصرى ، أو من طريق آل البيت عليهم السلام ، وأين هى الخرقة المعروفة باتصال سندها إلى أبى مسلم الخولانى من هذه الطرق المذكورة ؟ فإنه لا وجود لها بين أسانيدها أصلا ، وإنما يتصل بعضها بأبى بكر رضى الله عنه ، على ما فى الطريق إليه من مقال وانقطاع ، فمن عدم أمانة ابن تيمية أن يقلب الحقائق فيوهن ما هو ثابت ، ويقوى ما هو ضعيف أو باطل .

فصل

وقول ابن تيمية : إن رواية معروف الكرخي عن علي بن موسى الرضى باطلة لم يذكرها المصنفون لأخبار معروف بالإسناد الثابت المتصل كأبي نعيم وأبي الفرج ابن الجوزي في كتابه الذي صنفه في فضائل معروف .

جوابه إنه إذا لم يذكر ذلك أبو نعيم ولا أبو الفرج . فقد ذكره من هو أقدم منهما ، وهو أبو عبد الرحمن السلمي ، شيخ أبي نعيم وأبي القاسم القشيري عصري أبي نعيم ، فقال في الرسالة : سمعت محمد بن الحسين يعني أبا عبد الرحمن السلمي يقول : سمعت محمد بن عبد الله الرازي يقول : سمعت علي بن محمد الدلال يقول : سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبي يقول : رأيت معروفا الكرخي في النوم بعد موته ، فقلت له ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لي ، فقلت : بزهدك وورعك ؟ فقال : لا بقبولي موعظة ابن السماك ، ولزوم الفقر ، وصحبة الفقراء ، وموعظة ابن السماك ما قاله معروف الكرخي كنت ماراً بالكوفة ، فوقفت على رجل يقال له : ابن السماك وهو يعظ الناس ، فقال في آخر كلامه : من أعرض عن الله بكليته ، أعرض الله عنه جملة . ومن أقبل على الله بقلبه ، أقبل الله برحمته إليه ، وأقبل بجميع وجوه الخلق إليه ، ومن كان مرة ومرة ، فالله يرحمه وقتاً ما . فوقع كلامه من قلبي ، فأقبلت على الله تعالى ، وتركت جميع ما كنت عليه إلا خدمة مولاي علي بن موسى الرضى . وذكرت هذا الكلام لمولاي ، فقال : يكفيك بهذا موعظة إن انعظت .

أخبرني بهذه الحكاية محمد بن الحسين ، قال : سمعت عبد الرحيم بن علي الحافظ ببغداد ، يقول : سمعت محمد بن عمر بن الفضل ، يقول : سمعت علي بن عيسى يقول : سمعت سريا السقطي ، يقول : سمعت معروفا يقول ذلك . ه

فهذا سند متصل إلى معروف يثبت فيه أنه مولى لعلى بن موسى الرضى ورجاله ، وإن كنت لم أعرف بعضهم ، إلا أن هذه الحكاية بعيدة عن قصد الكذب ، وليس فيها ما يحمل عليه ، ولا ما يدعو إليه . ويؤيد صدقها ما اشتملت عليه من الحكمة مع تلك الرؤيا المطابقة للواقع ، والمخبرة بقصة الاستماع إلى موعظة ابن السماك مع تباين مخرج سند الرؤيا ، وسند الحكاية أما محمد بن عمر بن الفضل الجعفى المذكور فى الميزان بأنه حدث عن أبى القاسم البغوى وقد اتهم بالكذب ، وروى أيضاً عن أبى شعيب الحرانى ، وابن مسروق . روى عنه أبو نعيم الحافظ قال : ابن أبى الفوارس مات سنة إحدى وستين وثلاثمائة . قال : وكان كذابا ه .

زاد الحافظ فى اللسان ، وقال أبو نعيم : كتبنا عنه من فروع خرجها وكان ذا حفظ ومعرفة . ه فهو غير المذكور فى سند هذه الحكاية لأن الجعفى روى عنه أبو نعيم وكتب عنه الفروع ، وهذا من شيوخ شيوخ أبى عبد الرحمن السلمى الذى هو أكبر من أبى نعيم ومن طبقة شيوخه ، وقد مات قبله بثمان عشرة سنة . فإذا كان أبو عبد الرحمن السلمى يروى عن عبد الرحيم بن على الحافظ عنه ، وهو أكبر من أبى نعيم ، فكيف يروى عنه أبو نعيم بدون واسطة ؟ وكذلك على بن عيسى المذكور فى هذا السند هو غير المذكورين فى الميزان بهذا الاسم ، فإنه لا يوافق أحد منهم طبقة هذا ، بل هم إما متقدم عن طبقته ، أو متأخر عنها ؟ وقد أورد الحافظ محمد بن قاسم التركانى هذه الحكاية ثم قال : وهؤلاء الرواة كلهم ثقات من مشاهير الصوفية ، كما يظهر من كتب السلمى ، وأبى نعيم والقشيرى وغيرهم، فأبو عبد الله محمد بن عمر بن الفضل الصوفى الراوى عن الصوفية ، غير محمد بن عمر بن الفضل الجعفى المحدث عن أبى القاسم البغوى وأبى شعيب الحرانى وابن مسروق الذى قال فيه ابن أبى الفوارس : إنه كان كذاباً . ولو فرض أنه عينه ؟ فقول ابن أبى الفوارس مردود بقول من عاينه

وعامله ، فقد قال عنه أبو نعيم كتبنا عنه من فروع خرجها ، وكان ذا حفظ ومعرفة ، فقول ابن أبي الفوارس إذ لم يكن عن عصبية فهو محمول على تشديد فى اللهجة ، وعلى بن عيسى الصوفى صاحب السرى السقطى المكثر عنه غير من ذكر فى الميزان واللسان ، لأن جلهم متقدمون ولم يذكر أحد منهم بالرواية عن السرى السقطى ، ومن ثم تبعه عامة أهل المعرفة ، منهم ابن خلكان وهلم جرا . إلى شارح الرسالة الزين زكرياء الأنصارى المحدث ه .

وقد قال أبو القاسم القشيرى فى أول ترجمة معروف ، وهو من موالى على بن موسى الرضى رضى الله عنه . مات سنة مائتين وقيل سنة إحدى ومائتين ثم قال سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله تعالى يقول : كان معروف الكرخى أبواه نصرانيين فسلموا معروفا إلى مؤدبهم وهو صبى فكان المؤدب يقول له قل : ثالث ثلاثة ، فيقول : بل هو واحد ، فضربه المعلم يوماً ضرباً مبرحا فهرب معروف فكان أبواه يقولان ليته يرجع إلينا على أى دين يشاء ، فنوافقه عليه ، ثم إنه أسلم على يد على بن موسى الرضى ، ورجع إلى منزله ودق الباب ، فقيل : من بالباب ؟ فقال : معروف ، فقالوا : على أى دين جئت ؟ فقال : على الدين الحنيفى فأسلم أبواه ه .

فهذا أيضاً مؤيد للحكاية السابقة من اتعاظ معروف بوعظ ابن السماك ، وذكره ذلك لمولاه على بن موسى الرضى عليه السلام ، وهذه حكاية مشهورة متداولة بين أهل تلك العصور ، لا سيما من طائفة الجنيد الذى هو تلميذ تلميذ معروف الكرخى ، فهو بلا شك ممن أخذ عن الرضى وانتفع برؤيته وخدمته ، رضى الله عنهم أجمعين .

فصل

وقول ابن تيمية ، وأما الإسناد الآخر فيقولون : إن معروفا صحب داود الطائى ، وهذا أيضاً باطل . لا أصل له . وليس فى أخباره المعروفة ما يذكر ذلك فيها .

جوابه : أن أبا القاسم القشيرى قال فى باب الصحبة من رسالته : وكان الأستاذ أبو على يقول : أخذت هذه الطريقة عن النصراباذى ، والنصراباذى عن الشبلى ، عن الجنيد ، عن السرى ، والسرى عن معروف الكرخى ، ومعروف عن داود الطائى هـ . فهذا أصل أصيل ، وإسناد صحيح متصل ، ورجاله فى أعلى درجات الثقة والعدالة ، والصدق والأمانة ، لا سيا والصحبة فى الطريق تثبت بين التلميذ والشيخ ، وتحصل بها الفائدة ، ولو بالاجتماع مرة واحدة . كما سبق ، ويأتى .

وقال شيخ الإسلام الهروى فى (الطبقات) كان معروف قد صحب داود الطائى .

ومثله فى طبقات الحنابلة للقاضى أبى الحسن بن أبى يعلى بن الفرا ، فإنه قال : ومعروف كان أستاذ سرى السقطى ، وصحب معروف داود الطائى هـ .

وكل كتب هؤلاء قد رآها ابن تيمية وعرفها ، لاسيا الهروى وابن الفرا فإنهما من أكابر أئمة وشيوخ مذهبه الذين يعتمد عليهم ابن تيمية فى الفروع والأصول والاعتقادات ، ويكثر النقل عنهم فى كثير من كتبه ، وهم أئمة حفاظ ، لا سيا شيخ الإسلام الهروى ، فلا يذكر إلا ما ثبت عنه ، وصح لديه ، من طريق الرواية والإسناد ، ولا يشكل على هذا كون معروف الكرخى أسلم على يد الرضى عليه السلام ، والرضى وُلد سنة إحدى وخمسين ومائة . وقيل سنة ثلاث وخمسين ، وداود الطائى مات سنة خمس وستين ، فيما قاله ابن نمير ، ورجحه

الهروى ، فيكون الرضى وقت وفاة داود الطائى ابن أربع عشرة سنة على أقصى ما قيل فى وفاة الطائى ، وولادة الرضى . فيلزم أن يكون الكرخى صغيراً أيضاً قد لا يهتدى للأخذ عن داود الطائى فى ذلك السن ، لأن تاريخ ولادة معروف الكرخى غير معروف أصلا ، وقد يكون أكبر من الرضى بعشر سنين أو أزيد فيكون سنه يوم وفاة الطائى أربعا وعشرين سنة أو أكثر ، وهو سن قد حصل الفتح دونه لقوم لا يحصون من أهل القرون المتأخرة ، فضلا عن السلف الصالح أهل خير القرون ، بشهادة أفضل الرسل صلى الله عليه وآله وسلم ، ولاسيما من مثل معروف الذى هو أحد أفراد تلك العصور ، والذى أكرمه الله بالهداية والتوفيق من صغره ، وسيأتى ذكر من ثبتت له الصحبة ، وهو ابن خمس ، أو سبع سنين ، وصحت عنه الرواية ، وثبتت بها الأحكام الشرعية ، وكذلك من حصل له الفتح وصدر منه الكشف وهو دون البلوغ ، فأين ذلك من سن معروف المذكور ، فلا إشكال فى أخذه عن داود . والله أعلم .

فصل

وعلى فرض صحة ما يزعمه ابن تيمية من انقطاع طريق معروف الكرخى من كلا الجهتين جهة على الرضى ، وجهة داود الطائى ، مع أنه باطل بلا شك ، فالخرقة لها طرق عن الحسن البصرى لم يتعرض لها ابن تيمية ، منها طريق عبد الواحد بن زيد الذى تتصل من جهته الخرقة الجشتية بالأخذ والتلقين والصحبة والاقتداء ، وهو طريق متصل لا شبهة فيه ، فإن معين الدين الجشتى ، أخذ عن عثمان الهارونى ، عن حاجى شريف الزندنى ، عن قطب الدين مودود بن يوسف ابن محمد بن سمعان الجشتى ، عن والده يوسف بن محمد ، عن خاله محمد بن أحمد أبدال ، عن أحمد الجشتى ، عن أبى إسحاق الجشتى ، عن ممشاد الدينورى ، عن أبى هبيرة البصرى ، عن حذيفة المرعشى ، عن إبراهيم بن أدهم ، عن فضيل بن

عياض ، عن عبد الواحد بن زيد ، عن الحسن البصرى ، عن علىّ عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

ومنها : طريق مالك بن دينار الذى تتصل من جهته طريقة ابن خفيف ، عن جعفر الحذا ، عن أبى عمرو الأصطخرى ، عن أبى تراب النخشبى ، عن شقيق ابن إبراهيم البلخى ، عن إبراهيم بن أدهم ، عن مالك بن دينار ، عن الحسن البصرى ، عن علىّ عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم .

ومنها : طريق عامر بن شعيب الذى يتصل من جهته التلقين من طريق الجنيد عن الحارث بن أسد المحاسبى ، عن بشر بن الحارث الحافى ، عن عامر بن شعيب ، عن الحسن البصرى ، عن علىّ عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم .

ومنها : طريق هرم بن حيان ويونس بن عبيد ، فإن أبا سعيد بن الأعرابى ، أخذ عن مسلم بن عبد الله الخراسانى ، عن الفضيل بن عياض ، عن هرم بن حيان ، ويونس بن عبيد ، عن الحسن .

ومنها : طريق فضال العجمى ، وسيأتى فى رواية الحسن البصرى ، عن الحسن والحسين عليهما السلام ، فهذه طرق متعددة للصوفية رضى الله عنهم ، تثبت الأخذ والصحبة والاقتداء والانتفاع المعروف عند المتأخرين بالخرقة ، من جهة الحسن البصرى ، عن علىّ عليه السلام ، وتبطل الطعن فى الخرقة العلوية من جهة الانقطاع فى الطريق ، قبل الوصول إلى الحسن البصرى . أما ما يزعمونه من الانقطاع بين الحسن وعلىّ ، فسيأتى إبطاله ، مع ذكر الطرق الأخرى إلى علىّ عليه السلام ، من غير طريق الحسن البصرى والحمد لله .

فصل

وقول ابن تيمية ، وفيها يعنى الخرقة : أن الحسن صحب علياً ، وهذا باطل باتفاق أهل المعرفة ، فإنهم متفقون على أن الحسن لم يجتمع بعلىّ ، جوابه من وجوه :

(الوجه الأول) : أن استناده إلى حكاية الاتفاق فى مثل هذا ، مع الإعراض عن الدليل وإقامة الحجة على عدم الاجتماع ، فرار منه وتدليس ، وتمويه وتلبيس ، على طريقته المعروفة فى أنقاله وردوده . بل فى كل ما يكتبه فى نصرة رأيه وهواه . فإنه لا يسلك سبيل الصدق والأمانة ، ولا يترك التختل والتلبيس ، لا سيما فيما يتعلق بآل البيت الأطهار ، والصوفية الأخيار ، وذلك لأنه يعلم علم يقين أن الحقائق التاريخية ، والقواعد الأصولية ، والحديثية ، تثبت رواية الحسن عن علىّ ، وتحكم لها بالصحة على شرط البخارى ومسلم ، كما هو محكوم بذلك لرواية من كان سنه دون سن الحسن البصرى ، يوم خروج علىّ من المدينة ، فضلا عن الحسن ، فلأجل ذلك يضرب صفحاً عن الدليل ، ويعدل إلى حكاية الاتفاق ، لارتياحه إليه ، ووجود ما يبتغيه فيه ، دون الدليل ، ولو كان الحال بالعكس ، لذكر الدليل وأطال فى بيانه وتقريره ، وانتقد الاتفاق ، وضرب به وجوه أصحابه ، كما فعل فى بعض المسائل الفروعية التى انعقد عليها الإجماع الذى يعدون مخالفه فاسقاً ، وخارقه كافراً ، أو قريباً من الكافر ، ومع ذلك فلم يعبأ به ، وخالفه عملا بما ظهر له من الدليل ، فضلا عن مسألة سماع الحسن من علىّ ، واجتماعه به ، ولكن الرجل يدور مع أغراضه ويتقلب بحسب أهوائه ، وبعد فالدليل القاطع يثبت سماع الحسن واجتماعه به ، فليتفق بعد ذلك من شاء ، أو ليختلف . فإن العبرة بالدليل ، لا بالاتفاق ، والحقائق لا يثبتها فى ذاتها اتفاق ، ولا ينفيها اختلاف .

(الوجه الثانى) أن حكاية الاتفاق على عدم الاجتماع كذب منه وافتراء ، كسائر ما يحكيه من الاتفاقات ، فسماع الحسن من علىّ واجتماعه به مختلف فيه بين المتقدمين والمتأخرين .

قال : ابن أبى حاتم فى المراسيل فى ترجمة سماع الحسن من عثمان : سئل أبو زرعة عن الحسن : لقى أحداً من البدريين ؟ قال رآهم رؤية ، رأى عثمان بن عفان وعلياً ، قلت : سمع منهما حديثاً ؟ قال : لا ، وكان الحسن البصرى يوم بويع لعلى رضى الله عنه ابن أربع عشرة ورأى علياً بالمدينة ، ثم خرج علىّ إلى الكوفة ولم يلقه الحسن بعد ذلك ، وقال الحسن رأيت الزبير يبايع علياً رضى الله عنه ، ثم ترجم ابن أبى حاتم لسماع الحسن من علىّ ، وقال : حدثنا محمد بن أحمد بن البراء ، قال : قال على بن المدينى : لم ير الحسن علياً إلا أن يكون رآه بالمدينة وهو غلام ه .

قال البخارى فى التاريخ الصغير فى ترجمة سليمان بن سالم القرشى أبى داود العطار ، سمع على بن زيد عن الحسن ، قال : رأيت علياً والزبير التزما . ورأيت عثمان وعلياً التزما .

وقال ابن العربى فى شرح الترمذى : قد أدرك الحسن علياً مسناً ه .

وذكر الذهبى فى التذهيب : أنه رأى علياً وعثمان وطلحة .

وخرج الحافظ ضياء الدين المقدسى ، فى (المختارة) رواية الحسن عن على مصححاً لها ، ثم عقب ذلك بحكاية القول بعدم سماعه منه بصيغة التمريض ، فقال : وقيل لم يسمع منه ه وقد اعترف ابن تيمية وجماعة من الحفاظ كابن عبد الهادى والزركشى أن تصحيح الضياء فى (المختارة) أعلى من تصحيح الحاكم .

وقال الحافظ شمس الدين بن الجزرى فى كتابه (أسنى المطالب بمناقب علىّ

ابن أبى طالب) بعد أن أسند الخرقة ما نصه : وأجمع مشايخ التصوف على أن الحسن البصرى صحب علىّ بن أبى طالب ، ولبس منه الخرقة ، وسألت شيخنا الحافظ اسماعيل بن كثير ، فقال : لا يبعد أنه أخذ عنه بلا واسطة ، ولقيه له ممكن فإنه سمع عثمان بن عفان ، قلت : على أنا روينا عنه الحديث عن علىّ رضى الله عنه بلا واسطة ، فذكر حديث (رفع القلم) من طريق أحمد ثم قال وقد تقدم فى حديث المصافحة أنه صافح على بن أبى طالب هـ .

وقد قال فى أول الكتاب المذكور : وبعد فهذه أحاديث مسندة مما تواتر وصح وحسن من أسنى مناقب أسد الله الغالب ، مفرق الكتائب ، ومظهر العجائب ليث بنى غالب ، أمير المؤمنين أبى الحسن على بن أبى طالب ، كرم الله وجهه ، أردفتها بمسلسلات من حديثه ، وبمتصلات من روايته وتحديثه ، وبأعلى إسناد صحيح إليه ، من القرآن والصحبة والخرقة التى اعتمد فيها أهل الولاية عليه ، ثم قال فى آخره : وأما لبس الخرقة واتصالها بأمير المؤمنين على كرم الله وجهه ، فإنى لبستها من يد جماعة ووصلت إلى منه من طرق ، ثم ذكر سنده فى الخرقة .

ولما نقل البرزلى فى (جامع نوازله) كلام ابن تيمية فى الخرقة . تعقبه بقوله : وما ذكره ليس بظاهر من وجوه .

الأول : أنهم حفظوا ومن حفظ حجة على من لم يحفظ ، وزيادة العدل الصحيح قبولها .

الثانى : قوله إن معروفا غير معلوم بصحبته داود الطائى وعلى الرضى ، شهادة على النفى : ومن أثبت أولى ممن نفى .

الثالث ما حكاه عن الحسن من عدم لقياه لعلىّ ، ليس كذلك ، لأنه كان فى زمن علىّ قريبا منه فى المسافة بحيث يمكن أخذه عنه ، لسنه وقربه ، وهذا إذا روى رواية عنه قبلت ، فإن ثبت لقياه عنه كما ذكر هؤلاء الشيوخ فقد ثبت

شرط الأخذ عنه عند البخارى ومسلم ، وإن لم يثبت لقياه وثبت كونهما فى زمن واحد ثبت الإسناد عند مسلم دون البخارى ه

وقال الحافظ السيوطى فى (زاد المسير) الحفاظ مختلفون فى سماع الحسن من علىّ فمنهم من لم يثبته كالبخارى ويحيى بن معين ، ومنهم من أثبته ، ورجحه الحافظ ضياء الدين المقدسى (فى المختارة) وذكر الحافظ ابن حجر فى تهذيب التهذيب حديثا من رواية الحسن عن على عليه السلام بالسماع ، ثم قال : قال محمد بن الحسن الصريفينى شيخ شيوخنا : هذا نص صريح فى سماع الحسن من علىّ ورجاله ثقات اه قال الحافظ السيوطى : وقد ألفت بسبب ذلك جزء سميته (اتحاف الفرقة برفو الخرقة) ه .

قلت : قال فى أوله أنكر جماعة من الحفاظ سماع الحسن البصرى من على ابن أبى طالب رضى الله عنه ، وتمسك بهذا بعض المتأخرين نخدش به فى طريق لبس الخرقة . وأثبته جماعة وهو الراجح عندى لوجوه ، وقد رجحه أيضا الحافظ ضياء الدين المقدسى فى (المختارة) فإنه قال: قال الحسن بن أبى الحسن البصرى عن على وقيل لم يسمع منه ، وتبعه على هذه العبارة الحافظ ابن حجر فى (أطراف المختارة) ه .

ولما نقله الصفى القشاشى فى (السمط المجيد) قال عقبة فإن قلت جميع ماذكره فى (الاتحاف) إنما يثبت اللقى والسماع ، وأما لبس الخرقة وتلقين الذكر فلا ، فأين الاتحاف قلت: قد ذكر فى أول الكلام أن من خدش فى لبس الخرقة من المتأخرين فتمسكه فى ذلك عدم سماع الحسن من على رضى الله عنه ، بناء على إنكار جماعة من الحفاظ سماعه ، ولم يقم دليلا على نفى اللبس غير إنكار السماع ، فإذا صح السماع . وثبت بأسانيد الأئمة المعتبرة فى الكتب المعتمدة ،

كالإمام أحمد والترمذى والنسائى والحاكم والضياء المقدسى وأبى نعيم والدارقطنى وأبى يعلى وغيرهم ، لم يبق للخادش النافى متمسك فى الخدش ، ثم إن لبس الخرقة من طريق الحسن البصرى قد رواه جماعة من أكابر أهل الله المرادون بالفرقة فى لفظ الترجمة ، ومن المعلوم أن فيهم من هو جامع بين الفقه والتصوف ، وطرف صالح من الحديث ، كالشيخ عبد الكريم بن هوازن القشيرى ، والشيخ عبد القاهر بن عبد الله السهروردى ، وابن أخيه الشيخ شهاب الدين محمد بن محمد بن عبد الله السهروردى ، صاحب (عوارف المعارف) فأما القشيرى فقد قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر فى (تبيين كذب المفترى) أخبرنا الشيخان أبو الحسن على بن أحمد بن منصور وأبو منصور محمد بن عبد الملك بن الحسن قالا : قال لنا الشيخ أبو بكر أحمد بن على الحافظ : عبد الكريم بن هوازن ابن عبد الملك بن طلحة بن محمد أبو القاسم القشيرى النيسابورى ، سمع أحمد بن محمد بن عمر الخفاف ، ومحمد بن أحمد بن عبدوس المزكى ، وأبا نعيم عبد الملك وأبا الحسن الأسفرانى وعبد الرحمن بن إبراهيم المزكى ، ومحمد بن الحسن بن فورك ، والحاكم أبا عبد الله بن البيع ، ومحمد بن الحسن العلوى ، وأبا عبد الرحمن السلمى ، وقدم علينا فى سنة ثمان وأربعين وأربعمائة ، وحدث ببغداد ، وكتبنا عنه ، وكان ثقة وكان يعرف الأصول على مذهب الأشعرى ، والفروع على مذهب الشافعى .

ثم قال بعد نحو ورقة : ولقد عقد لنفسه مجلس الإملاء فى الحديث سنة سبع وثلاثين وأربعمائة ، وكان يملى إلى خمس وستين ، يذنب أماليه بأبياته ، وربما كان يتكلم على الأحاديث بإشاراته ولطائفه ه .

وقال التاج السبكى فى (الطبقات الصغرى) فى ترجمته : شيخ المشايخ أستاذ الجماعة ، ومقدم الطائفة ، أحد أحبار الأمة ، وعلماء الملة ، تفقه على أبى بكر

الطوسى ، وقرأ الأصول على ابن فورك ، والأستاذ أبى إسحاق إلى آخر ما قال رحمه الله .

وأما الشيخ عبد القاهر السهروردى ، فقال التاج السبكى فى (الطبقات الصغرى) فى ترجمته : أحد أئمة الطريقة ، ومشايخ الحقيقة ، تفقه بنظامية بغداد على أسعد الميهنى وكان من هداة الدين ، وأئمة المؤمنين .

وأما ابن أخيه الشيخ شهاب الدين صاحب (عوارف المعارف) فيكفى ما فى كتابه المذكور من الأحاديث المسندة عن عمه وغيره مما يشير إلى مشاركتهما فى الحديث لا سيما نحو قوله حدثنا الشيخ أبو النجيب إملاء ، وغير هؤلاء ممن هو مقبول ثقة عند الفريقين . فإذا انتفى سبب الخدش ، وقد رواه من هو ثقة ومقبول ، ظهر أن ما توهم انقطاعه موصول ، وبذلك يحصل الاتحاف ، وبالله التوفيق ه بتصرف .

قلت : ومن أكابر مشايخ الصوفية العارفين الذين أثبتوا سماع الحسن من على ، وأخذه الخرقة عنه ، وهم من المحدثين الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربى ، والشيخ نجم الدين الكبرى ، والغوث الجيلانى ، وجماعة كلهم ، قبل ابن تيمية .

وقال ابن حجر الهيتمى فى (فهرسته) شنع كثير من الفقهاء والمحدثين على الصوفية رضوان الله عليهم أجمعين فى إثباتهم فى أسانيدهم بلبس الخرقة وتلقين الذكر وغيرها سماع الحسن البصرى من أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه ، وهذا الإنكار لا وجه له ، وإنما كان يحسن إيراده أن لو كان أئمة الحديث متفقين على عـــدم سماعه منه وليس كذلك بل أئمة

الحديث مختلفون فى ذلك ، فمنهم من أثبته ، ومنهم من نفاه ، لكن انتصر المثبتين له جماعة من المتأخرين منهم شيخنا السيوطى ، فذكر ملخص كلامه فى رسالته (إتحاف الفرقة) ثم قال : وإذا تأملت هذا علمت أن ما عليه الصوفية فى أسانيدهم التى تنتهى إلى الحسن البصرى عن علىّ رضى الله عنه ، لا مطعن ولا إنكار عليهم فيه ، وأن ما هم عليه من سماع البصرى من علىّ بن أبى طالب ، هو الحق الصريح الذى لا يجوز غيره ، وأن من اعترض وأنكر عليهم ، فاعتراضه وإنكاره زيف ، ليس فى محله ، ولا ينظر إليه ، ولا يعول عليه ، قال : وقد سبق عن شيخنا زكرياء وغيره : أنهم من المنكرين لذلك أيضاً . فلا تغتر بذلك ، وإن كثر المنكرون ، وجلت مراتبهم ، فإن الحق أحق أن يتبع ، والرجوع إلى الحق خير من التمادى فى الباطل ، وكل يؤخذ من قوله ويرد عليه ، إلا المعصومين عليهم السلام على أن هؤلاء المنكرين قد أول إنكارهم . وحمل على ما بعد خروج علىّ من المدينة ، لأن الحسن لم يجتمع به بعد ذلك . وإذا كان المنكرون يقولون نحن مع قولنا بأن الحسن لم يسمع من علىّ ، نروى سند لبس الخرقة وغيره عن الحسن عن علىّ ، تبركا بأولئك السادة الصوفية ، رجاء الاندراج فى لحظهم ومددهم ، وعداد جماعتهم ، فإذا كان هذا حال المنكرين ، فما بالك أيها المطلع على الحق والصدق الذى لا شك فيه ولا مرية ولا شبهة ، وهو صحة سماع الحسن من علىّ ، وأن سند الصوفية من هذه الطرق التى تنتهى إلى الحسن عن علىّ كلها متصلة لا انقطاع فيها ولا إنكار على أهلها هـ .

وقال العارف الشعرانى فى (قواعد الصوفية) وقد أنكر بعض المحدثين كون الحسن البصرى تلقن لا إله إلا الله من على بن أبى طالب رضى الله عنه لعزة ثبوت ذلك من طريقة مشهورة ، بل أنكر بعضهم اجتماع الحسن البصرى بعلى رضى الله عنه ، فضلا عن الأخذ للطريق ، والحق أنه اجتمع به ، فلقنه الذكر ، وألبسه الخرقة ، فروى الحافظ ابن حجر وتلميذه جلال الدين السيوطى رحمهما

الله تعالى وقال : إن سنده صحيح ورجاله ثقات . إن الحسن البصرى كان يقول سمعت علياً رضى الله عنه ، يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أمتى كالمطر لا يدرى أوله خير أم آخره) .

وروى عن الحسن البصرى قال : سمعت علياً بالمدينة . وقد سمع صوتاً ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : قتل عثمان ، فقال : اللهم اشهد أنى لم أرض ولم أمالى . وفى مسند الحافظ بن مسدى عن الحسن قال : صافحت علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، قال جلال الدين السيوطى رحمه الله : فقد ثبت عندى وعند جماعة من الحفاظ رواية الحسن البصرى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه ، منهم الحافظ ضياء الدين رحمه الله (فى الأحاديث المختارة) وكل ما فيها من الأحاديث صحيح ، فعلم أن سند التلقين ولبس الخرقة كان السلف يتداولونها فيما بينهم من غير ثبوت من طريق المحدثين ، إحساناً للظن بسلفهم حتى جاء الحافظ بن حجر والجلال السيوطى ومن وافقهما فصححوا سماع الحسن من علىّ وأوصلوا السند بهما ه .

وقال : البرهان إبراهيم الكوارنى فى (إنباه الأنباه) بعد سوقه سند التلقين ما نصه : ثم الراجح أن الحسن البصرى سمع من علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، فإن الحفاظ مختلفون فى ذلك ، فأنكره جماعة منهم ، وأثبته جماعة .

قال : الحافظ السيوطى فى (إتحاف الفرقة) والإثبات هو الراجح عندى لوجوه ، وقد رجحه أيضاً الضياء المقدسى (فى المختارة) وتبعه الحافظ ابن حجر فى (أطراف المختارة) ثم ساق الوجوه المرجحة لسماعه ، فمن شاء فليراجعها ، فى (فتاوى السيوطى) وفى (السمط المجيد) لشيخنا نفع الله به ، فإنه ساقها مع نصوص جماعات الصوفية ، ومنهم الحفاظ ، وإذا صح السماع واللقاء ، وقد وصل سند تلقين الذكر من طريق الحسن جماعة كالحافظ أبى الفتوح الطاوسى ، وصله من طريق شيخه الزين الخوافى ، والمثبت مقدم على النافى ، كان وصل سند الذكر هو

الراجح ، هذا بحسب لسان فن الحديث وأهله ، وأما أكابر أهل الطريق فهم على بينة من ربهم فى النفى والإثبات ، فإذا أثبتوا شيئاً وجزموا به ، فهو موافق للواقع ، وبالله التوفيق .

الوجه الثالث : أنه إذا بان بطلان ما ادعاه من الاتفاق على عدم اجتماع الحسن بعلىّ رضى الله عنه ، وثبت اختلاف أهل الحديث فى ذلك بين مثبت ونافٍ ، فالمثبت مقدم على النافى ، إذا استند إلى المشاهدة والعيان ، فكيف والنافى فى هذه المسألة لا دليل معه أصلا ، فضلا عن المشاهدة والعيان ، بل الدليل مع المثبت المقدم قوله على النافى .

قال ابن حجر الهيتمى فى (فهرسته) بعد إيراد حديث أبى يعلى الآتى الذى قال فيه عقبة بن أبى الصهباء : سمعت الحسن يقول : سمعت علياً يقول : وبيان أن رجاله ثقات ما نصه : وإذا ثبت أن رجال هذا السند ثقات ، وأن عقبة منهم ، قال : سمعت الحسن يقول : سمعت علياً ، لم يبق لمنكر سماعه منه متمسك ، ولا دليل أصلا ، لأنه ثقة أثبت شيئاً وغيره نفاه ، والمثبت مقدم على النافى ، وإن قل المثبت وكثر النافى كما هوّ مقرر فى الأصول ، لأن المثبت معه زيادة علم ، لاسيما وهو قد أسند علمه إلى سماعه ، حيث قال : سمعت الحسن يقول : سمعت علياً . وإذا كان هذا أعنى سماعه هو مستند علمه ، وجب تقديم ما أثبته ، وأخبر عنه ، بهذه الطريق القوية ، التى لا تحتمل شبهة ، على من نفاه ، لأنه إنما نفاه لمجرد قرينة قامت عنده ، وهى تحتمل الصحة والفساد ، بل صحة إثباته المذكورة عينت احتمال فساد تلك القرينة ، فبطل الاحتجاج بها ، هذا ، وذلك الإثبات المذكور يكفى فيه ما ذكر من صحة طريق مثبته وكونه ثقة أسنده إلى أقوى أسباب العلم ، وهو السماع ، ومع ذلك فقد انضمت إليه قرائن كل منها يغلب على الظن أنه سمع منه ، وبها يزداد تأيد إثبات السماع ، ويجب ترجيحه . اهـ .

وقال العلامة المحدث فخر الدين النظامى فى (فخر الحسن) لا شك أن من جرح بالإرسال وقدح فى الاتصال ، ثم لم يأت ببرهان قاطع فى سببه ، بل مبناه على العدم الأصلى فلا يقبل . لأن الاعتبار لمزيد العلم ، وهو الموجب لتقديم الجرح ، وذلك[1] فى الوصل اهـ .

الوجه الرابع : أن العبرة بالدليل ، لا بالقول المجرد ، سواء كان من المثبت أو من النافى (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) والدليل مع مثبت السماع والرؤية والاجتماع ، فقوله هو المقبول بالإجماع .

الوجه الخامس : أن النافى الذى يمكن أن يكون نفيه صدر عن علم وشبهة دليل عنده . فى هذه المسألة هو رجلان أو ثلاثة كيحيى بن معين ، وبعض طبقته ، والباقى ممن جاء بعده ، إنما قال : ذلك عن تقليد ، وعدم بحث ونظر فى الدليل ، وقول المقلدة لا عبرة به ، وإن كثر عددهم ، لأنهم بمنزلة العدم ، إذ المقلد ينطق بما قال غيره ، دون تمييز بين حقه وباطله ، ولا فرق بين صوابه وخطئه ، فالنفى راجع إلى قول شرذمة قليلة من الأقدمين الذين لم يعطوا المسألة حظها من النظر ، لعدم أهميتها عندهم ، ولو عرضت عليهم أدلة سماع الحسن من على ، بل بعضها لما حصل منهم توقف فى ذلك ، لأنهم قائلون بها ، بل متفقون عليها ، فهم ملزمون من جهتها بإثبات سماع الحسن واجتماعه بعلىّ عليه السلام ، وأخذه عنه ، وإلا كانوا متناقضين مخالفين لقواعد الرواية ، وأصول الحديث ، التى بها قد أثبتوا سماع قوم وصححوا أحاديثهم ، وقبلوا روايتهم ، والفرق بين المتماثلين باطل ، فنفيهم سماع الحسن من على باطل ، وإذا كانت الأقوال المخرجة على أصول الأئمة فى الفروع والأصول ، تنسب إليهم وإن لم ينطقوا بها ، فإثبات سماع الحسن من

---

(١) أى مزيد العلم فى وصل سماع الحسن .

على عليه السلام ، يجب أن ينصب إلى جميع أئمة الحديث والأصول ، وَيحكى عليه الاتفاق ، دون اعتبار النافين ، لمخالفة نفيهم للقواعد والأصول المتفق عليها ، كما هى الطريقة فى حكاية الإجماعات والاتفاقات فى الفروع مع حكاية ضعف قول المخالفين .

الوجه السادس : وإذا علم أن العبرة بالدليل وذكرنا أنه مع المثبتين ، فاعلم أن الحسن البصرى ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالمدينة المنورة ، فكان بها إلى أن بلغ من العمر أربع عشرة سنة ثم خرج إلى البصرة بعد قتل عثمان رضى الله عنه ، وهذا لا خلاف فيه بين أهل الحديث المتقدمين والمتأخرين ، كمحمد بن عمر الواقدى ، وابن سعد ، والبخارى ، وعلىّ بن المدينى ، وابن زرعة ، وأبى حاتم ، والترمذى ، وابن حبان وآخرين ، وذكره نقلا عن هؤلاء وغيرهم ابن الأثير (فى أسماء الرجال من جامع الأصول) والخطيب التبريزى فى (رجال المشكاة) وعبد الغنى فى (الإكمال) والمزى فى (التهذيب) والذهبى فى (تذهيبه) وغيره ، والحافظ فى تهذيب التهذيب ، وهو منقول عن الحسن البصرى بالأسانيد الصحيحة .

قال البخارى فى التاريخ . حدثنا الحميدى ، ثنا سفيان ، عن إسرائيل بن موسى ، قال : سمعت الحسن يقول : ولدت لسنتين بقيتا من خلافة عمر ، وقال أنا يوم الدار ابن أربع عشرة سنة .

وقال ابن سعد (فى الطبقات) قال : إسماعيل بن إبراهيم ، هو ابن علية ، عن موسى ، عن الحسن ، قال : قال لى الحجاج ما أمدك ياحسن ؟ قال قلت سنتان من خلافة عمر ، قال فقال : والله لعينك أكبر من أمدك .

ورواه أبو عبيد فى كتابه (غريب الحديث) عن ابن علية أيضاً وفسر قوله

ما أمدك بمنتهى العمر ، قال : وإنما أراد المولد ، ولم يرد بقوله سفتيان مضتا ، إنما أراد بقيتا ، وقال : وقوله : والله لعينك ، يقول : شاهدك ومنظرك ، اهـ .
بل نقل عن الحسن أيضاً أنه كان أيام خلافة عثمان ابن خمس عشرة سنة كما رواه ابن سعد عن أبي داود الطيالسي عن خالد بن عبد الرحمن بن بكير ، فقال : حدثنا الحسن ، قال : رأيت عثمان يخطب وأنا ابن خمس عشرة سنة قائماً وقاعداً . .

فصل

إذا ثبت هذا فعليّ عليه السلام كان طول هذه المدة بالمدينة المنورة لم يفارقها إلا بعد قتل عثمان رضي الله عنه بأربعة أشهر ، كما ذكره القضاعي وغيره . لأن مقتل عثمان كان لثمان عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين كما ذكره ابن حبان في الثقات ؛ وخروج عليّ عليه السلام كان في آخر شهر ربيع الثاني سنة ست وثلاثين ، كما رواه عمر بن شبة في (أخبار البصرة) بسند حسن عن عبد الرحمن بن أبي ليلى فصح يقيناً أنه كان مع عليّ في بلد واحد ؛ إلى أن بلغ سنه الرابع عشرة ، أو الخامس عشرة ، ثم إنه ربي في بيت أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها ، لأن والدته خيرة كانت مولاة لأم سلمة رضي الله عنها ، ولذلك كان الحسن يدخل سائر بيوت أمهات المؤمنين رضي الله عنهن . كما قال ابن سعد في الطبقات . فأخبرنا مسلم بن إبراهيم حدثنا حريث بن السائب عن الحسن قال : كنت أدخل بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم في خلافة عثمان فأتناول سقف البيت بيدي .

وقال البخاري في الأدب المفرد : أخبرنا عبد الله حدثنا حريث بن السائب به مثله ، وعليّ عليه السلام كان يزور أمهات المؤمنين ويتردد إليهن في مصالحهن بوصاية من النبي صلى الله عليه وسلم ، لا سيما أم سلمة رضي الله عنها ، فإنها

كانت لها مزيد اتصال بعليّ وآل بيته الكرام ، والحسن فى بيتها مقيم مع والدته .

وفى مستدرك الحاكم عن عمرة بنت عبد الرحمن قالت : لما سار عليّ إلى البصرة دخل على أم سلمة يودعها ، الحديث .

وأيضا كان على عليه السلام جارا لأم سلمة وأزواج النبى صلى الله عليه وسلم إذ بيته كان بلصق بيوتهن ، وقد ادخل الجميع فى الحرم النبوى بعد ذلك . ولا يزال موضع بيت فاطمة عليها السلام معروفا من المسجد كمواضع بيوت أمهات المؤمنين .

وأيضا فإن عليا عليه السلام كان يؤم الناس ويصلى بهم الجمعة والعيد أيام حصار عثمان ، وهى نحو خمسين يوما ، والحسن إذ ذاك مراهق قد ناهز الاحتلام فهو ممن كان يلازم الصلاة خلفه ، تلك المدة جزما ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم أمر الصحابة أن يأمروا الصبيان بالصلاة وهم أبناء سبع ، ويضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، فكيف بابن أربع عشرة سنة ، الذى ربى فى بيت النبوة وحجر أم سلمة رضى الله عنها ، وبيتها إذ ذاك بلصق المسجد ، وبابه مفتوح إليه ، وهم لا يعرفون التخلف عن الجماعة ، ولا الصلاة إلا فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم ، على أنه ورد ذلك عن الحسن صريحا كما سيأتى ، فكيف ترد مع هذه القرائن القائمة مقام النص القاطع رواية من روى عن الحسن عن عليّ بالإرسال والانقطاع ؟ ويقبل قول من نفى السماع ؟ فضلا عن الرؤية والاجتماع ؟

الوجه السابع : أنه نقل عنه رؤية عثمان وسماع خطبته . والرواية عنه ، وقد استشهد قبل مفارقة عليّ المدينة بمدة ، ولم يكن له من المجاورة والاتصال بأم سلمة رضى الله عنها ما كان لعلى عليه السلام ، فكيف لا يثبت اجتماعه بعلى ، وأخذه عنه ؟

قال عبد الله بن أحمد فى زوائد مسند أبيه : حدثنى زياد بن أيوب ، حدثنا هشيم ، قال : زعم أبو المقدام عن الحسن بن أبى الحسن ، قال : دخلت المسجد فإذا أنا بعثمان بن عفان متكىء على ردائه ، فأتاه سقاءان يختصمان إليه ، فقضى بينهما ثم أتيته فنظرت إليه ، فإذا رجل حسن الوجه ، بوجنته نكتات جدرى ، وإذا شعره قد كسا ذراعيه .

وقال الطبرانى (فى الكبير) حدثنا أبو يزيد القراطيسى ، ثنا أسد بن موسى ثنا المبارك بن فضالة ، قال : سمعت الحسن يقول : أدركت عثمان ، وأنا يومئذ قد راهقت الحلم ، فسمعته يخطب وشهدته يقول : ما تنقمون علىَّ ؟ قال : وما من يوم إلا وهم يقتسمون فيه خيراً كثيرا . يقول : يا معشر الناس ، أغدوا على أعطياتكم ، فيغدون فيأخذونها وافرة ، ثم يقول : يا معشر المسلمين أغدوا على كسوتكم ، فيجاء بالحلل فتقسم بينهم .

وقال : أنا الثقة عن يونس عن الحسن قال سمعت عثمان يخطب وهو يأمر بذبح الحمام ، وقتل الكلاب .

وقال البخارى فى الأدب المفرد : حدثنا موسى بن إسماعيل ، قال : حدثنا مبارك يعنى ابن فضالة ، عن الحسن ، قال : سمعت عثمان يأمر فى خطبته بقتل الكلاب وذبح الحمام .

وقال الدولابى فى الكنى : حدثنا أسحاق بن سيار النصيبى ، ثنا أبو قرة عبد المجيد بن أيوب الواشجى ، ثنا عقبة الأصم الرفاعى ، قال : سمعت الحسن بن أبى الحسن يقول : ولدت لسنتين بقيتا من خلافة عمر ، وقرأت القرآن فى خلافة عثمان ، ورأيت عثمان يخطب على المنبر ، وعليه قميص لين ، يقعد أحيانا ويقوم أحيانا ، يأمر بقتل الحمام الطيارة والكلاب ، وينهى عن المثلة .

وفى (التمهيد) لابن عبد البر عن الحسن قال : سمعت عثمان غير مرة يقول : فى خطبته أقتلوا الكلاب واذبحوا الحمام .

وقال : ابن جرير حدثنى المثنى ثنا إسحاق بن الحجاج ، ثنى إسحاق بن إسماعيل ، عن سليمان بن أرقم ، عن الحسن . قال : رأيت عثمان بن عفان على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عليه قميص فوهى ، محلول الزر ، وسمعته يأمر بقتل الكلاب وينهى عن اللعب بالحمام ، ثم قال : يا أيها الناس اتقوا الله فى هذه السرائر ، فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (والذى نفس محمد بيده ما أسر أحد سريرة إلا البسه الله رداءها علانية، إن خيرا فخير وإن شرا فشر) ثم قرأ هذه الآية (وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله) قال : السمت الحسن[١] :

وقال : ابن أبى شيبة فى (المصنف) ثنا ابن علية ، عن شعيب بن الحجاب عن الحسن ، قال : رأيت عثمان يُصَب عليه من إبريق .

وقال : أحمد فى الزهد حدثنا إسحاق بن سليمان ، ثنا أبو جعفر ، عن يونس ، عن الحسن ، قال : رأيت عثمان قائما فى المسجد فى ملحفة ، ليس حوله أحد ، وهو أمير المؤمنين .

ورواه أحمد أيضاً وأبو نعيم فى (الحلية) والبيهقى فى (السنة) من طريق عبد الله بن عيسى أبى خلف الخزاز ، عن يونس بن عبيد : أن الحسن سئل عن القائلة فى المسجد ، فقال : رأيت عثمان بن عفان وهو يومئذ خليفة ، يقيل فى المسجد وأثر الحصا بجنبه ، فيقول الناس: هذا أمير المؤمنين هذا امير المؤمنين . فإذا ثبت سماع الحسن من عثمان الذى هو أقدم موتا من علىّ ، فسماعه من علىّ أولى بالثبوت .

---

(١) أى لباس التقوى هو السمت الحسن .

فإن قلت : المطالب النقلية لا يكتفى فيها بالإمكان ؟ بل لابد من الوقوع ، والوقوع لا يثبت بالقياس ، بل لابد من النقل ، لأن الراوى قد يتهيأ له السماع والرواية من شيخ ، ولا يتهيأ له ذلك من قرينه ومن فى طبقته ، لأسباب وموانع .

قلت : الجواب عن هذا فى الوجه الذى بعده .

الوجه الثامن : أن الحسن روى عن على عليه السلام عدة أحاديث ، أسندها من جهته جماعة من الرواة ، كما أسند الصوفية من جهته الخرقة والتلقين والصحبة والاقتداء ، والأصل فى رواية العدل الثقة : الاتصال ، وعدم الانقطاع ، حتى يقوم الدليل على الإرسال ، وعدم الاتصال ، والدليل قائم ينفى الانقطاع ، شاهد بثبوت الاتصال ، فالأحاديث المذكورة كلها متصلة غير منقطعة والذى أمكن الوقوف عليه منها عشرة أحاديث(١) .

الحديث الأول : قال الإمام أحمد فى المسند : حدثنا هشيم . قال : أخبرنا يونس . عن الحسن . عن على . قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم . يقول : (رفع القلم عن ثلاثة عن الصغير حتى يبلغ . وعن النائم حتى يستيقظ . وعن المصاب حتى يكشف عنه) .

ورواه عن الحسن أيضا قتادة . قال : أحمد حدثنى بهز . وحدثنا عفان . قالا : حدثنا همام . عن قتادة . عن الحسن . عن على أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (رفع القلم عن ثلاثة عن النائم حتى يستيقظ . وعن المعتوه أو قال المجنون حتى يعقل . وعن الصغير حتى يشب) .

---

(١) بقى حديث حادى عشر ، ذكره الحافظ فى تهذيب التهذيب عن الحسن عن على عليه السلام فى أن أولاد الزنا يعتقون . يعنى إذا كان أحدهم رقيقا صح عتقه فى كفارة ونحوها .

وقال الترمذي : حدثنا محمد بن يحيى القطعى . حدثنا بشر بن عمر ثنا همام . عن قتادة . عن الحسن به .

وقال الحاكم فى المستدرك أخبرنا أبو بكر بن إسحاق ، أنا على بن عبدالعزيز ثنا همام به ، كذا وقع فى النسخة المطبوعة وفيه انقطاع .

الحديث الثانى : قال النسأئى (فى الكبرى) حدثنا الحسن بن أحمد بن حبيب ، ثنا شاذ بن فياض ، عن عمر بن إبراهيم ، عن الحسن عن على : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أفطر الحاجم والمحجوم) .

وقال عبد الرزاق فى مصنفه عن معمر ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن على عليه السلام به ، وهو حديث متواتر ، روى عن النبى صلى الله عليه وسلم . من طرق متعددة .

الحديث الثالث : قال الطحاوى فى (معانى الأثار) حدثنا ابن مرزوق ، قال : حدثنا عمرو بن أبى رزين ، قال : حدثنا هشام بن حسان ، عن الحسن ، عن خمسة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم على بن أبى طالب وعبدالله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وعمران بن حصين ورجل آخر : أنهم كانوا لا يرون فى مس الذكر وضوءا .

الحديث الرابع قال الطحاوى أيضاً : حدثنا أحمد بن داود ، قال : حدثنا أبو عمر الحوضى ، قال : حدثنا حمام عن قتادة . عن الحسن . وخلاس بن عمرو أن عليا قال : فى الرهن يترادان الزيادة والنقصان جميعا ، فإن أصابته جائحة برىء .

(تنبيه) أورد الحافظ السيوطى فى (اتحاف الفرقة) هذا الأثر فوقع له فيه وهم ، فإنه قال : قال الطحاوى: حدثنا نصر بن مرزوق ، حدثنا الخطيب ثنا حماد ابن سلمة . عن قتادة . عن الحسن . عن على . قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

إذا كان فى الرهن فضل ـ فأصابته جائحة فهو بما فيه) ه والموجود فى (معانى الآثار) حدثنا نصر ثنا الخصيب ، ثنا حماد بن سلمة ، عن قتادة ، عن خلاس ، هو ابن عمرو ، أن عليا قال : إذا كان فى الرهن فضل فأصابته جائحة ، فهو بما فيه ، وإن لم تصبه جائحة واتهم فإنه يرد الفضل . حدثنا أحمد بن داود ، قال : حدثنا أبو عمر الحوضى ، إلى آخر الأثر الذى أوردناه فانتقل بصره من السند الذى أراده ، إلى المتن الذى قبله ، فظن أنه مرفوع ، وهو موقوف .

الحديث الخامس : قال الدارقطنى فى سننه : حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز قال حدثنا داود بن رشيد ، حدثنا أبو حفص الأبار ، عن عطاء بن السائب عن الحسن ، عن علىّ عليه السلام ، قال : فى الخلية والبرية والبتة والبائن والحرام ـ ثلاث ، لا تحل حتى تنكح زوجا غيره .

ورواه ابن أبى شيبة فى (مصنفه) مفرقا فى خمسة أبواب بسند واحد ، فقال : حدثنا ابن فضيل ، عن عطاء بن السائب عن الحسن به .

الحديث السادس : قال الدارقطنى (فى السنن) أيضاً : حدثنا أحمد بن محمد ابن عبد الله بن زياد القطان ، حدثنا الحسن بن على بن شبيب المعمرى ، قال : سمعت محمد بن صدران السلمى ، يقول : حدثنا عبد الله بن ميمون المرائى ، حدثنا عوف ، عن الحسن أو خلاس ، عن على رضى الله عنه شك ابن ميمون أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ـ لعلى عليه السلام (يا على قد جعلت إليك هذه السبقة بين الناس) فخرج على رضى الله عنه ، فدعا سراقة بن مالك ، فقال : يا سراقة الحديث .

وهكذا رواه البيهقى أيضاً فقال : أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان ، أنبأنا أبو سهل بن زياد القطان ، ثنا الحسن بن على بن شبيب المعمرى به مثله ،

بالشك فيه عن الحسن أو خلاس ، ونقله الحافظ السيوطى فى (الاتحاف) من سنن الدارقطنى فأورده عن الحسن وحده ، جازما به فلعله تصرف منه .

الحديث السابع قال الخطيب فى التاريخ ، أخبرنا الحسن بن أبى بكر ، أخبرنا أبو سهل أحمد بن محمد بن عبد الله بن زياد القطان ، حدثنا محمد بن غالب ، ثنا يحيي بن عمران ، فى شارع دار الرقيق ، حدثنا سليمان بن أرقم ، عن الحسن ، عن علىّ ، قال : كفنت النبى صلى الله عليه وسلم فى قميص أبيض ، وثوبى حبره ، سليمان بن أرقم ضعيف ، لكن قال بعض الحفاظ : أنه توبع عليه .

الحديث الثامن : قال أبو نعيم فى الحلية : حدثنا عبد إلله بن محمد ، حدثنا أبو يحيي الرازى ، ثنا هناد ، ثنا ابن فضيل ، عن ليث عن الحسن . عن علىّ رضى الله عنه . قال : طوبى لكل عبد نؤمة ، عرف الناس ، ولم يعرفه الناس . عرفه الله تعالى برضوانه ، أولئك مصابيح الدجى . يكشف الله تعالى عنهم كل فتنة مظلمة . ويدخلهم الله تعالى فى رحمة منه . ليس أولئك بالمذاييع البذر ولا الجفاة المرائين . .

الحديث التاسع قال الدارقطنى : حدثنا على بن عبد الله بن مبشر . حدثنا أحمد بن سنان . ثنا يزيد بن هرون . أنا حميد الطويل عن الحسن . قال : قال على : إن وسع الله عليكم فاجعلوه صاعا من بر وغيره . يعنى زكاة الفطر .

الحديث العاشر قال ابن جرير فى التفسير : حدثنا المثنى . قال : حدثنا الحجاج بن المنهال . ثنا سفيان بن عيينة عن إسرائيل . عن أبى موسى . سمع الحسن البصرى . يقول : قال علىّ فينا والله أهل بدر نزلت الأية (ونزعناما فى صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين) .

وستأتى أحاديث أخرى فى الوجه الذى بعده .

وذكر الحافظ السيوطى حديثاً من كتاب (العروس) لجعفر بن محمد الحسينى أعرضنا عن ذكره لكونه متكلماً فيه ، بل الحافظ السيوطى نفسه أورده فى ذيل الموضوعات .

فصل

فهذه الأحاديث محكوم باتصالها على قواعد أهل الحديث المتفق عليها ، بل على شرط البخارى ومسلم فى الاتصال كما سيأتى بيان شروطهما ، فالخرقة مثلها .

فإن قيل : إن الحسن البصرى وإن كان إماماً ثقة ، لكنه مدلس ، وعنعنة المدلس لا تقبل ، ولا يثبت بها الاتصال ، والأحاديث السابقة كلها معنعنة ، فلا يثبت بها المطلوب .

قلنا : الجواب عن هذا هو :

الوجه التاسع : وهو أن الحسن قد ثبت عنه بالأحاديث الصحيحة : أنه رأى عليًّا ، وسمع منه ، وجالسه فى حلقته ، وصلى خلفه مدة طويلة ، بألفاظ لا تحتمل التدليس ، ولا تقبل التأويل ، وهى كافية فى إبطال قول كل منكر ، ونافٍ للرؤية والسماع .

أما الرؤية : فقال البخارى فى التاريخ الصغير فى ترجمة سليمان بن سالم القرشى أبى داود العطار : سمع على بن زيد من الحسن قال : رأيت عليًّا والزبير التزما ورأيت عليًّا وعثمان التزما .

وقال ابن أبى حاتم فى المراسيل : سئل أبو زرعة عن الحسن : لقى أحداً من البدريين ؟ قال : رآهم رؤية . رأى عثمان بن عفان وعليًّا ، قال : وقال الحسن : رأيت الزبير يبايع عليًّا رضى الله عنهما .

فصل

وأما السماع : فقال : أبو يعلى فى (مسنده) حدثنا حوثرة[١] بن أشرس ، قال : أنا عقبة بن أبى الصهباء الباهلى ، قال : سمعت الحسن يقول : سمعت علياً عليه السلام يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثل أمتى مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره » أورده الحافظ فى تهذيب التهذيب ، ثم قال : قال محمد بن الحسن الصيريفينى شيخ شيوخنا : هذا نص صريح فى سماع الحسن من علىّ كرم الله وجهه ، ورجاله ثقات ، حوثرة وثقه ابن حبان ، وعقبة ، وثقه أحمد ، وابن معين هـ .

وقال الحافظ التركمانى بعد نقل عبارة ابن حبان فى توثيق حوثرة ، مع أنقاله عن أحمد وابن معين وغيره فى توثيق عقبة ما نصه : فالحديث مسلسل بأئمة أهل البصرة ، ولعمرى ما للمنكرين من جواب عن هذه الرواية السالبة عنهم الدراية فى الباب هـ .

حديث آخر : قال الحافظ جمال الدين محمد بن يوسف بن مسدى المتوفى شهيداً بمكة سنة ثلاث وستين وستمائة فى مسلسلاته : صافحت أبا عبد الله محمد بن عبد الله ابن عيسوى النفزاوى بها ، قال صافحت أبا الحسن على بن سيف الحضرمى بالأسكندرية[٢] ح ، وصافحت أيضاً أبا القاسم عبد الرحمن بن أبى الفضل المالكى

---

(١) وقع هذا الاسم فى بعض النسخ من زاد المسير ، بلفظ : جويرية ، وهو تصحيف من بعض النساخ .

(٢) يرمز المحدثون بلفظ ح إلى تحويل السند من شيخ إلى شيخ ، لتقوية السند بتعدد طرقه ، وقوله بعد : قال كل واحد منهما ، يعنى أبا الحسن على بن يوسف الحضرمى ، وشبل بن أحمد بن شبل . ونحن نتصل بهذا السند من طريق شيخنا أبى =

بالأسكندرية ، قال صافحت شبل بن أحمد بن شبل قدم علينا ، قال كل واحد منهما : صافحت أبا محمد عبد الله بن مقبل بن محمد العجيبي ، قال صافحت محمد بن الفرج بن الحجاج السكسكي ، قال : صافحت أبا مروان عبد الملك بن أبي ميسرة ، قال : صافحت أحمد بن محمد الثغري بها ، قال : صافحت أحمد بن الأسود ، قال : صافحت ممشاد الدينوري ، قال : صافحت على بن رزين الخراساني ، قال : صافحت عيسى القصار ، قال صافحت الحسن البصري ، قال : صافحت عليّ بن أبي طالب ، قال صافحت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : صافحت كفي هذه سرادقات عرش ربي عز وجل . قال ابن مسدي : غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وهذا إسناد صوفي هـ .

قال الحافظ التركماني أحمد الأسود ومن فوقه إلى الحسن مشاهير أئمة الصوفية ، ومن دونه ليس فيهم من يصلح لأن يتهم بكذب بل ولا يضعف هـ . كذا قال ؟ آخذاً من عدم ذكرهم في كتب الضعفاء كالميزان ولسانه ، ثم للحديث طريق آخر .

قال الحافظ شمس الدين بن الجزري في (أسنى المطالب) : صافحت الشيخ الإمام العالم الزاهد أبا محمد محمد بن محمد بن محمد بن محمد النسائي الجمالي رحمه الله . وهو صافح الشيخ الإمام المحدث محمد بن مسعود الكازروني ، قال : صافحت أبا الخير محمد بن على بن محمد الأصبهاني الموازيني ، قال : صافحت علي بن محمد بن عبد الصمد الدوني ، قال : صافحت الشيخ أبا الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني ، قال : صافحت أبا إسحاق إبراهيم بن أحمد بن عبد الله بن محمد القرطي ،

= النصر القاوقجي رحمه الله عن والده أبي المحاسن القاوقجي الشاذلي صاحب المؤلفات الكثيرة ، المتوفى سنة ١٣٠٥ هجرية ، وهو من جملة ثمانين مسلسلا رويناها من هذا الطريق ، كما رويناها من طرق أخرى والحمد لله رب العالمين .

بمدينة عدن ، قال : صافحت والدى بعدن ، قال : صافحت على بن أبى بكر بن حمير بن تبع بالمسجد السعيدى فى عدن ، قال : صافحت سالم بن عبد الله بن محمد بن سالم الإمام ، قال : صافحت أحمد بن عبد الله الثغرى ، قال : صافحت أحمد الأسود بسنده السابق .

فصل

وأما المجالسة ، فقال الدولابى فى الكنى : أخبرنى أحمد بن شعيب النسائى ، قال : أنبأنا على بن حجر ، قال : حدثنا حكام بن أسلم ، عن أبى حمزة عبد الله ابن جابر ، عن الحسن ، قال : إنى لفى حلقة علىّ إذ جاءت الصيحة من دار عثمان فرأيته رافعاً يديه إلى السماء وهو يقول : اللهم إنى أبرأ إليك من دم عثمان . قال الحافظ التركانى : رواته كلهم ثقات ، فذكر توثيق جميعهم ، ثم قال : ومن أعجب كرامة الحسن على ربه ، أن رواة هذا الأثر كرواة خبر مثل أمتى المصرح فيه بالسماع ، لم يتكلم فى سند واحد منهما أحد من الحفاظ هـ .

قلت : وله مع ذلك طريق آخر ، قال : اللالكائى فى (السنة) أخبرنا أحمد ابن محمد الفقيه ، أنا محمد بن أحمد بن حمدان ، ثنا تميم بن محمد ، ثنا نصر بن على ، ثنا محمد بن سواء ، ثنا سعيد بن أبى عروبة ، عن عامر الأحول ، عن الحسن ، قال شهدت عليًّا بالمدينة وسمع صوتاً ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : قتل عثمان ، قال : اللهم أشهد أنى لم أرضى ولم أمالىء ، مرتين أو ثلاثا .

فصل

وأما الصلاة خلفه ، فقال البيهقى فى (السنن الكبرى) أنبأنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر بن الحسن القاضى ، قالا : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، ثنا العباس الدورى ، ثنا الحسن بن بشر ، ثنا الحكم بن عبد الملك ، عن قتادة ،

عن الحسن ، قال : أمنا علىّ بن أبى طالب فى زمن عثمان رضى الله عنه عشرين ليلة ، ثم احتبس ، فقال بعضهم : قد تفرغ لنفسه ، ثم أمهم أبو حليمة معاذ القارى ، فكان يقنت ، وتكلم فيه المارديني فى (الجوهر النقى) لأنه مما احتج به البيهقى على مخالفة مذهب أبى حنيفة ، وترجم للباب الذى أورده فيها ، من قال : (لا يقنت فى الوتر إلا فى النصف الأخير من رمضان) فقال الحكم : هذا ليس بثقة ، وليس بشيء ، وقال أبو حاتم مضطرب ، وقال أبو داود : منكر الحديث ، وقتادة مدلس ، وقد عنعن . والحسن لم يصح لقاؤه لعلىّ هـ .

قلت : أما كونه لم يلق عليًّا ، فقول باطل ، لا شبهة فيه ، وهو ناشيء عن تقليد وجهل بما أوردناه ، وأما التعلق بتدليس قتادة ، فأبطل وأبطل ، فإن طول ملازمة قتادة للحسن وروايته عنه لاتحتاج إلى تحرز من تدليسه ، ثم إن أحاديث قتادة بأسرها لا فرق فيها بين المخرج منها فى الصحيحين وغيرهما كلها بالعنعنة كسائر أحاديث تلك الطبقة ، فينتج منه أنه لا يوجد فى الدنيا حديث صحيح من رواية قتادة البتة ، وأما الحكم فقد وثقه العجلى مع تعنته فى الرجال ، وروى عنه كثير من الحفاظ ، واعتبروا حديثه ، واحتج به البخارى فى الأدب المفرد وغيره ، بل صحح له الترمذى ، مع أن من يتكلم فيه إنما يصفه بالانفراد : بما لا يتابع عليه ، وهذا من أوهام الجارحين وتعنتهم ، وأى ضرر على الحافظ فى الانفراد ؟ لا سيما مع التوسع والإكثار ، وقد سكت البيهقى عن الحديث المذكور ، وذكره فى كتابه (المعرفة) بصيغة الجزم محتجاً به ، فهو ثابت صحيح ، لا سيما مع شواهده الصحيحة ، ووجود البراهين القاطعة على اجتماع الحسن بعلىّ عليه السلام .

الوجه العاشر : أنه ورد عن الحسن البصرى أيضاً التصريح بالإكثار من الرواية عن علىّ ، والسماع منه ، وأن جل مراسيله سمعها من علىّ عليه السلام .

قال الحافظ المزى فى (التهذيب) : أخبرنا أبو إسحاق بن الدراجى ، عن

أبى جعفر الصيدلانى إذناً ، قال : أخبرنا أبو على الحداد ، قال : أخبرنا أبو نعيم ، حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن العباس بن عبد الرحمن بن زكريا الأطروش ، حدثنا أبو حنيفة محمد بن حنيفة الواسطى ، ثنا محمد بن موسى الحرشى ، ثنا ثمامة بن عبيدة ، قال : حدثنا عطية بن محارب ، عن يونس بن عبيد ، قال : سألت الحسن قلت : يا أبا سعيد إنك تقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنك لم تدركه ، قال ابن أخى إنك سألتنى عن شىء ما سألنى عنه أحد قبلك ، ولولا منزلتك منى ما أخبرتك ، إنى فى زمان كما ترى ، وكان فى عمل الحجاج ، كل شىء سمعتنى أقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو عن على بن أبى طالب غير أنى فى زمان لا أستطيع أن أذكر علياً .

الوجه الحادى عشر : أن الحسن سئل عن علىّ ، فأجاب السائل بقوله : كان علىّ والله سهماً صائباً من مرامى الله على عدوه ، وربانى هذه الأمة ، وذا فضلها ، وذا سابقتها ، وذا قرابتها ، من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن بالنؤمة عن أمر الله ، ولا بالملومة فى دين الله ، ولا بالسروقة لمال الله ، أعطى القرآن عزائمه ، ففاز منه برياض مونقة ، ذلك علىّ بن أبى طالب يا لكع . ذكره ابن عبد البر فى (الاستيعاب) . فقد أجاب عنه جواب من عرف أحواله ، وشاهد سيرته ، ثم إن السائل لم يسأله عنه ، حتى كان مشهوراً عندهم أنه رأى عليا . وخالطه ، فلذلك سأله عنه .

الوجه الثانى عشر : أن الحسن ثقة باتفاق الأمة ، وإجماع الأئمة[1] ، وقد روى عن علىّ عليه السلام تارة بالعنعنة ، وأخرى بالسماع ، وصرح مع ذلك

(١) وقد ذكره الذهبى فى الميزان ، استطرادا ، فى ترجمة مشابهة له فى اسمه ، وهو الحسن بن أبى الحسن المؤذن البغدادى الضعيف ، وصرح بامامته قال : إلا أنه كثير التدليس ، فإذا قال : حدثنا فهو ثقة بلا نزاع .

بأنه رأى عليا ، وجالسه ، وصلى خلفه ، وشهد له التاريخ ، وصدقه العيان ، فى كونه كان معه فى بلد واحد ، بل جاراً له ، إلى أن بلغ سنه الرابع عشرة ، ولم يرد عنه تكذيب لذلك ، ولا رجوع عنه ، فكيف يشك مع هذا فى لقائه وصحة روايته عنه ؟ إذا صح السند إليه بذلك ؟ وسند الخرقة والصحبة رجاله فى أعلى درجة الثقة والعدالة والصدق والأمانة ، فسند الخرقة والصحبة صحيح ، متصل لا شك فيه ، ولا شبهة .

فإن قيل : سلمنا الرؤية واللقاء والمجالسة والاجتماع ، ولكن الحسن كان صغير السن لا تتهيأ له الرواية والسماع ، وحفظ الأحاديث والأخبار .
قلنا : جوابه .

الوجه الثالث عشر : وهو أن سماع من سنه أربع عشرة سنة أو خمس عشرة كما كان سن الحسن يوم خروج علىّ من المدينة ، من أعلى ما يطلب فى سن بداية السماع وكتابة الحديث فى العصور المتأخرة ، فضلا عن عصر الصحابة والتابعين .

قال يحيى بن معين : حد الغلام فى كتابة الحديث أربع عشرة سنة .

وقال أبو نعيم الفضل بن دكين : سمعت الحديث وأنا ابن أربع عشرة سنة ، بل جمهور العلماء على أن السماع يصح ممن هو دون السن المذكور ، وهو الصحيح من مذاهب أهل الحديث والأصول ، لأن كثيراً من الصحابة حفظوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورووا الأحاديث الكثيرة عنه ، وهم لم يبلغوا السن المذكور ، بل منهم من لم يقاربه . فقد روى سهل بن سعد الساعدى عن النبى صلى الله عليه وسلم أزيد من مائة وثمانين حديثاً ، وكان سنه يوم انتقال النبى صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى خمس عشرة سنة .

وروى الحسن بن علىّ عليهما السلام عن النبى صلى الله عليه وسلم أربعة عشر حديثاً ، وكان سنه يوم انتقال النبى صلى الله عليه وسلم عشر سنين أو دونها .

وروى أخوه الحسين الشهيد عليه السلام ، عشرة أحاديث أيضاً أو نحوها ، وهو أصغر من أخيه الحسن .

وروى عبد الله بن الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم أزيد من ثلاثين حديثاً ، وكان سنه يوم انتقال النبي صلى الله عليه وسلم تسع سنين .

وروى النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم أزيد من مائة وعشرين حديثاً ، وإن لم يصرح بالسماع منها إلا في العدد اليسير ، وكان سنه يوم انتقال النبي صلى الله عليه وسلم تسع سنين أو عشراً ، لأنه أكبر من ابن الزبير بستة أشهر .

وروى أبو الطفيل عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو عشرة أحاديث ، وأدرك من حياة النبي صلى الله عليه وسلم نحو عشرة أعوام أو أقل[١] .

وروى السائب بن يزيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أزيد من عشرين حديثاً ، وأدرك من حياة النبي صلى الله عليه وسلم ثمان سنين .

وروى المِسْوَر[٢] بن مخرمة عن النبي صلى الله عليه وسلم أزيد من عشرين حديثاً ، وأدرك من حياة النبي صلى الله عليه وسلم ثمان سنين أيضاً .

وروى عمر بن أبي سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم إثنى عشر حديثاً ، وأدرك من حياة النبي صلى الله عليه وسلم تسع سنين .

وروى يوسف بن عبد الله بن سلام عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو أربعة

---

(١) وهو آخر الصحابة موتا على الاطلاق ، توفى بالبصرة سنة ١١٠ هـ وجهل ابن حزم صحبته ، وجرحه في المحلى ، ورد عليه مصحح الكتاب بأنه تابعي ثقة .

(٢) بكسر الميم وسكون السين وفتح الواو ، ومخرمة : بفتح الميم والراء بينهما خاء ساكنة .

أحاديث وتركه صغير السن ، روى عنه أنه قال : سمانى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوسف وأقعدنى فى حجره ، ومسح على رأسى ، وكذلك عبد الله بن جعفر ومسلمة بن مخلد ، وآخرون .

وهذه عائشة[1] أم المؤمنين رضى الله عنها . روت عن النبى صلى الله عليه وسلم أكثر من ألف ومائتى حديث ، وضبطت الكثير من أحواله وسننه ، وقد تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى ابنة تسع سنين ، فحفظت عنه فى ذلك السن فما بعده إلى أن انتقل وسنها ثمان عشرة .

وكذلك أنس بن مالك رضى الله عنه أتت به أمه إلى النبى صلى الله عليه وسلم يخدمه وهو غلام صغير يلعب مع الصبيان ، فحفظ عنه السنن والشرائع ، وروى أكثر من ألفى حديث ، ومائتى حديث بالتثنية فيهما .

وكذلك عبد الله بن عباس روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أزيد من ألف وستمائة حديث وملأ الدنيا علماً وتفسيراً لكتاب الله تعالى ، ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم ، ولم يدرك من حياته صلى الله عليه وسلم إلا أربع عشرة سنة .

وكذلك أبو سعيد الخدرى وآخرون يطول ذكرهم .

وأما التابعون ومن بعدهم فلا يدخلون تحت الحصر ، وقد روى الخطيب (فى الكفاية) عن سعيد بن عامر ، قال : حملنى خالى على عاتقه فسمعت شميلا ، يحدث عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم (مثل الجليس الصالح مثل العطار

---

(١) وهى أحد حفاظ الصحابة السبعة الذين رووا أكثر من الف حديث ، وهم مجموعون فى هذين البيتين :

سبع من الصحب فوق الالف قد نقلوا   عن المصطفى المختار خير مضر
أبو هريرة سعد جابر أنس   صديقة وابن عباس كذا ابن عمر

سعد هو أبو سعيد الخدرى ، لأن اسمه سعد بن مالك بن سنان ، ويلاحظ أن معظم هؤلاء السبعة كانوا صغار السن .

إن لم تصب من عطره . أصبت من ريحه ، ومثل الجليس السوء مثل القين إن لم يحرق ثوبك ، أصابك من ريحه) .

وعن الفضل بن زياد ، قال : سمعت أحمد ، وذكر ابن عيينة ، فقال : أخرجه أبوه إلى مكة ، وهو صغير ، فسمع من الناس : عمرو بن دينار وابن أبي نجيح في الفقه ، ليس تضمه إلى أحد إلا وجدته مقدماً .

وعن نصر بن علي ، حدثني أبي ، قال : ذكر ابن عيينة ، عند شعبة ، فقال : رأيت ذلك الغلام عند عمرو بن دينار وبيده ألواح ، وفي أذنه قرط من ذهب .

وعن النضر الهلالي ، قال : كنت في مجلس سفيان بن عيينة ، فنظر إلى صبي دخل المسجد ، فكأن أهل المجلس تهاونوا به لصغر سنه ، فقال سفيان : (كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم) ثم قال لي يا نضر لو رأيتني ولي عشر سنين ، طولي خمسة أشبار ، ووجهي كالدينار ، وأنا كشعلة نار ، ثيابي صغار ، وأكمامي قصار ، وذيلي بمقدار ، ونعلي كآذان الفار ، اختلف إليّ علماء الأمصار ، مثل الزهري ، وعمرو بن دينار ، وأجلس بينهم كالمسمار ، محبرتي كالجوزة ، ومقلمتي كالموزة ، وقلماً كاللوزة ، فإذا دخلت المجلس قالوا : وسعوا للشيخ الصغير ، ثم تبسم ابن عيينة ، وضحك ، وتسلسل[1] ذلك منه إلينا . فسمعناه من أبي النصر القاوقجي ، وأبي حفص العطار ، وأبي عبد الله بن جعفر ، وغيرهم . من طريق عابد السندي ، وأبي المحاسن القاوقجي ، وابن عقيلة ، وآخرين .

وروى الخطيب أيضاً عن ابن المديني ، قال : حدثنا حفص بن غياث ، قال سمعت طلق بن معاوية يحدث عن أبي زرعة عن أبي هريرة فذكر خبراً ، ثم قال : حفص سمعت هذا الحديث منه منذ سبعين سنة ولم أبلغ عشر سنين ، وعن أبي بكر ابن عياش ، قال : قال رجل للأعمش : هؤلاء الغلمان حولك ، قال : اسكت هؤلاء ؛ يحفظون عليك أمر دينك .

(١) هذا من المسلسلات الثمانين التي أشرنا إليها في مسلسل المصافحة .

وعن الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد : أن الأوزاعى سئل عن الغلام يكتب الحديث قبل أن يبلغ ؟ فقال : إذا ضبط الإملاء ، جاز سماعه وإن كان دون العشر ، واحتج بحديث سبرة بن معبد (مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر) .

وعن إبراهيم الحربى قال : مات عبد الرزاق وللدبرى[1] ست سنين أو أربع سنين والدبرى هو رواية كتب عبد الرزاق كلها . وقد شحن الأئمة والحفاظ كتبهم بالرواية عن عبد الرزاق من طريق الدبرى ، وكذلك أبو عمرو الهاشمى ، راوية سنن أبى داود . عن اللؤلؤى ، سمعه عليه أربع مرات ، آخرها وهو ابن خمس سنين ، فاعتمد الحفاظ راويته وسمع من لا يحصى منهم السنن ، من طريقه، إلى غيرهم من يستحيل على المخلوق إحصاؤهم ، فمن القرن الثانى إلى أواخر القرن التاسع ، وآلاف المخلوقات تسمع الحديث وتسمع أبناءها فى سن الطفولة[2] والصبا ، بل وفى سن الرضاع ، كما هو معلوم ، لأهل هذا الشأن ، وما فى كتب الرجال وطبقات المحدثين وإن كثر فإنما هو قطرة من بحر .

وقد نص على هذا شيوخ الفن وأئمته ، كابن الصلاح ، وابن الأثير ، والنواوى والبلقينى ، والعراقى ، وآخرين .

---

(١) اسمه إسحاق الدبرى ، بفتح الدال والباء .

(٢) وكثيرا ماتجد فى الأجزاء الحديثية ، وفى كتابة الطباق : حضورا فى الخامسة أو الرابعة مثلا ، يعنون أن الراوى حضر وهو فى سن الخامسة أو الرابعة وهذا لايكاد يخلو منه جزء ولا طباق . وقد بلغ درجة الاجتهاد الشريف التلمسانى أحد أئمة المالكية الواصلين إلى درجة الاجتهاد. نبغ فى العلم وهو دون البلوغ وتصدر للتدريس فى ذلك السن ، فرآه رجل يدرس للطلبة فى رمضان وهو مفطر ، فسأله على سبيل التنكيت بقوله : أحائض الشيخ أم نفساء ؟ فأجابه الشريف : لم أبلغ الحلم ياطويل الآذان ! وللشريف هذا كرامات عديدة رضى الله عنه .

قال ابن الصلاح : يصح التحمل قبل وجود الأهلية فتحمل رواية من تحمل قبل الإسلام ، وروى بعده ، وكذلك رواية من سمع قبل البلوغ ، وروى بعده ، ومنع من ذلك قوم فأخطأوا ، لأن الناس قبلوا رواية أحداث الصحابة كالحسن بن عليّ وابن عباس وابن الزبير والنعمان بن بشير وأشباههم ، من غير فرق بين ما تحملوه قبل البلوغ وما بعده ، ولم يزالوا قديماً وحديثاً يحضرون الصبيان مجالس التحديث والسماع ، ويعتدون بروايتهم لذلك . ه بل قد حددوا السن الذى يصح معه التحمل بخمس سنين ، وترجم البخارى لذلك فى الصحيح (باب متى يصح سماع الصغير) ثم أخرج حديث محمود بن الربيع ، قال : عقلت من النبي صلى الله عليه وسلم مجة مجها فى وَجهى ، وأنا ابن خمس سنين من دلو ، بل جوز بعضهم السماع فى سن الأربع ، على ما فى بعض الروايات لحديث محمود .

قال القاضى عياض : حدد أهل الصنعة فى سن التحمل والسماع أن أقله سن محمود بن الربيع ، فذكر الحديث ثم قال : فى رواية أخرى له أنه كان ابن أربع سنين ، أسنده عنه ابن الصلاح ، ثم قال : والتحديد بخمس هو الذى استقر عليه عمل أهل الحديث المتأخرين فيكتبون لابن خمس فصاعدا سمع ولمن لم يبلغ خمسا حضر أو أحضر ، فأين سن الخمس من سن الأربع عشرة التى كان فيها الحسن البصرى يوم خروج عليّ من المدينة ، على أن الذى ارتضاه المحققون هو عدم التحديد بالخمس وأن المدار على الفهم والتيقظ والتمييز الذى قد يحصل لبعض الأفراد دون سن الخمس .

قال ابن الصلاح : والذى ينبغى فى ذلك أن يعتبر فى كل صغير حاله على الخصوص فإن وجدناه مرتفعاً عن حال من لا يعقل فهما للخطاب ورداً للجواب ونحو ذلك صححنا سماعه ، وإن كان دون خمس ، وإن لم يكن كذلك لم نصحح سماعه وإن كان ابن خمس بل ابن خمسين ، وقد بلغنا عن إبراهيم بن سعيد

الجوهرى قال : رأيت صبيا ابن أربع سنين وقد حمل إلى المأمون قد قرأ القرآن ونظر فى الرأى غير أنه إذا جاع بكى ، وعن القاضى أبى محمد عبد الله بن محمد الأصبهانى قال : حفظت القرآن ولى خمس سنين وحملت إلى أبى بكر المقرى لأسمع منه ، ولى أربع سنين فقال بعض الحاضرين لا تسمعوا له فيما قرأ فإنه صغير فقال لى ابن المقرى إقرأ سورة الكافرين ، فقرأتها فقال : اقرأ سورة الكوثر فقرأتها ؛ فقال لى غيره : إقرأ سورة المرسلات فقرأتها ، ولم أغلط فيها ، فقال ابن المقرى : إسمعوا له والعهدة على ، قال : وأما حديث محمود بن الربيع فيدل على صحة ذلك من ابن خمس مثل محمود ، ولا يدل على انتفاء الصحة فيمن لم يكن ابن خمس ، ولا على الصحة فيمن كان ابن خمس ، ولم يميز تمييزاً محموداً . ا هـ .

وقال النووى : إن التقييد بالخمس أنكره المحققون ، وقالوا : الصواب أن يعتبر كل صبى بنفسه ، فقد يميز لدون خمس ، وقد يتجاوز الخمس ولا يميز ؛ هـ بل نقل الزركشى فى (البحر المحيط) عن أبى نصر القشيرى حكاية إجماع أهل الحديث على أن الصبى المميز يصح منه التحمل . وإن لم يفهم المعنى . بدون تقييد بسن مخصوص .

فصل

فإذا صح أن المعتبر هو التمييز فقط ، وصح التحمل فى سن الرابعة فالحسن أولى بذلك لأمور .

الأمر الأول : أنه كان فى سن المراهقة قد ناهز الاحتلام ، وجاوز سن التمييز .

الأمر الثانى : أنه كان قد حفظ القرآن ، ولازم الصلاة فى الجماعة فريضة ونافلة وحضر خطب عثمان ، كما تقدمت الأسانيد بذلك .

الأمر الثالث أنه كان كامل المنظر وافر العقل ، متفوقا على أقرانه ، ومن هو فى سنه كما تقدم فى قول الحجاج له : والله لعينك أكبر من أمدك ، فإن من يكون كذلك يكون متفوقا على أقرانه فى العقل والتمييز .

الأمر الرابع : أنه أتى موهبة كبرى ، وفتوحا خاصا من صغره ، بسبب ارتضاعه من بعض أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وهى أم سلمة رضى الله تعالى عنها .

قال أبو نعيم فى الحلية . حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر ، ثنا عبد الله بن محمد بن أبى كامل ، ثنا هوذة بن خليفة ، عن عوف بن أبى جميلة الأعرابى ، قال : كان الحسن ابنا لجارية أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، فبعثت أم سلمة جاريتها فى حاجتها فبكى الحسن بكاء شديدا فرقت عليه أم سلمة ، فأخذته فوضعته فى حجرها فالقمته ثديها فدر عليه ، فشرب منه فكان يرى أن المبلغ الذى بلغه الحسن من الحكمة بذلك اللبن الذى شربه من أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وقال ابن سعد فى الطبقات بعد ذكره أن أم الحسن كانت مولاة لأم سلمة رضى الله عنها : فيذكرون أن أمه ربما غابت فيبكى الصبى ، فتعطيه أم سلمة ثديها تعلله به إلى أن تجىء أمه ، فدر عليه ثديها فشربه ، فيرون أن تلك الحكمة والفصاحة من بركة ذلك ﻫ .

وهكذا رواه محمد بن سلام الجمحى عن أبى عمرو الشعاب ، وذكره غير واحد من المتقدمين كابن قتيبة وابن الجوزى وآخرين .

فصل

فبان مما ذكرنا من الوجوه ثبوت الاتصال وعدم الانقطاع ، وأن الخرقة بالنسبة لرواية الحسن البصرى عن علىّ عليه السلام صحيحة متصلة على شرط

البخارى ومسلم ، وجميع أهل الحديث والأصول ، من مخفف ومتشدد ، ففى (تقريب) النواوى وشرحه للحافظ السيوطى : الإسناد المعنعن قيل أنه مرسل حتى يتبين اتصاله ، والصحيح الذى عليه العمل . وقاله الجماهير من أصحاب الحديث والفقه والأصول : أنه متصل،قال ابن الصلاح : ولذلك أودعه المشترطون للصحيح فى تصانيفهم ، وأدعى أبو عمر والدانى اجماع أهل النقل عليه ، وكاد ابن عبد البر يدعى أجماع أئمة الحديث عليه ، قال العراقى : بل صرح بادعائه فى مقدمة التمهيد بشرط أن لا يكون المعنعن مدلسا ، وشرط إمكان لقاء بعضهم بعضا ، وفى اشتراط ثبوت اللقاء وطول الصحبة ومعرفته بالرواية عنه خلاف ، منهم من لم يشترط شيئا من ذلك واكتفى بإمكان اللقاء ، وعبر عنه بالمعاصرة ، وهو مذهب مسلم بن الحجاج ، ادعى الإجماع فيه فى خطبة صحيحة ، وقال : إن اشتراط ثبوت اللقاء قول مخترع لم يسبق قائله إليه ، وإن القول الشائع المتفق عليه بين أهل العلم بالأخبار قديما وحديثا : أنه يكفى أن يثبت كونهما فى عصر واحد ، وإن لم يأت خبر قط أنهما اجتمعا أو تشافها .

ومنهم من اشترط اللقاء وحده ، وهو قول البخارى وابن المدينى والمحققين من أئمة هذا العلم ، إلا أن البخارى لا يشترط ذلك فى أصل الصحة ، بل التزمه فى جامعه فقط ، وابن المدينى يشترطه فيها . ونص على ذلك الشافعى فى الرسالة .

ومنهم من اشترط طول الصحبة ، وهو أبو المظفر السمعانى .

ومنهم من اشترط معرفته بالرواية عنه ، وهو أبو عمرو الدانى .

واشترط أبو الحسن القاسى أن يدركه إدراكا بينا ؛ حكاه ابن الصلاح . قال شيخ الاسلام الحافظ من حكم بالإنقطاع مطلقا شدد ، ويليه من شرط طول الصحبة ، ومن اكتفى بالمعاصرة سهل ، والوسط الذى ليس بعده إلا التعنت مذهب البخارى ومن وافقه هـ .

فهذه الشروط كلها متوفرة فى رواية الحسن عن على عليه السلام ، بالعنعنة فإنه عاصره وأدرك من حياته نحو عشرين سنة ، وكان معه فى بلد واحد ، إلى أن بلغ خمس عشرة سنة أو أربع عشرة كما هو شرط مسلم ، ولقيه ، واجتمع به وجلس فى حلقته ، وصلى خلفه فى الفريضة ، منذ بلغ سن السبع أو دونه ، وصلى خلفه فى رمضان عشرين ليلة ، كما هو شرط البخارى وطالت صحبته إياه فى المدينة المنورة ، لأنه كان جارا له فى بيت أم سلمة ، وكان يجلس فى حلقته كما هو قول أبى المظفر السمعانى ، مع أنه قول باطل مخالف لأشد الناس شروطا ، وهو البخارى ، فضلا عن غيره ، وهو معروف بالرواية عنه كما سبقت أحاديثه وأخباره فى ذلك كما هو قول أبى عمرو الدانى ، مع أنه قول باطل أيضاً . وقد أدرك عليا إدرا كا بينا أبين من إدراك كثير من الصحابة الذين أجمعت الأمة على صحبتهم وصحة أحاديثهم كما بينا ذلك سابقا ، كما هو قول أبى الحسن القابسى ولا يغيب عنك أن هذه الشروط كلها فى الحديث المعنعن ، وأما ماصرح فيه بالسماع مع الثقة والعدالة فهو بمعزل عن كل هذا . لأن تصريحه بالسماع مع ثقته وعدالته تقضى على كل احتمال ولا تحتاج إلى شرط ، ولا احتياط ، وإلا كان كاذبا غير عدل ولا ثقة ، والمفروض خلاف ذلك . وقد علمت تصريح الحسن بالسماع من على فاتضح سماع الحسن من على ، وصحة رواية الخرقة عنه وضوح الشمس فى رابعة النهار .

وليس يصح فى الأذهان شىء إذا احتاج النهار إلى دليل

فإن قيل : هذا فيما يتعلق بالرواية وسماع الحديث والصوفية لا يروون من طريق الحسن عن على مجرد الإلباس والتلقين اللذين هما من قبيل الرواية كما قررته سابقا ، وشرحته ، بل يسندون من جهته الصحبة والاقتداء والأدب والسلوك وما ينشأ عنها من مواهب وأسرار وعلوم ومعارف ، وذلك يحتاج إلى طول

صحبة وملازمة وإلى سن يليق بذلك ، وسن الحسن البصرى وصحبته لعلى لاتكفى فى المطلوب على ما يريده الصوفية .

فالجواب من وجوه :

الوجه الأول : أن الحسن صحب عليا من سن تمييزه ، وهو سن الخمس إلى أن بلغ من العمر أربع عشرة سنة فصحبه نحو تسع سنين أو ثمانية ، وتأدب بأدبه واهتدى بهديه ، لأنه كان جارا له فى بيت أم سلمة التى كانت حريصة على تأديبه وتعليمه ، وكانت ترسله لأفاضل الصحابة يحنكونه ، ويبركون عليه ويدعون له ، فكيف تغفله عن الاتصال بأعلم الصحابة وأعرفهم بالله فى عصره على بن أبى طالب الذى كان لها به وبأهل بيته مزيد اتصال وكامل محبة .

الوجه الثانى أن فوائد الصحبة للكمل والتأدب بأدبهم والاهتداء بهديهم تحصل للراغب فيه فى أقرب وقت ، وأقل اتصال ، كما حصل لكثير من الصحابة برؤية النبى صلى الله عليه وسلم ، والتابعين برؤية الصحابة ، وغيرهم بصحبة العارفين ، فكيف بالحسن البصرى المخصوص بالعناية والتربية فى بيت النبوة ، وحجر أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ، والذى كان ينطق بالحكمة حتى قيل فيه إن كلامه يشبه كلام الأنبياء ؟ وقد صحب أفضل الصحابة فى عصره وأعرفهم بالله تعالى ، وعميد أهل بيت النبوة ، وباب مدينة العلم ، وأخا النبى صلى الله عليه وسلم وخليفته الباطنى ، وموضع علمه وسره ومرجع الصوفية ، ومدد الأولياء لاجرم أن يكون أولى من جميع من بعدهما فى ذلك .

قال أبو حامد الفاسى فى (مرآة المحاسن) لما تكلم على الحسن البصرى : ولو لم يثبت له من على كرم الله وجهه غير الرؤية لكفت ، فإن خصوصية الصحبة والتابعية تكفى فى حصولها الرؤية ، ومن المشايخ من يوصل إلى الله بنظرة وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلى فى تلميذه أبى العباس رضى الله عنهما : أبو العباس هذا إذا نظر إلى رجل أغناه ، فذلك فى حق على كرم الله وجهه من

أقرب القريب بالأولوية الواضحة ، لاسيما فى حق الحسن المستعد لقبول ذلك النور ، ويكفيه خصوصية التقام الثدى الطاهر ، فإنه به متأهل لذلك (والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم)ه .

وقال أخوه أبو العباس أحمد (فى المنح الصافية) ولا مانع من أخذ الحسن رضى الله عنه عن على كرم الله وجهه كما يقوله الصوفية أهل البصيرة الصافية رضى الله عنهم ، حيث ثبتت الرؤية ، لأن هذه الطريقة لما كانت ليس المعتبر فيها أخذ المريد وتلقينه من الشيخ باللسان ، بل المقصود منه أن يحصل على سبيل الهمة والحال هداية المريد ، وإشراق الأنوار فى قلبه ، ويحصل له بسببه تجليات وأنوار من ربه ، ويطلع على حقيقة العلم ، ومكنون السر ، حتى ينقطع إليه ، ويؤثر خدمته ويقبل عليه ويرفض ما سواه ، إلى غير ذلك من المواهب التى هذه من أوائلها ، كما قال قطب زمانه أبو الفضل ابن عطاء الله فى (المنن) وليس شيخك من سمعت منه ، إنما شيخك من أخذت عنه ، وليس شيخك من واجهتك عبارته ، إنما شيخك الذى سرت فيك إشارته ، وليس شيخك من دعاك إلى الباب ، إنما شيخك الذى رفع بينك وبينه الحجاب ، وليس شيخك من واجهك مقاله ، إنما شيخك الذى ينهض بك حاله ، شيخك هو الذى أخرجك من سجن الهوى ، ودخل بك إلى المولى ، شيخك هو الذى ما زال يجلو مرآة قلبك ، حتى تجلت فيه أنوار ربك ، نهضك إلى الله فنهضت إليه ، وصار بك حتى وصلت إليه ، وما زال محاذيا لك حتى ألقاك بين يديه ، فزج بك فى نور الحضرة وقال : ها أنت وربك ، هنالك محل الولاية من الله ، وموطن الإمداد من الله ، وبساط التلقى من الله إلى آخر كلامه . وإذا كان فى أولياء الله تعالى من يغنى بنظرة ويكسب الطالب الصادق حالا وحياة ، كما قيل : لله عباد إذا نظروا إلى الشخص أكسبوه سعادة ، وكما قال القطب أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه فى

تلميذه أبى العباس المرسى رضى الله عنه : فوالله إنه ليأتيه البدوى يبول على ساقيه، فلا يمسى عليه المساء إلا وقد وصله إلى الله تعالى ، وقال القطب أبو العباس المرسى فى نفسه والله ما بينى وبين الرجل إلا أن أنظر إليه نظرة ، وقد أغنيته . فكيف لا يكون هذا فيمن قال فيه صلى الله عليه وسلم (على منى بمنزلة هرون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى) كما رواه الشيخان فى صحيحهما ، وقال فيه أيضاً النبى صلى الله عليه وسلم (علىّ منى وأنا منه ، لا يؤدى عنى إلا أنا أو علىّ) أخرجه الترمذى والنسائى وابن ماجه وغيرهم .

وقال فيه الشيوخ رضى الله عنهم : إنه أعطى العلم اللدنى ، ولا تصح النسبة إلى الولاية الحقيقية والمعارف الأهلية إلا من جهته وحقيقته ، فهو إمام الأولياء المحمديين كلهم ، وأصلهم ، ومنشأ انتسابهم . إلى الحضرة المحمدية ، إلى آخر ما سبق عنه .

وقال الشيخ زروق فى (عدة المريد الصادق) :اعلم أن الأولياء الأوائل من القوم، لم يكن لهم ترتيب فى المشيخة معروف ، ولا اصطلاح مألوف ، وإنما كانت المحبة واللقاء ، فكان الأدنى منهم إذا لقى الأعلى ، استفاد برؤيته أحوالا ، لأن من تحقق بحالة لم يخل حاضروه منها، والأحوال موروثة ، فلذلك قال ابن العريف: كيف يفلح من لم يخالط مفلحا ؟ وكان الصحابة ينتفعون برؤيته عليه الصلاة والسلام ، حتى قال أنس رضى الله عنه : ما نفضنا أيدينا من تراب عند دفنه صلى الله عليه وسلم ، حتى أنكرنا قلوبنا هـ.

وقال العارف ابن عراق فى رسالته فى الخرقة والتلقين : واعلم أن من شرط الذكر أن يتلقى من أفواه سادات الرجال ، فإن لذلك شأنا عجيباً ، وخاصية غريبة ولهذا شبه النبى صلى الله عليه وسلم الرجل المسلم بالنخلة حيث قال لأصحابه (إن من الشجرة شجرة لا يسقط ورقها وإنها مثل الرجل المسلم حدثونى ما هى) قال الراوى وهو عبد الله بن عمر فوقع الناس فى شجر البوادى ، ووقع فى نفسى أنها النخلة ،

ثم قالوا حدثنا : ماهى يا رسول الله ؟ قال : (هى النخلة) وذلك ليعلم أن النخلة لا تثمر أبداً مالم تؤبر[١] فكذلك المريد الصادق مالم يتلقن الذكر من شيخ داع إلى الله على بصيرة ،ويمده بها ويلحظه ببصره ، لا تثمر شجرة وجوده، ولا يرطب بلحه ولقد أحسن من قال من العارفين بالله الدالين عليه : يبلغ المريد الصادق بنظر شيخه إليه ما لا يبلغه باجتهاده ألف سنة . ولقد صدق الفقيه الأجل محمد بن الحسين البجلى نفع الله به فى رؤياه للنبى صلى الله عليه وسلم قال: قلت ياسيدى يارسول الله أى الأعمال أفضل ؟ قال : وقوفك بين يدى ولى من أولياء الله كحلب شاة ، أو شىّ بيضة ، خير لك من أن تعبد الله حتى تنقطع إربا إربا . فقلت له يا سيدى حيا كان أو ميتاً ؟ قال : حيا كان أو ميتاً ، فالمريد الصادق لا يشوص[٢] نخيله ، والشيخ السابق لا يخيب نظره هـ .

وقال ابن المياق فى حق الشيخ المربى الكامل :

والعبد هذا هو الحر الذى حصلت له الخلافة جل الله معطيه
أوصافه ظهرت من وصف مبدعه وكله مظهـــر يبدى تجليه
إذا رؤى ذكر المولى برؤيته وفاز بالسعد والتقريب رائيه

قال ابن علان فى شرح البيت الأخير إذا رؤى هذا العبد ذكر المولى برؤيته، كما ورد فى وصف الصالحين (الذين إذا رؤوا ذكر الله) لأن نور قلبه مشرق على وجهه (سيماهم فى وجوههم) فمن رآه ؛ رأى نور الحق الساطع من قلبه على وجهه ، ومن تم له ذاك فاز بالسعد والقرب ، قال ابن علوان رضى الله عنه .

سعدت أعين رأتك وقرت وكذا أعين رأت من رآك

---

(١) تأبير النخل : تلقيحه .

(٢) يقال تشيص النخل إذا لم يثمر لعدم تلقيحه ، أما الشوص فهو التنظيف . شاص فمه بالسواك نظفه به والمضارع يشوص بضم الشين .

ومثلوا ذلك بالشمس إذا أشرقت على جدار ، وفى مقابل ذلك الجدار، جدار آخر ، فيشرق ذلك الجدار الآخر ، لمواجهته للجدار الذى أشرقت عليه الشمس، وهذه طريقة معروفة عند المشايخ ، يسمونها بالرابطة ، وهى رؤية وجه الشيخ ، فإنها تثمر ما يثمر الذكر ، بل هى أشد تأثيرا لمن عرف شروطها وآدابها ، وذلك إنما يكون للشيخ الكامل الفانى المشرق بالتجليات الذاتيات ، ومن ذلك كانت تربيته صلى الله عليه وسلم للصحابة ، فكانوا يستغنون برؤية طلعته الشريفة عن كل رياضة ومجاهدة ، وينتفعون بأنوار طلعته السعيدة أكثر ما ينتفعون بالأذكار فى مدة مديدة ، ولهذا كانت درجة الصحابة لا تضاهى ، والاجتماع بالمشايخ ولو ساعة مرتبة بها يتباهى ، اجتمع شخصان فى طريق ضيق ، فقال أحدهما الآخر : تقدم ، فقال : بم استحق التقدم عليك : فقال : لأنك صحبت الجنيد نصف يوم ، فجعل مصاحبته للجنيد نصف يوم ، فضيلة يستحق بها التقدم عليه . وهكذا أهل الإنصاف هـ .

وقال ابن عجيبة فى شرح تائية شيخه العارف البوزيدى رضى الله عنهما : فيا سعد من كان له مجاوراً ، يقول رضى الله عنه : يا سعده ، يا بشراه من كان مجاورا لصاحب هذه الروح الصافية ، التى سبقت لها العناية ، ولاحت عليها أنوار الولاية ، لأنه يدرك بصحبته فى ساعة واحدة على سبيل التعظيم والمحبة من العلوم والأسرار والمعارف والتمكين ، ما لا يدركه فى سنين متطاولة بالرياضة والمجاهدة فما بالك إذا طالت الصحبة والخدمة ؟

وقال ابن عباد فى شرح الحكم عند قول ابن عطاء الله : لا تصحب من لا ينهضك حاله ، بعد أن ذكر وصف المنتفع بصحبتهم ، وفى صحبة أمثال هؤلاء يحصل للمريد من المزيد ، ما لا يحصل له بغيرها من فنون المجاهدات ، وأنواع المكابدات ، حتى يبلغوا من ذلك إلى أمر لا يسعه عقل عاقل ، ولا يحيط به علم ناقل ، قال سيدى أبو العباس رضى الله عنه ماذا أصنع بالكيميا ؟ والله لقد صحبت

أقواما يعبر أحدهم على الشجرة اليابسة ، فيشير إليها فتثمر رمانا للوقت ، فمن صحب مثل هؤلاء الرجال ، ماذا يصنع بالكيمياء ؟ وقال أيضاً رضى الله تعالى عنه : والله ما سار الأولياء والإبدال من قاف إلى قاف ، إلا حتى يلقوا واحدا مثلنا . فإذا لقوه كان بغيتهم ، وقال أيضا رضى الله تعالى عنه الولى إذا أراد أغنى. وقال أيضا رضى الله تعالى عنه : ما بينى وبين الرجل إلا أن أنظر إليه نظرة وقد أغنيته . وقال فى شيخه أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه : أبو العباس هو الرجل الكامل ، والله إنه ليأتيه البدوى يبول على ساقيه ، فلا يمسى عليه المساء ، إلا وقد أوصله إلى الله ه .

وقال الشيخ زروق فى شرح الحكم ، عند قول ابن عطاء الله : سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه ، ولم يوصل إليهم إلا من أراد أن يوصله إليه ، ما نصه : وقد استقر صحيحا أنه ما خالط أحد صادقا إلا نفعه الله تعالى على قدر همته ، كما قيل : على قدر أهل العزم تأتى العزائم ، وقد قال شيخنا أبو العباس الحضرمى رضى الله عنه فى كتابه (صدور المراتب) فهنيئا مريئا لمن ذاق ، أو ذاق بعض ما ذاق . أهل الأذواق ، أو رأى من ذاق . فقد قال : (المطر قريب عهد بربكم) فيستحب البروز فيه ، والتبرك عند نزول المطر ، هكذا ذكره الشارع صلى الله عليه وسلم وهو مطر من السحاب ، فما ظنك بالمؤمن العارف بالله فمن الأحرى والأولى النظر إلى العارف بالله والصادق بالله والسائر لله النظر إليه بالتأثير فيه سعادة الدنيا والأخرى عند مصادفة المحل والتوفيق ، وقد تقدم من كلام الشيخ أبى محمد عبد السلام بن مشيش يوصى الشيخ أبا الحسن الشاذلى رضى الله عنهما ، واصحب من إذا ذكر ذكر الله . فالله يغنى به إذا شهد ، وينوب عنه إذا فقد ، ذكره نور القلوب ، ومشاهدته مفتاح الغيوب ه ، ومما يدل على أن رؤية العارف تزيد من نور المعرفة وغيرها ، قول أنس رضى الله عنه : ما نفضنا التراب من أيدينا من دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وجدنا

النقص فى قلوبنا ، وبالجملة فأولياء الله تعالى أبواب الله ، ومعرفتهم مفتاح تلك الأبواب هـ .

وقال الحافظ ابن كثير فى (البداية والنهاية) فى ترجمة الحسن البصرى : وقال يونس بن عبيد : كان الرجل إذا نظر إلى الحسن انتفع به وإن لم يسمع من كلامه ولم ير عمله هـ .

قلت : هذا والله حال كبار العارفين الذى أخبر به كل من رآهم وترجم لهم، ورأيناه عيانا والحمد لله: فكيف لا يكون علىّ كذلك ؟ وقد شهد له النبى صلى الله عليه وآله وسلم بذلك . وأشار إليه بقوله صلى الله عليه وسلم (النظر إلى على عبادة) فلم يكن عبادة إلا لكون الرائى يستفيد بالنظر إليه حالا وخشية وإيمانا ورغبة فى الآخرة . محبة فى الله تعالى ، فكيف بمن جالسه وخالطه وسمع منه ، ولا سيما مثل الحسن البصرى . قال : الحاكم فى (المستدرك) حدثنا دعلج ابن أحمد السجزى ، ثنا على بن عبد العزيز بن معاوية ، ثنا إبراهيم بن إسحاق الجعفى ، ثنا عبد الله بن عبد ربه العجلسى ، ثنا شعبة ، عن قتادة ، عن حميد بن عبد الرحمن عن أبى سعيد الخدرى ، عن عمران بن حصين ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (النظر إلى علىّ عبادة) قال الحاكم : هذا الحديث صحيح الإسناد ، وشواهده عن عبد الله بن مسعود صحيحه ، وتعقبه الذهبى ، فقال : بل موضوع .

قلت : كذب والله الذهبى وافترى ، إذ حكم على الحديث بالوضع ، دون أن يبين سبب ذلك ، ولا أن يكون فى سنده راو ضعيف ، ولا ذكر هو واحداً منهم فى الضعفاء . فقبح الله النواصب أعداء آل البيت الكرام ، والحديث صحيح ، كما قال الحاكم ، وله طرق كثيرة بلغ بها حد التواتر ، على رأى جماعة . إذ زادت على عشرة . ولحديث عمران هذا طريق آخر . قال أبو مسلم الكشى : حدثنا أبو نجيد عمران بن خالد بن طليق ، عن أبيه ، عن جده ، عن عمران بن حصين ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « النظر إلى وجه علىّ بن أبى طالب

عبادة » قال أبو عبيد : قال ابن الأعرابى : تأويله أن عليا كان إذا برز ، قال الناس : لا إله إلا الله ، ما أشرف هذا الفتى ، لا إله إلا الله ، ما أشجع هذا الفتى ، لا إله إلا الله ، ما أعلم هذا الفتى ، لا إله إلا الله ، ما أكرم هذا الفتى .
كذا أسنده ابن الأبار فى (معجم أصحاب الصرفى) من طريق الكشى .
ورواه الطبرانى عن الكشى به ، وفيه : رأيت عمران بن حصين يحد النظر إلى علىّ ، فقيل له ، فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « النظر إلى علىّ عبادة » وهذا سند حسن . وقد ذكر الذهبى فى (الميزان) : عمران بن خالد ، فقال : روى عن آبائه حديث النظر إلى على عبادة . رواه عنه يعقوب الفسوى ، وهذا باطل فى نقدى .

قلت : نقدك باطل فاسد ، فيه كل حديث ورد بفضل علىّ فهو موضوع ، فقبح الله نقداً يبطل أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهوى ، مع بغض آل بيته الكرام ، وقد تعقبه الحافظ صلاح الدين العلائى ، فقال : الحكم عليه بالبطلان بعيد ، ولكنه كما قال الخطيب : غريب هـ ، أى والغريب يجامع الصحيح كما هو حال أكثر الأحاديث الصحيحة ، ومع ذلك فليست غرابته مسلمة ، ولا يقصدون الغرابة من جهة الإسناد ، ولكن من جهة المعنى ، إذ لم يفهموا كون النظر إلى علىّ عبادة ، ولا تصوروا معناه ، لبعده عنهم ، فاستغربوه ، وهو أولى وأسلم من تهجم الذهبى الخبيث ، ومع كونه لم يذكر فى عمران جرحاً ، فعمران أيضاً لم ينفرد به ، بل توبع عليه .

قال أبو بكر أحمد بن شاذان فى مشيخته : حدثنا أبو بكر محمد بن يزيد البوشنجى يعرف بابن الأزهر ، ثنا العباس بن بكار بالبصرة ، حدثنى خالد بن طليق الخزاعى به . وخالد وإن قال الدارقطنى ليس بالقوى ، فقد ذكره ابن أبى حاتم ، وقال : إنه كان قاضى البصرة ولم يذكر فيه جرحا ، وقال : الساجى صدوق يهم ، وذكره ابن حبان فى الثقات ، فكل من طريقى عمران صحيح على

انفراده ، فكيف باجتماعهما ، فكيف مع وروده من حديث عبد الله بن مسعود وعائشة وأبى بكر وعثمان وثوبان وأبى هريرة وابن عباس وجابر بن عبد الله وأنس . فالحديث بمجموع طرقه صحيح البتة ، أو متواتر على رأى من يكتفى فى التواتر بعشرة ، ومعناه ما قررناه من انتفاع الرائى لعلىّ عليه السلام فى الباطن ، لمن كان فيه الاستعداد لذلك ، كالحسن البصرى ، والله أعلم .

الوجه الثالث : أن الانتفاع المذكور ، والفتح الإلهى لا يختص بالكبار دون الصغار ، فقد فتح على قوم فى سن الصبا ، أو ظهرت لهم بوادر الفتح ، ثم حصل الفتح التام فى حال الكبر ، وحال الحسن البصرى مع علىّ عليه السلام ، لا يخرج عن هذين الأمرين إما أن يكون الله تعالى أكرمه بالفتح فى صباه على يد علىّ عليه السلام أو حصلت له على يديه مقدمات ذلك وتم له الأمر بعد الكبر .

وقد ذكر ابن عطاء الله : فى بعض نسخ لطائف المنن عن أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه قال : سلك سيدى عبد السلام الطريق وهو ابن سبع سنين ، وظهر له من الكشف أمثال الجبال ، ثم خرج إلى السياحة ، وأقام بها ستة عشر سنة ، قال : فدخل عليه يوماً شيخ فى مغارة ، فقال له : من أنت ؟ قال له : أنا شيخك ، قد كنت ابن سبع سنين ، وكل ما كان يصلك من المنازلات فهو منى ، وهو كذا وكذا لجميع ما جرى له من الأحوال ، وكان سكناه بالمدينة ، وكان يجىء إليه ويعلمه ويفيده ؛ فقلت له : يا سيدى كان يأتيك طياً أو سفراً ؟ قال : فى ساعة يأتينى ويروح ، قلت يا سيدى : وكنت أنت تروح إليه ؟ قال : نعم ه ، وهذا الشيخ هو سيدى عبد الرحمن المدنى العطار ، وتقـــدم أن سيدى علياً وفا فتح له على يد والده سيدى محمد ، وأنه شيخه لا شيخ له فى الطريق غيره ، مع أنه لما توفى تركه ابن ست سنين .

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه : كنت مع أستاذى يعنى القطب ابن مشيش ؛ ومعه ابن له صغير . نخطر ببالى أن أسأل الأستاذ عن الإسم الأعظم فكاشفنى الصبى وقال لى : يا أبا الحسن ليس الشأن أن تعرف الإسم .

إنما الشأن أن تكون أنت عين الإسم؛ فتبسم الأستاذ . وقال لى : أجابك عنا ولدنا . وكم لهؤلاء من نظير . وأول من حصل له ذلك السبطان عليهما السلام . واسطة جدهما الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ، وقد تركهما عند انتقاله إلى الرفيق الأعلى دون عشر سنين . وقد نص أكابر الأقطاب على أن أول الأقطاب هو سيدنا الحسن السبط عليه السلام .

فصل

وقد أدخل جماعة فى سند الخرقة والتلقين بين الحسن البصرى وعلىّ ابنه الحسن السبط عليهما السلام ، منهم الساحلى فى (البغية) والفاسى فى (المنح البادية) والبدير فى (الجواهر الغوالى) وآخرون ، فإن كان ثابتا من جهة النقل فهو من المزيد فى متصل الأسانيد . لأن سماع الحسن من علىّ ثابت لا يحتاج إلى واسطة .

فصل

ومع ثبوت لقاء الحسن عليا عليه السلام ثبوتا لا شك فيه ولا شبهة ، كما يعلم مما أسلفناه ، فالخرقة لم ينفرد بها الحسن البصرى عنه ، بل وردت عنه من طرق أخرى .

الطريق الأول عن الحسن السبط عليه السلام عنه كما سبق فى سند الطريقة الشاذلية من رواية جابر عنه .

الطريق الثانى عن أويس القرنى ، عن عمر ، وعلى ، كما سبق أيضا مع الكلام على كل من الطريقين .

الطريق الثالث عن الحسين السبط عليه السلام عنه ، ويتصل من جهته عدة طرق منها الطريقة العلوية ، وقد أفرد سندها وتراجم رجاله بمؤلفات منها (البرقة الشيقة فى ذكر لباس الخرقة الأنيقة) للسيد أبى الحسن علىّ بن أبى بكر السكران

المتوفى سنة خمس وتسعين وثمانمائة وكنز (البراهين الكسبية) للسيد شيخ بن محمد الجفرى المتوفى سنة اثنتين وعشرين ومائتين وألف (وعقد اليواقيت الجوهرية) لشيخ بعض شيوخنا السيد عيدروس بن عمر الحبشى . وغيرها . قال : السيد على بن أبى بكر السكران فى البرقة المشيقه وفى كتابه (الأنموذج اللطيف فى فى مناقب الفقيه) المقدم محمد بن على باعلوى : أخذ الفقيه المذكور وتأدب بأبيه الحسيب النسيب على بن محمد ، وعلى بن محمد تأدب بأبيه الإمام المحقق والبحر المدفق الشيخ محمد بن الشيخ على علوى ، والفقيه محمد تأدب بأبيه الشيخ الكبير صاحب الكرامات الخارقة والمكاشفات المشرقة ، على بن الشيخ علوى والشيخ على هذا من كراماته : أنه كان إذا قال فى تشهده فى الصلاة السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ، يسمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول له وعليك السلام ياشيخ ورحمة الله وبركاته ، والشيخ على بن علوى المذكور تأدب بوالده الشيخ الشريف علوى بن الشيخ محمد بن علوى والشيخ علوى تأدب بأبيه الشيخ الحسيب النسيب الشريف محمد بن علوى والشيخ محمد بن الشيخ علوى بن الشيخ عبد الله تأدب بالشيخ الحسيب السنى علوى بن الشيخ عبد الله بن الشيخ أحمد ، والشيخ علوى بن عبد الله تأدب بأبيه الشيخ أبى المشايخ سلالة المبشر والنبوة ، ومعدن العلم والفتوة ، أبى علوى عبد الله بن الشيخ أحمد بن عيسى ، والشيخ عبد الله تأدب بوالده الشيخ الكبير سلالة المجد الأثيل كمال الدين أحمد بن الشيخ عيسى ، وأحمد بن عيسى هذا هو الذى خرج إلى حضرموت من البصرة ، والشيخ أحمد تأدب بأدب أبيه الشيخ السيد الأمام الفاضل ، والبحر الكامل مجموع أنواع المحاسن نور الدين على بن الأمام جعفر الصادق ، وبأدب أخيه موسى الكاظم ، بن جعفر الصادق ، والإمام جعفر تأدب بوالده الشيخ الإمام محمد الباقر ، ومحمد الباقر تأدب بوالده الإمام زين العابدين على بن الحسين ، وعلى بن الحسين تأدب بوالده سبط الرسول

نجل البتول الحسين ، والحسين تأدب بوالده الأمام أميرالمؤمنين على بن أبي طالب وعلى بن أبي طالب بالنبي صلى الله عليه وسلم ، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : (أدبني ربى فأحسن تأديبي) ه .

ومنها الطريقة البخارية الشاهية المنسوبة إلى جلال الدين البخارى وإلى الشاه عالم .

قال الشيخ فقير الله بن عبد الرحمن الحنفى من ذرية محمد بن الحنفية فى كتابه (قطب الإرشاد) : أخذتها عن الشيخ العلامة المحقق محمد هاشم التتوى عن السيد الشريف الجامع بين كمال الظاهر والباطن السيد محمد سعد الله بن السيد علام محمد الورتى ، عن شيخه القطب الكامل ، مظهر النور شاه عبدالشكور ، عن السيد الشريف شاه صوفى الجهنجهانى ، عن السيد شاه أبى الوقاء ، عن السيد تاج الدين ، عن السيد فريد عالم ، عن شاه عالم ، عن السيد قطب عالم ، عن السيد محمود ، عن السيد جلال الحق والدين البخارى ، المعروف بمخزوم جهانيات ، عن السيد أحمد الكبير ، عن السيد حسين جلال الدين البخارى الكبير ، عن السيد على ، عن السيد جعفر ، عن السيد محمد ، عن السيد محمود عن السيد أحمد عن السيد عبد الله ، عن الإمام السيد على الأسقى ، عن الإمام السيد جعفر ، عن الأمام السيد على ، عن الأمام السيد محمد الجواد ، عن الإمام السيد على الرضى ، عن والده السيد الامام موسى الكاظم ، عن والده السيد الإمام جعفر الصادق ، عن والده السيد الإمام محمد الباقر ، عن والده السيد الإمام زين العابدين ، عن والده السيد الإمام حسين الشهيد ، عن والده الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه ورضى عنه ، عن مرجع الكل سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

ومنها : الطريقة الشطارية إلا أن فيها الاتصال الروحانى بين الشيخ محمد المغربى ، وأبى يزيد البسطامى ، وبين أبى يزيد البسطامى ، وجعفر الصادق ، لأن

كلا منهما لم يدرك الآخر ، وإنما تلقن من روحانيته ، كما فى (الجواهر والسمط المجيد وقطب الإرشاد) وغيرها وساقها محمد بن عبد الرحمن الفاسى فى (المنح البادية) مساق الطرق المتصلة من غير تنصيص على الأخذ الروحانى بين المغربى وأبى يزيد البسطامى ، ولا بين أبى يزيد وجعفر الصادق ، فوهم . وأوهم .

الطريق الرابع عن كميل بن زياد عنه ، ومن جهته تتصل الطريقة الكبروية المنسوبة إلى نجم الدين أحمد بن عمر بن محمد بن عبد الله الخوارزمى المعروف بالكبرى[1] ، فإنه أخذ عن أبى إياس عمار بن ياسر بن محمد بن عماد بن مظهر ، عن جمال الدين أبى المظفر عبد الصمد الزنجانى ، عن أبى الفتوح أحمد بن محمد الغزالى ، عن أبى بكر النساج ، عن أبى القاسم الكركانى .

(ح)وأخذ نجم الدين الكبرى أيضا عن أبى الحسن إسماعيل بن الحسن بن عبد الله القصرى ، عن محمد بن مالكيل ، عن داود بن محمد المعروف بخادم الفقراء ، عن أبى العباس بن إدريس ، عن أبى القاسم بن رمضان ، عن أبى يعقوب الطبرى ، عن أبى عبد الله عثمان المكى ، عن أبى يعقوب النهرجورى ، عن أبى يعقوب السوس ، عن عبد الواحد بن زيد ، عن كميل بن زياد ، عن على عليه السلام .

وتتصل من جهته أيضا الطريقة الجشتية ، فإن شيخها قطب الدين مودود ابن يوسف الجشتى ، أخذ عن والده يوسف بن محمد بن سمعان . عن والده محمد عن والده سمعان عن خاله محمد بن أبى أحمد أبدال الجشتى عن والده أبى أحمد ابن فرشناقه ، عن أبيه . عن أبى إسحاق الشامى . عن ممشاد الدينورى . عن هبيرة البصرى . عن حذيفة المرعشى . عن إبراهيم بن أدهم . عن الفضيل ابن عياض . عن عبد الواحد بن زيد . عن كميل بن زياد . عن على عليه السلام .

---

(١) بضم الكاف ثم باء مفتوحة بعدها راء مفتوحة أيضا .

فصل

وقول ابن خلدون : إن الصوفية جعلوا لبس الخرقة أصلا لطريقهم ، كذب منه وافتراء ، فليس هو عندهم شرطا للدخول فيها ، فضلا عن أن يكون أصلا لها، وإنما جعله بعضهم علامة على الانتساب إلى الطريق ، وعتبة على الدخول فيها ، وأكثرهم أو كثير منهم كالشاذلية والنقشبندية لا خرقة فى طريقهم أصلا ، كما بيناه سابقا ، فقول ابن خلدون كذب منه على الصوفية أو جهل بطريقتهم التى لا يختلف اثنان من أهل العلم والأنصاف فى أن أصلها العمل بالعلم على وجه الإخلاص ، والأخذ بالعزائم ، دون الرخص ، وقد ذكر الناس للتصوف حدوداً بلغت الألفين ليس فى شىء منها . أن التصوف لبس الخرقة ، بل هى كلها راجعة كما قال الشيخ زروق إلى صدق التوجه إلى الله تعالى ، واختلاف تلك الحدود . إنما هى وجوه فيه ، وصدق التوجه مشروط بكونه من حيث يرضاه الحق ، بما يرضاه ولا يصح مشروط بدون شرط ، ولا يرض لعباده الكفر . فلزم تحقيق الإيمان (وإن تشكروا يرضه لكم) فلزم العمل بالإسلام ، فلا تصوف إلا بفقه ، إذ لا تعرف أحكام الله الظاهرة إلا منه ، ولا فقه إلا بتصوف ، إذ لا عمل إلا بصدق توجه ، ولا هما إلا بإيمان ، إذ لا يصح واحد منهما بدونه . فلزم الجمع لتلازمهما فى الحكم كتلازم الأرواح للأجساد، إذ لا وجود لها إلا فيها كما لا كمال له إلا بها ، ومنه قول الإمام مالك رضى الله عنه : من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ، ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ، ومن جمع بينهما فقد تحقق ، فتزندق الأول ، لأنه قائل بالجبر الموجب لنفى الحكمة والأحكام ، وتفسق الثانى لخلوه عن صدق التوجه الحاجز عن معصية الله تعالى ، وعن الإخلاص المشروط فى الأعمال ، وتحقق الثالث لقيامه فى الحقيقة فى عين تمسكه بالحق ه . فأصل التصوف هو الإيمان والإسلام ، والعمل بمقتضاها ، بل هو روحهما اللازم لهما ملازمة الروح للجسد ، بحيث يكون وجودهما بعدمه كوجود جسد بلا روح، ولذلك حكم الإمام رضى الله عنه

على الفقيه الذى لم يتصوف بالفسق ، لأن أعماله كلها مبنية على غير إخلاص ، وجارية على مقتضى هواه وطبيعته ، لا على هدى الشريعة وما جاءت به ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تابعا لما جئت به) وما جاء به هو ما عليه الصوفية رضى الله عنهم ، بدليل أنه يصدر على يديهم من الكرامات مثل ما كان يجرى على يد الأنبياء من المعجزات . وما ذلك إلا لكمال المتابعة وتمام التمسك بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ، ووراثة علمه كما قال صلى الله عليه وآله وسلم (العلماء ورثة الأنبياء) فهم الوارثون وحدهم ، لظهور ما كان عند المورث صلى الله عليه وسلم من الأحوال والأخلاق والأعمال عندهم ، لا عند الفقهاء ، وعلماء الظاهر الذين يظنون أنهم العلماء الوارثون جهلا منهم ، واغترارا وادعاء وافتراء ، فإن من ترك ذهبا وفضة وياقوتا وجوهرا ظهرت عند بعض أصحابه ، ثم ظهر عند البعض الآخر حديد ونحاس وقصدير ورصاص ، وادعى الكل أنه الذى ورث ما كان عند صاحبه ، فإن الأول صادق يشهد له العيان ويصدقه ما بيده من الذهب والجوهر ، والثانى كاذب فى دعواه ، لأنه ليس بيده شىء مما كان عند صاحبه ، فالصوفية رضى الله عنها يشهد لوراثتهم وجود التركة عندهم ، وهى العمل والتقوى والخشية والزهد والورع والكرم والحلم والصبر والاحتمال وملازمة الذكر والمراقبة وغير ذلك من المقامات التى هى سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وأخلاقه المعروفة فى كتب الحديث ، والمروية بنقل الكافة عن الكافة ، لا بنقل الصوفية وحدهم فإن ادعى الفقهاء وعلماء الظاهر أنهم متمسكون بذلك أيضاً كما هو الواقع ، كذبهم فراغ اليد من النتيجة فإن الصوفية رضى الله عنهم تظهر على يديهم نتيجة متابعة النبي صلى الله عليه وسلم فى تلك الأعمال والأخلاق ، وهى العلم اللدنى الذى تتفجر ينابيعه من صدورهم ، دون تعلم ولا مدارسة ، كما قال تعالى (واتقوا الله ويعلمكم الله) وهم القوم الذين يعلمهم الله لا غيرهم ، فدل على أنهم المتقون لا غيرهم ، إذ لو كانوا متقين مثلهم لعلمهم الله

تعالى . كما علمهم . وأيضاً لو اتبعوا النبي صلى الله عليه وسلم لأحبهم الله (فاتبعونى يحببكم الله) ولو أحبهم الله ، لكان سمعهم وبصرهم كما فى الحديث الصحيح ، ومن كان الله سمعه وبصره ويده ورجله سمع البعيد ، ونظر إلى المغيب ، وجرى على يده ما يعجز عنه البشر ، ومشى برجله إلى مالم يصل إليه غيره ، وصار العالم كله عنده بمنزلة نقطة واحدة ، وهذا إنما يصدر على يد الصوفية رضى الله عنهم . فدل على أنهم المحبوبون الفائزون بكمال المتابعة ، وأن الفقهاء وعلماء الظاهر لاحظ لهم فى كمال المتابعة ، وإنما لهم منها الصور الظاهرة . والله تعالى لا ينظر إلى الصور وإنما ينظر إلى القلوب والبواطن ، وبهذا تحقق صدق ما قاله الإمام مالك رضى الله عنه . وأن كل من لم يتصوف من الفقهاء ، فهو فاسق ، والفاسق لا تقبل شهادته لسقوط مروءته وانخرام ديانته ، هذا فيمن يكون متظاهراً بالصلاح ، والميل إلى الخير والدين ، فكيف بالفجار من العلماء الذين لا رغبة لهم إلا فى الدنيا ، ولا نظر لهم إلا فى الأسباب ، والطرق الموصلة إليها ، ولا شغل لهم إلا بها ، نسأل الله السلامة والعافية ، وابن خلدون كان من رؤوس هذه الفرقة مع الفسق الظاهر ، والميل إلى الأحداث وخدمة الملوك والأمراء ، وبغض أهل البيت الأطهار ، وعداوة أهل الله ، فلا جرم ينطق فيهم بمثل ما نقلناه عنه ، فإن من سخط الله عليه وسقط من عينه ، ابتلاه بالوقيعة فى الصوفية الذين هم صفوة الله من خلقه ، وألقى فى قلبه عداوتهم حتى يبارزهُ بالمحاربة ، ويلقى الله تعالى على ذلك نعوذ بالله من الخذلان .

فصل

ولو كان لبس الخرقة أصل طريق الصوفية كما يقول ابن خلدون ، لكان جل الرواة وأهل الحديث صوفية فقد لبس الخرقة أمم لا يحصيها إلا خالقها ولا يحيط بها إلا ربها ، من القرن السادس إلى وقتنا هذا ، بل لبسها حتى أشد الناس عداوة للصوفية ، وأكثرهم إنكاراً عليهم ، وطعنا فى طريقهم ، كما يعلم من كتب الرجال وتواريخهم ، ورواة السنن والمسانيد ومعاجم المتأخرين واثباتهم ، وفهارسهم ومسلسلاتهم ،

وقد لبسها الحافظ ابن حجر من يد جماعة كما فى (معجمه) وألبسها أيضاً لجماعة ، مع طعنه فيها ، وجزمه بانقطاع سندها . وكونه من أبعد الناس عن التصوف والصوفية وكذلك تلميذه الحافظ السخاوى ، بل ولبسها من هو أشد الناس عداوة للصوفية منهما كالذهبي وأمثاله ، فلو كانت هى أصل طريق التصوف والتخلى كما يقول ابن خلدون ، لكان هؤلاء من مشايخ الصوفية ، ويكفى فى بطلان هذا سماعه .

قال الحافظ السخاوى فى (المقاصد الحسنة) قال : شيخنا يعنى الحافظ : إنه ليس فى شىء من طرقها ما يثبت ، ولم يرد فى خبر صحيح ولا حسن ولا ضعيف أن النبي صلى الله عليه وسلم ألبس الخرقة على الصورة المتعارفة بين الصوفية لأحد من أصحابه ، ولا أمر أحدا من أصحابه بفعل ذلك إلى آخر ما سبق عنه . ثم قال : ولم ينفرد شيخنا بهذا ، بل سبقه إليه جماعة حتى من لبسها وألبسها كالدمياطى والذهبي والهكارى وأبى حيان والعلائى ومغلطاى والعراقى وابن الملقن والأبناسى والبرهان الحلبى وابن ناصر الدين وتكلم عليها فى جزء مفردا وكذا أفردها غيره ممن توفى من أصحابنا ، وأوضحت ذلك كله مع طريقها فى جزء مفرد ، بل وفى غيره من تآليفى ، هذا مع إلباسى إياها الجماعة من أعيان الصوفية امتثالا لإلزامهم لى بذلك حتى تجاه الكعبة المشرفة تبركا بذكر الصالحين ، واقتفاء لمن أثبته من الحفاظ المعتمدين هـ .

وقال أيضاً فى كتابه (الجواهر المكللة فى الأخبار المسلسلة) وكنت بحمد الله ممن لبست الطاقية الصوفية من جماعة كثيرين منهم الإمام الزاهد الحبر مفيد القاهرة الزين رضوان المقرى . الحافظ بلباسه لها من الشيخ الرحلة[1] الصدر محمد بن محمد البكرى ، بلباسه لها من القطب أبى بكر محمد بن أحمد القسطلانى ، بلباسه لها من الإمام الشهاب أبى حفص السهروردى ، بلباسه لها من قطب الأقطاب المحيوى

---

(١) بضم الراء المشددة وفتح الحاء واللام .

أبى محمد عبد القادر بن أبى صالح الكيلانى، بلباسه لها من أبى سعد المبارك بن على المخرمى ، وهو من أبى الحسن على بن أحمد الهكارى ، وهو من أبى الفرج الطرسوسى، وهو من أبى الفضل عبد الواحد التميمى، وهو من والده عبد العزيز، وهو من أبى بكر الشبلى ، وهو من سيد الطائفة أبى القاسم الجنيد البغدادى ، وهو من خاله أبى الحسن السرى السقطى وهو من أبى محفوظ معروف الكرخى وهو فيما يزعمه الصوفية من أبى سليمان داود بن نصير الطائى ، وهو كذلك من أبى محمد حبيب العجمى ، وهو فيما هو ممكن من الإمام أبى سعيد الحسن البصرى وهو فيما عند الصوفية من على بن أبى طالب رضى الله عنه ، قال : وإنما أثبت هذا هنا تبركا بذكر الصالحين ، واقتفاء لكثير من أئمة الحديث الماضين هـ .

وقال ابن الصلاح فيما نقله عنه الحافظ السيوطى فى (زاد المسير) ولى فى الخرقة إسناد عال جدا ، ألبسنى الخرقة أبو الحسن المؤيد بن محمد الطوسى ، قال أخذت الخرقة من أبى الأسعد هبة الرحمن بن عبد الواحد بن أبى القاسم القشيرى، قال : أخذت الخرقة من جدى الإمام أبى القاسم ، وهو أخذها من أبى على الدقاق وهو أخذها من أبى القاسم إبراهيم بن محمد بن حمويه النصراباذى ، وهو أخذها من أبى بكر الشبلى ، بسنده السابق .

وقال الحافظ شمسُ الدين بن الجزرى فى (أسنى المطالب بمناقب على بن أبى طالب) لبست الخرقة المباركة من يد شيخى وأستاذى الشيخ الصالح المسند المعمر أبى حفص عمر بن الحسن بن زيد بن أُمِيلة المراغى ، ثم الحلبى ، ثم المزى ، فى يوم الثلاثاء ثامن عشر شوال سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة وأخبرنى أنه لبسها من يد شيخه الإمام العلامة الزاهد العارف العابد الناسك عز الدين خطيب الخطباء أبى العباس أحمد بن الشيخ الإمام العالم الصالح الزاهد محى الدين إبراهيم بن عمر ابن الفرج بن أحمد بن شابور الواسطى الفاروثى ، شيخ القراءات والتفسير والتصوف فى سنة تسعين وستمائة ، وللشيخ عز الدين المذكور فى خرقة التصوف ثلاث طرق

أحمدية وقادرية وسهروردية. فأما الأحمدية فإنه لبسها من يد والده الشيخ محي الدين إبراهيم المذكور، وهو لبسها من يد والده الشيخ أبي حفص عمر بن الفرج ، وهو لبسها من يد شيخه ومربيه الشيخ الصالح الإمام العالم سيد مشايخ زمانه سيدي أحمد ابن الشيخ أبي الحسن علي بن أحمد بن يحيى بن حازم بن علي بن رفاعة المغربي المعروف بابن الرفاعي ، رحمه الله عليه . وأما القادرية فإنه لبسها من يد شيخه الإمام شيخ العارفين وإمام السالكين شهاب الدين أبي حفص عمر بن محمد بن عبد الله المعروف بعمويه [1] بن سعد بن الحسين البكري السهروردي ، وهو لبسها من يد الشيخ الإمام العالم السيد الكبير صاحب المواهب والكرامات والعجائب الظاهرات أبي محمد عبد القادر بن أبي صالح موسى جنكي دوست ابن عبد الله بن يحيى الكيلاني ، وأما السهروردية ، فإن الشيخ شهاب الدين السهروردي رحمة الله عليه لبس من يد شيخه وعمه الشيخ الإمام العارف الكبير ضياء الدين أبي النجيب عبد القاهر ، ثم ذكر سنده السابق إلى الجنيد ، ثم إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال الحافظ السيوطي في (زاد المسير) : ذكر سندي بلبس الخرقة وتلقين الذكر ، لبست الخرقة عن الشيخ الإمام العالم الصالح كمال الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن الشافعي المعروف بابن إمام الكاملية تجاه الكعبة المشرفة في شوال سنة تسع وستين وثمانمائة ، وأجاز لي أن ألبسها من شئت وكتب لي خطه بذلك ، وأخبرني أنه لبسها من الشيخ شمس الدين محمد بن محمد الجزري ، وهو لبسها من الشيخ زين الدين أبي حفص عمر بن الحسن بن أميلة المراغي ، إلى آخر ما سبق عنه .

وقال الحافظ تقي الدين الفاسي في (ذيل التقييد في رواة السنن والمسانيد) في

---

(١) بفتح العين وضم الميم وفتح الياء بعد هاء ساكنة .

ترجمة محمد بن أحمد الرفا : ولبس خرقة التصوف من العز بن جماعة ، وأبي الحزم القلانسي ، والعفيف اليافعي ، والصدر الميدومي ، وناصر الدين الفارقي ، والشيخ خليل المالكي ، والشيخ حيدر الفارسي ، وألبسها عنهم .

وقال في ترجمة قطب الدين محمد بن أحمد القسطلاني وسمع على الشيخ شهاب الدين عمر السهروردي ، كتاب (عوارف المعـــارف) ولبس منه خرقة التصوف هـ .

وقال ابن حجر الهيتمي في (فهرسته) : حكى التاج السبكي في طبقاته عن القاضي عز الدين الهكاري بن خطيب الأشمونين في مصنف ذكر فيه سيرة الشيخ عز الدين بن عبد السلام : أن الشيخ عز الدين لبس خرقة التصوف من الشيخ شهاب الدين السهروردي وأخذ عنه هـ .

وقال قبل ذلك : ذكر طريق القوم السالمين من المحذور واللوم ، في تلقين الذكر ، ولبس الخرقة جريا على قاعدتهم في ذلك . أخذت ذلك عن جماعة كثيرين من أئمة الطريق الجامعين بين العلوم الظاهرة والباطنة ، والأحكام والحكم ، والحقائق الموجودات ، المتحركة والساكنة . لكن منهم من غلب عليه الأول كشيخنا العارف المحقق الشمس بن أبي الحمائل ، ومنهم من غلب عليه الثاني كأشياخنا الثلاثة السابقين ، يعني شيخ الإسلام زكريا الأنصاري وعبد الحق السنباطي والحافظ جلال الدين السيوطي ، نعم شيخنا زكريا ممن تربى بتربية القوم ، فتلقن الذكر ، ولبس الخرقة ، واختلى وجاهد نفسه إلى أن أشرقت عليه أنوار القبول ، وخضعت لديه من أكابر العلماء الفحول ، ولقد قال يوماً لشيخه العارف السراج النبتيتي ، وكان الخضر يجتمع به كثيراً : يا مولاي لعلكم تجمعوني على الخضر فقال حتى أستأذنه ، ثم سأل شيخه هل اجتمعتم بالخضر ؟ وما الذي ذكره لكم في أمري ؟ فقال : استأذنته لك في أنك تجتمع به ، فقال : إلى الآن

ما جاء إبان الاجتماع ، أنه رجل صالح ، قال شيخنا زكريا : أخذت طريق القوم وتلقنت ولبست الخرقة من السادة المنتدبين للإرشاد والإفادة ، وذكر أسماءهم ، لكنا نقتصر على بعضهم إيثاراً للاختصار ، وهو العارف السراج النبتيتي السابق ذكره أيضاً ، قال : أخذت ذلك كله عن الجمال بن أبي المحاسن يوسف بن الصفى ، عن التاج محمد العجمى ، عن قطب الوقت سيدى يوسف العجمى الكورانى ، (صاحب الزاوية المشهورة بقرافة مصر) وقبره مشهور بها مجرب لإجابة الدعاء عنده ، بل قيل إنه يربى وهو فى قبره ، ولقد رأينا من انقطع بتلك الزاوية سنين عديدة ، فلاحت عليه لوائح أهل الطريق ، وكثرت أتباعه ، وسيدى يوسف أخذ عن النجم محمود الأصفهانى ، عن المظفرى ، عن النجيب على بن برغوش الشيرازى ، عن شيخ الإسلام عمر السهروردى ، بإسناده .

قال : ومن طرق شيخنا زكريا فى ذلك : أنه أخذ ذلك عن أحمد الدمياطى الشهير بالزلبانى ، وهو عن الزين أبى بكر الخوافى ، وهو عن الزين الشبرشتى القاهرى ، عن سيدى يوسف العجمى ، إلى آخر السند المذكور هـ .

وقال القسطلانى فى المواهب اللدنية بعد نقل كلام شيخه السخاوى فى الخرقة ما نصه : نعم ورد لبسهم لها مع الصحبة المتصلة إلى كميل بن زياد ، وهو صحب على بن أبى طالب من غير خلف فى صحبته له بين أئمة الجرح والتعديل ، وفى بعض الطرق اتصالها بأويس القرنى ، وهو اجتمع بعمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب ، وهذه صحبة لا مطعن فيها ، وكثير من السادات يكتفى بمجرد الصحبة كالشاذلية وشيخنا أبى إسحاق المتبولى ، وكان يوسف العجمى يجمع بين تلقين الذكر وأخذ العهود واللبس ، وله فى ذلك رسالة (ريحانة القلوب) قرأتها على ولد ولده العارف بالله تعالى المسلك سيدى على مع إلباسه لى الخرقة والتلقين والعهد ، وللشيخ قطب الدين القسطلانى (ارتقاء الرتبة فى اللباس والصحبة) هـ .

وقال الشيخ أبو عبد الله محمد بن سليمان الرودانى فى (صلة الخلف بموصول

السلف) سلسلة لبس الخرقة الصوفية طرقها كثيرة متشعبة . أفردها بالتصنيف ابن أبى الفتوح الطاوسى الصوفى ، وسماه (جمع الفرق لرفع الخرق) اقتصر منها على الخرقة المدينية : نسبة إلى أبى مدين الغوث ، فأقول : لبست الخرقة الصوفية المدينية من يد شيخنا أبى عثمان الجزائرى ، قدس الله روحه ، وأكبر ظنى أن الذى قاله لى عند ذلك خالدة تالدة ، لا تباع ولا توهب ، وهو لبسها من يد شيخه أبى عثمان المقرى ، وهو لبسها من يد أبى العباس أحمد بن حجى[1] الوهرانى ، وهو لبسها من يد شيخ الطريقة التازية أبى سالم سيدى إبراهيم التازى ، وهو لبسها من يد أبى الفتح محمد بن أبى بكر بن الحسين المراغى المدنى ، بالمسجد النبوى ومن يد سيدى صالح بن محمد بن موسى الزواوى .

أما المراغى فلبسها من يد أبى المعروف إسماعيل بن إبراهيم الجبرتى ، وهو من يد الشيخ الضجاعى ، من يد برهان الدين العلوى ، عن أبى العباس أحمد بن إبراهيم بن الجماس ، عن أبى الفضل القاسم بن سعد بن محمد العذرى ، عن الحافظ أبى عبد الله يوسف الخلاسى ، عن أبى بكر محمد بن يوسف بن مسدى الأزدى عن أبى أحمد جعفر بن عبد الله بن سيديونه الخزاعى .

وأما الزواوى فلبسها من يد المعمر محمد بن مخلص الطيبى ، من الشيخ مغلطاى بن قليج ، من أبى عبد الله العريان ، من والده الشيخ جماعة الطويل الناصرى ، من الشريف أبى محمد التاجورى ، من القطب أبى محمد صالح ، وهو والخزاعى من يد الغوث الفرد الجامع أبى مدين شعيب بن الحسن القطنيانى ، إلى آخر سنده السابق . وقد لبسها من يد الرودانى جماعة منهم عبد الله بن سالم البصرى كما فى ثبته .

وقال أبو سالم العياشى فى (مسالك الهداية إلى معالم الرواية) البسنى سيدى أبو مهدى عيسى الثعالبى كما لبس هو من العالم الحجة أبى عثمان سعيد بن إبراهيم الجزائرى بسنده السابق عند الرودانى .

(١) بفتح الحاء وكسر الجيم المشددة .

وقال أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الفاسى (فى المنح البادية) فى الخاتمة التى عقـــدها لذكر الخرقة وتلقين الذكر ، أما القادرية فقد ألبسنيها السيدان الشريفان أبو العز السلاوى ، وأبو الجمال الجزائرى ، وهما عن أبى عثمان سعيد ابن إبراهيم قدورة ، وهو من سيدى سعيد بن أحمد المغربى ، وهو من سيدى أحمد حجى الوهرانى ، وهو من الولى الشهير سيدى إبراهيم التازى ، دفين وهران المتوفى سنة ست وستين وثمانمائة وهو من العارف سيدى صالح بن محمد ابن موسى الزواوى ، وهو من أحمد بن محمد بن مخلص الطيبى ، ومن محمد ابن أيدمر ، وهما من شرف الدين العادلى ، وهو من ناصر السنة عبد الله بن شجاع ابن القاسم المعدنى ، وهو من أبى عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبد الواحد بن على ابن سرور المقدسى ، وهو من الشيخ عبد القادر الجيلى ، ثم ذكر طرقا فى نحو ثلاث ورقات .

وقال المقرى فى (أزهار الكمامة فى أخبار العامة) وقد ذكر ابن فهد فى مؤلف له ، سنده فى إرخاء العذبة ، ولبس الخرقة ، وتلقين الذكر . فقال : لقننى الذكر وألبسنى العذبة فى عمامة لفها بيده المباركة سيدى الشيخ محمد بن عراق ، وقال لى : تلقنت الذكر ، وأخذت العذبة من القطب سيدى الشريف زين الملة والدين أبى الحسن على بن ميمون الفاسى ثم الصـــالحى الحسنى المالكى ، وهو أخذ ذلك عن أستاذه صاحب الكرمات سيدى أبى العباس أحمد بن محمد التباسى التونسى المغربى ، وهو أخذ عن شيخه الولى الكبير أبى العباس أحمد بن أبى سعيد مخلوف الشابى القيراونى الهذلى ، وهو أخذ عن الشيخ عبد الوهاب الهندى وهو أخذ عن مشايخ أجلاء ، مكملين ، هنديين ، وسعديين ، وهم أخذوا عن الشيخ القدوة أبى مدين شعيب التلمسانى ، فذكر سنده السابق .

قال المقرى: كتب لى هذا السند من هذا الطريق إلى شيخه عبد الوهاب الهندى سيدى الشيخ الأستاذ الشهير أبو الغيث القشاش التونسى ، رضوان الله عليه ،

وقد ألبسنى قلنسوته وجبته ، ولم أر وجهه ، ولكن سمعت كلامه ، لكونه حين قدمت تونس المحروسة ، كان لا يظهر للناس ، وقد كتبت ذلك فى غير هذا الموضع ، وممن لبست منه الخرقة سيدى الشيخ أحمد بن أبى القاسم الهروى التادلى ، بحضرة مراكش ، سنة عشر وألف ، عن شيخه الخروبى الطرابلسى ، عن شيخه الكبير الشهير سيدى أحمد زروق البرنوسى ، بسنده المعروف .

ولنعد إلى كلام ابن فهد فنقول :

قال ابن فهد بعد أن ذكر السلسلة المتقدمة ، ما صورته : هذه السلسلة جليلة المقدار عظيمة الافتخار ، متضمنة لجماعة من العلماء والصوفية الكبار ، لكن فى كثير من رواتها جهالة ، وغير ذلك مما لا يعرج عليه فى مثل هذه الحالة ، وإنما القصد التبرك بها ، والاقتداء بمن أخذها من أعيان الصوفية أرباب الولايات ، والأحوال السنية ، وكلهم متفقون عليها ، لا يختلف اثنان فيها ، ولها طرق كثيرة ، بروايات شهيرة ، مذكور فى بعضها : أن النبى صلى الله عليه وسلم أخذ عن جبريل عليه السلام ، وهو أخذ عن الله تبارك وتعالى ، فقيل لأحد رواتها سيدى الشيخ القطب الربانى عبد القادر الجيلانى ، نفع الله به : ما أخذ عنه ؟ قال : العلم والأدب .

وسئل الحافظ قاضى القضاة بمكة المشرفة جمال الدين محمد بن عبد الله بن ظهيرة القرشى الشافعى رحمه الله تعالى ، عن لبس الخرقة المتداولة بين طائفة الصوفية ، وهل لها أصل فى الشرع ؟ أم لا ؟ وهل سندها متصل بالنبى صلى الله عليه وسلم اتصالا محكوماً به ؟ أم لا ؟ وغير ذلك مما يذكر فى الجواب .

فأجاب : لبس الخرقة أمر مشهور معمول به من زمن السلف إلى اليوم ، ولها أصل فى الشرع ، وهو : أن النبى صلى الله عليه وسلم خلع بردته على كعب ابن زهير لما أنشده قصيدته المشهورة التى أولها (بانت سعاد) كما ذكره أهل السير وغيرهم ، وقد ألبس النبى صلى الله عليه وسلم غير واحد من الصحابة

كعبدالرحمن بن عوف رضى الله عنه ، ومن تتبع مثل ذلك وجده كثيرا فى رجال ونساء ، ولم يزل أكابر الصوفية والعارفون بالله ، يستعملونها كمعروف والسرى والجنيد وغيرهم من المتقدمين والمتأخرين ، كسيدنا الشيخ قطب الأولياء سيدى عبد القادر الجيلانى ، والإمام أبى النجيب السهروردى ، وقبلهما الإمام أبو حامد الغزالى ، وشيخه أمام الحرمين ، وغيرهم ممن لا يحصى كثرة ، وهى عمل الناس فى الأقطار ، على اختلاف الأعصار ، بها يتبركون ، ولها يستعملون ، ولهم فيها طرق كثيرة صحيحة متصلة بأرباب الولايات ، والأحوال السنية ، وأعيان الصوفية وكلهم متفقون عليها ، لم يختلف فيها اثنان فيما علمت فمنكرها غبى جامد ، وما للفقهاء الجامدين والكلام فى ذلك ؟ وطريق معروف عن مولانا السيد أبى الحسن الرضى متصلة عن آبائه السادة الأكرمين ، وهى واضحة ، وأما طريق الحسن البصرى عن على رضى الله عنه ، فأهل الحرمين ينكرون سماعه منه ، وروايته عنه ، لعدم اتصاله به ، وإن كان ممكنا . وأما أهل الطريق ، فمتفقون عليها ، ومن زعم أنها بدعة ، فقد أخطأ الطريق ، وهى موجودة فى الصدر الأول ونجوز روايتها بالأسانيد ، ولا مانع من ذلك ، بل ينبغى لمريد الخير أن يرغب فى ذلك ، لتحصل له بركة السادة أولياء الله الصالحين ، ويحصل له الاتصال بهم ، والانتظام فى سلكهم ، نفع الله بهم ، وقد لبسناها ولنا فيها طرق كثيرة ، وكذلك مشايخنا العلماء ومشايخهم ، وعلى ذلك عمل الناس فى ديار مصر ، والشام والعراق ، وخراسان ، والمغرب وسائر بلاد الإسلام ه

وقال : أبو الحسن على بن إبراهيم البوتيجى فى (السمط المجيد للطالب المجيد) ألبسنى شيخنا الشهاب أحمد العجمى ، وهو لبسها من الشيخ أحمد السحيمى ، ولقننى الذكر وألبسنى طاقيته شيخنا شرف الدين الأنصارى ، بحق أخذه عن جده الشيخ الصالح المسند محيي الدين ، بأخذه عن جده لأبيه جمال الدين

بأخذه عن والده شيخ الإسـلام زكريا الأنصـارى ، قال شيخ الإسلام زكريا الأنصارى : أخذت عن غير واحد من السادة ، منهم أوحد الجماعة القائم فى النصيحة بين العباد ، بما استطاع ، الشمس أبو محمد عبد الله بن محمد بن عمر الواسطى الأصل الغمرى . والشهاب أبو العباس أحمد بن على بن موسى الأنصارى . والشمس أبو الفتح محمد بن أحمد بن أبى بكر القوى . والسراج أبو حفص عمر بن على النبتيتى . والشهاب أحمد بن الفقيه على بن محمد بن تميم الدمياطى الشهير بالذلبانى . والزين أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن إسحاق بن محمد التميمى الخليلى الشافعيون . وهم مفترقون بالقاهرة . إلا النبتيتى . فبزاويته بقرب خانـكة سر يافوس . نفعنا الله ببركاتهم . وتلقنت الذكر . ولبست الخرقة جريا على قاعدتهم فى ذلك . ممن عدا الأول . وأذنوا لى فى التلقين والإلباس ونحو ذلك . بأخذ الأول عن الشيخ أبى العباس أحمد الزاهد . والثانى والثالث عن الشيخ برهان الدين إبراهيم بن عمر بن محمد الانقاوى . والرابع عن الشيخ جمال الدين أبى المحاسن يوسف الصفى . والخامس عن الزين أبى بكر بن محمد ابن محمد على الخوافى وعبدالعزيز الغزنوى . والسادس عن الشيخ شهاب الدين أبى العباس أحمد بن محمد الفاصح . بأخذ الزاهد عن الشهاب الدمشقى . وهو عن عبد الرحمن الشرفى . وهو عن عبد الرحمن الروذبارى . وهو عن على الألاء وهو المجد البغدادى . وهو عن النجم أبى الجناب أحمد بن عمر بن محمد عرف بالبـكرى . وهو عن عثمان . وبأخذ كل من الخوافى والغزنوى والأنقاوى عن الزين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد السلام القرشى الشبرتيشى ثم القاهرى . وبأخذ الصفى عن كل من الشيخين التاج أبى عبد الله محمد بن أبى المحاسن يوسف بن عبد الله بن عمر بن على بن خضر الـكورانى العجمى ، بل وبلغنى أن الشيخ يوسف الصفى اجتمع به ، فلعله أخذ عنه ، بأخذه عن الفقيه حسن الشمشيرى ، والنجم محمود الأصفهانى ، بأخذ أولهما عن ثانيهما ، وكذا عن

البدر محمود الطوسى ، وهما عن النور عبد السلام الطنزى ، وهو عن النجيب على بن برغوش الشيرازى بسنده السابق هـ .

وقال أبو الفيض محمد مرتضى الزبيدى فى (الفوائد الجليلة بتعليق مسلسلات عقيلة) لبست الطاقية والقميص من يد شيخى الشيخ عبد الخالق بن أبى بكر ، وهو لبس من ابن عقيلة بسنده .

ولبست أيضاً من شيخى السيد وجيه الدين عبد الرحمن العيدروس ، وشيخى السيد سليمان بن يحيى بن عمر الأهدل الحسينى ، وهما لبسا من يد السيد وجيه الدين عبد الرحمن بن عبد الله بَلْفقيه[1] الحسينى التريمى ، قال الثانى : إجازة مكاتبة من بلده إلى زبيد ، وهو لبس من القطب السيد عبد الله بن علوى باحداد ، بسنده .

ولبست من شيخى محمد بن الطيب الفاسى ، وشيخى إسماعيل بن عبد الله النقشبندى ، وهما لبسا من السيد عمر البار ، وهو لبس من يد السيد باحداد ، بسنده .

سند آخر : لبس الشيخ محمد عقيلة من السيد على بن عبد الله صاحب سورة إجازة مكاتبة بسنده .

ولبست من يد السيد الوجيه عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس ، والحسين ابن عبد الرحمن بن محمد العيدروس ، وهو من شيخه على بن عبد الله صاحب سورة ، بسنده .

---

(١) بفتح الباء وسكون اللام ، وهذه الباء فى لغة حضرموت تفيد معنى : آل فلان .

سند آخر فى إلباس الخرقة القادرية : لبست من شيخى عبد الخالق ، وهو لبس من ابن عقيلة وهو لبس من قاسم بن محمد البغدادى ، من شيخه السيد على القادرى ، بسنده .

ولبست من يد السيد عماد الدين محمد ، وهو لبس من يد جده السيد أبى عبد الله محمد ، وهو من يد السيد ياسين الحموى ، من يد والده السيد عبد الرزاق ، من يد والده السيد شرف الدين بسنده .

ولبست من يد السيد على بن موسى بن شمس الدين الحسينى ، وهو لبس من يد الشيخ عبد الغنى النابلسى ، وهو لبس من يد السيد ياسين بسنده .

ولبست من يد السيد محمد أبى بكر بن عبد الرحيم الحسينى البغدادى ، وهو من يد الشيخ قاسم البغدادى بسنده .

ولى طرق فى إلباس الخرقة القادرية غير ما ذكره ابن عقيلة ، فمن العوالى : أنى لبست من الشيخ الزاهد محمد بن عبد الكريم القادرى المدنى ، من يد شيخه عبد النبى البصرى ، من الشيخ حسين البصرى ، من محمد صادق ، من محمد قاسم ، من عبد الفتاح ، من الشيخ غريب الله ، المعمر أربعمائة سنة ، من الشيخ داود الهداد ، من الشيخ القطب عبد القادر الجيلانى ، قدس الله سره .

ويلى ذلك أنى لبست من يد السيد محيى الدين نور الحق الحسينى المكى ، من السيد سعد الدين غلام محمد ، من يد المعمر السيد عبد الشكور الحسينى ، من يد المعمر السيد شاه مسعود الأسفراينى ، ثم ذكر سند آخر مسلسلا بالأهدليين .

قلت : وإنما لم أذكر سند الأصل الذى هو مسلسلات عقيلة ، لأنه لم يقع له ذلك بشرطه ، إنما رواه بالإجازة ، فإنه قال : أخذت الإجازة والإلباس

بالمراسلة والمكاتبة ، عن السيد الجليل ، والسند المثيل ، العلامة القدوة المحقق السيد عبد الله بن علوى الحداد ، وهو أخذ ولبس من مولانا العارف بالله الكبير السيد محمد بن علوى باعلوى ، نزيل مكة المكرمة ، فذكر سنداً مسلسلا بالسادات العلويين .

ثم قال : وسند آخر بالمكاتبة أيضاً : ألبست الخرقة من السيد الجليل ، والسند المثيل ، العارف الكبير ، الولى الشهير ، السيد على بن عبد الله العيدروس ، الساكن ببندر سورت من أرض الهند ، وصورة ما كتبه لى ، ثم ذكر نص إجازته .

فصل

فهذا ما يتعلق بالخرقة وسماع الحسن من كلام ابن تيمية ، وابن خلدون . وأما ما يتعلق بالأبدال ، والمهدى المنتظر ، والطعن فى الصوفية من كلام ابن خلدون ، فسنفرد لكل من المسائل الثلاثة كتاباً خاصاً إن شاء الله تعالى ، وقد سبق ردى على ابن خلدون طعنه فى أحاديث المهدى فى كتاب سميته (إبراز الوهم المكنون) وهو مطبوع[1] ، وسنعود للكتابة فيه مرة أخرى ، إن شاء الله تعالى .

---

(١) بدمشق بمطبعة الترقى سنة ١٣٤٧ ، وجدير لهم بأن يعاد طبعه لأهمية فائدته وللشوكانى كتاب مطبوع فى الهند ، بين فيه تواتر أحاديث المهدى ونزول عيسى عليه السلام والدجال . أما حديث الأبدال ، فهو ثابت صحيح مخرج فى سنن أبى داود وغيرها من كتب السنة ، واشتهر فى زمن السلف ووصف به كثير منهم ، قال قتادة : لا نشك أن الحسن البصرى من الأبدال . وقيل فى حماد بن سلمة : إنه من الأبدال . لأنه تزوج نحو مائة امرأة فلم يولد له . ومن علامة الإبدال أن لا يولد لهم =

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين ، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين ؟

= وقال إبراهيم الخواص فى الإمام الشافعى : إنه فى الأبدال ، ومن أطلع على كتاب تهذيب التهذيب والميزان ولسانه لوجد أسماء كثيرة نحو كراستين وصفوا بالإبدال وللحافظ السخاوى يضعف حديث الأبدال لكنه اعترف مع ذلك باشتهار استعمال هذا اللفظ بين السلف وهلم جرا . وهذا كاف فى تصحيحه لو أنصف وتأمل ، لأن من المقرر فى علمى الحديث والأصول ، أن الحديث الضعيف يصححه تلقى الأمة له بالقبول ، كحديث تلقين الميت ، ولا وصية لوارث ، أخذ بهما الأئمة (رحمهم الله تعالى) مع ضعفهما ، لتلقى الأمة لهما بالقبول ، فكذلك حديث الأبدال ، ثم كيف سها السخاوى عن حديث أم سلمة فى سنن أبى داود ، وفيه ذكر الأبدال بإسناد صحيح ؟ ! وهذا آخر ما رأينا كتابته ، راجين التوفيق من الله تعالى ، والحمد لله رب العالمين .